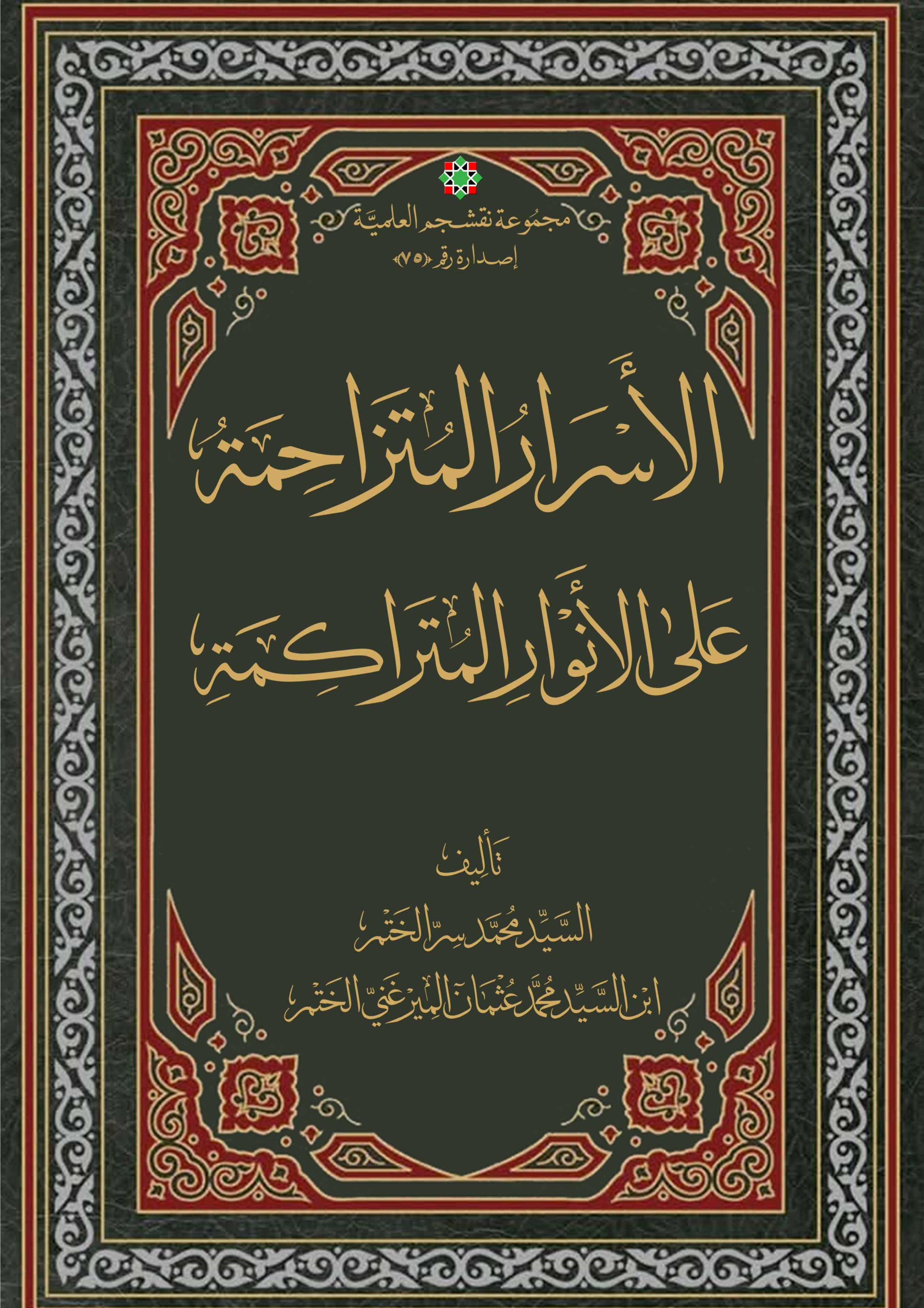


مجموعة نقشجم العلميّة
إصدارة رقم «٧٥»
الأسرارُ المتزاحِمَة
على الأنوارِ المتراكِمَةِ
تأليف
السّيّد محمّد سرّ الختم
ابن السّيّد محمّد عثمان الميرغني الختم



تأليف

السَّيِّد محمد سر الختم
ابن السَّيِّد محمد عثمان الميرغني الختم

رجب ١٤٤٦هـ - يناير ٢٠٢٥م

تقديم

الحمدُ الذي تفضَّل بكرمه وخيره، فجعل ذكره ترياقًا شافيًا للقلوب بفضله ومَنِّه، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على سيدنا مُحمَّد سيد الذاكرين الأوَّابِين، وعلى آله وصحبه وجملة التابعين.

وبعدُ، فهذه "الأَسْرَار المُتزاحِمَة على الأنوار المُتَراكِمَة"، شرح راتب الإمام السَّيِّد مُحمَّد عُثْمان الميرغني الختم في الأذكار والأدعية، شرحه ابنه السَّيِّد مُحمَّد سِرّ الختم الميرغني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقام بشرحه شرحًا وافيًا، مُخرِّجًا نصوصه من الأَدِلّة النقليَّة من الكتاب والسُّنَّة والسلف الصالح.

وقد اعتنت مجموعة نقشجم العلميَّة بإخراجه من مخطوطه دون الإطالة في تحقيقه، من نسخة المكتبة الأزهرية، منقولة من أصل الشارح، المحفوظة بالرقم (٣٧٠ مجاميع) ١٢٩٨٠حسونة رسالة رقم ٣. عدد الأوراق ١٤١-٢٩٨ (١٥٧ورقة)، عدد أسطر: ١٩، بمقاس ١٦x٢٣سم. بخط نسخي معتاد، الناسخ: موسى علي عامر بتاريخ ١٣١١هـ.

وقد قمنا بكتابة الآيات القرآنية وفق الرسم الإملائي ووضعها بين قوسين ﴿ ﴾ وتخريج ترقيم آياتها وسُوَرها، وضبط أحاديثه بالنَّصِّ المشكول وجعلها بين قوسين « »، وعمل تقديم وإدراج فهرسة لمواضيع الكتاب، وترجمة للمُؤلِّف. ونرجو أن يكون الإخراج القادم أكثر تحقيقًا من قبل أهل الاختصاص.

ونسأل اللَّه عزَّ وجلَّ أن ينفع به كما نفع بأصله ويتقبّله خالصًا لوجهه الكريم، ويكون دالًّا للخيرات وسببًا للسعادات، ويجزي مُؤلِّفه وشارحه خير الجزاء، وصلَّى اللَّه على سيدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

مجموعة نقشجم العلمية

بمسجد سَيِّدنا رَسُول اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

الأحد، ٢٦ رجب ١٤٤٦هـ - ٢٦ يناير ٢٠٢٥م

صور المخطوطة المُستعان بها



اللوحة الأولى والأخيرة - نسخة المكتبة الأزهرية بمصر

ترجمة الشارح

هو العلَّامة الفهَّامة المُحدِّث الورع الأديب، الحبر الفاضل الأريب، السيد محمد سر الختم ابن السيد محمد عثمان الختم ابن السيد محمد أبي بكر ابن السيد عبد الله المحجوب، الميرغني الحسيني المكي اليماني الحنفي. ولقّبه والده بـ"سر الختم".

ولد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بلد الله الحرام بمكة المكرمة ليلة الاثنين في شهر ربيع سنة ألف ومائتين وستة وعشرين [١٢٢٦هـ]، ونشأ بها في ديانة وصيانة، وحفظ القرآن الكريم على سبع روايات في أشهر قليلة وعمره إحدى عشر سنة، واشتغل بطلب العلوم على جماعة من العلماء الأفاضل، من أجلّهم: والده الإمام السيد محمد عثمان الختم، "وهو أكبر أبنائه" وعمّه السيد عبد الله مفتي مكة، وغيرهما. ودرَّس بالحرم المكي وعمره خمسة عشر سنة، وصلَّى التراويح بختمة القرآن وخلفه والده وسادات وعلماء مكة المشرفة.

كان من العلماء المُحققين، تقيًّا، من الأفاضل المُنوّه بشأنهم، زاهدًا كاملاً صالحًا متواضعًا، واسع الاطلاع، عارفًا بالفقه واللغة، وله في علم البيان والبديع الحظ الوافر، بارعًا في علم الحديث فاشتغل به آخر حياته. وله إلمام وافر بالمعارف مع لطف طبع وسيرة حسنة، مقبلاً كل وقته على العبادة، مع التواضع وحسن المحاضرة والورع التام والعفاف الكامل.

تفضَّل وتصدَّر للتدريس والإفادة إلى أن ارتحل إلى بلاد اليمن، لينوب عن والده بها، واستقبله علماؤها وصلحاؤها وزعماؤها، واتّخذ من بلدة

الحُدَيْدة دارًا ووطنًا وتزوّج بها، ودرس الناس عليه العلوم، وأخذوا الطريق وأرشدهم، ونثر عليهم من درر فوائده ومعارفه وأسراره، ومكث معهم سنين، وانتفع واستفاد به العام والخاص من فقهاء وعلماء وغيرهم، واشتهر لديهم بالمُحدّث.

ثم قدم إلى مكة المكرمة سنة ١٢٧٠هـ بطلب صديقه الشيخ عبد الله مرداد، لما بينهما من محبة وألفة وإخاء متّصل بالآباء، وطلب منه التدريس بالمسجد الحرام.

من مؤلفاته: له اليد الطولى والصناعة العليا في فنون العلم، وتشهد له بسعة علمه وكمال معرفته بالله، فقد كان ثاقب الفهم شديد الحفظ. فمنها: فتح الخلّاق شرح "النور البراق" لوالده، والأسرار المتزاحمة شرح "راتب الأنوار المتراكمة" لوالده، والمواهب اللدنية شرح مولد الأسرار الربانية" لوالده، والمنحة الإلهية والنفحات الربانية "شرح غنية الصوفية في علم العربية" لوالده، والعروة الوثيقة في عقيدة أهل الحق والطريقة "وهي المنظومة التي بين أيدينا"، وشرحها "الحديقة الأنيقة"، والتحفة السنية في شروط النية، وهداية العوام شرح كفاية الغلام للنابلسي، وسُلّم اللسان "أرجوزة في النحو"، وشرح بلوغ المرام المروي عن سيد الأنام، وحاشية على "قطر الندى"، وكشف الأستار عن معاني الاستعار، ومطلع السعد في الكلام على "أما بعد"، وشرح "تعليم المُتعلّم"، والسيوف الباترة في الرد على ذوي الأفهام القاصرة، واقتفاء الأتقياء في حياة الأنبياء، وإرشاد الخواص في الفرق بين النية والإخلاص، وحل رسالة الفصل، ومدائح

نبوية، وتوسُّل "الخيرات السارية بدعاء جملة من الأولياء المحمدية".

توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمكة المكرمة بعد مجيئه من اليمن بأشهر قلائل بعد أن قدم من الطائف لحضور الحج، حين نزول الوباء تلك السنة، وذلك ليلة ١٥ ذي الحجة سنة ١٢٧١هـ في الساعة الخامسة من الليل، فالتحق به صديقه الشيخ عبد الله مرداد عند صبيحة انتقاله، وصلَّى عليهما عمّه السيد عبد اللَّه الميرغني المُفتي وخلق كثير تحت باب الكعبة، ودُفِنا تجاه والده بمقبرة المعلا بشعبة النور. وخلف من الذرية: السيد محمد سر الختم والسيد محمد عثمان تاج السر والسيد عبد اللَّه المحجوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مُقدّمة]

وبه الإعانة بدءًا وختمًا

وصَلَّى اللَّه على سيدنا مُحمَّد ذاتًا ووصفا واسما

الحمدُ للَّه الواجب ذكره العلي قدره، النافذ في خلقه أمره، الذي لا إله غيره، ولا خير إلا خيره، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه المنفرد بالكمال، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذاكر اللَّه على كل حال، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه من المهاجرين والأنصار، وعلى التابعين لهم على الآثار.

وبعد، فيقول الفقير الغني محمد ابن الختم: لما كان الذكر للَّه أشرف الأعمال، وأولى ما يتقرب إلى الكبير المتعال، وأفضل ما أنفقت فيه نفائس الأعمال، وأنفس كنز حقيق بالادخار، وكان ما جمعه سيدي الوالد من الأوراد والرواتب، أجمع ما دوّن في هذا الباب من الرغائب، وكان قد حوى من الآيات القرآنية والآثار النبوية المصطفوية ما لم يسبق إلى مثاله، ولم ينسج أحد على منواله، وقد شرحه المصنف بشرح لم يوجد له نظير، وجميع فيه من الأدلة ما لم يقدر عليه كثير، ولا يصل إلى مضاهاته خبير.

وقد كان في البال قبل جعل المؤلف عليه ذلك، جعل تعليق عليه يفيد الراغب ويستفيد منه السالك، ثم لما برز شرح المصنف من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، فترت تلك الهمة لإتيانه بالمقصود وزيادة، إذ صاحب البيت بما فيه أدرى، وكيف وهو بذلك أجدر وأحرى، ثم بعد مدة من

الزمن وقد ساقتني الأقدار إلى أرض اليمن تجددت النيَّة في فعل ما سبق لها فيه العزم، رجاء أن يجعل لي مع من يحبب اللَّه إلى عباده سهم، فاستعنت اللَّه في ذلك، وتوسلت إليه بأفضل العباد، راجيًا منه دوام الإعانة والإسعاف بالمراد.

مُقدّمات

الأولى: في ترجمة المُؤلّف

أقول: هو شيخي ووالدي العالم الحجة، هادي العباد إلى المحجة، الجامع بين علمي المنقول والمعقول، والمدرك لغنى الفروع والأصول، ناصر السنة والكتاب، والداعي إلى منهاج الحق والصواب، ذو الكرامات الظاهرة، والأسرار المتواترة الباهرة، المشهور بختم أهل العرفان، والمذعن له القاصي والدان.

تخرَّج على يد جملة من العلماء العاملين، وطائفة من الأولياء الصالحين من كُمّل العارفين، غير أن أفضلهم على الإطلاق، وأكملهم من غير نزاع ولا شقاق، العارف بالله تعالى والدال عليه قطب الوجود، المستغرق في شهود الملك المعبود، السيد الجليل، الوارث للخلافة المحمدي الكاملة من غير تبديل، الشريف الحسيني السيد أحمد بن إدريس، قدس الله تعالى سره النفيس، لم ينجب عند المذكور أحد مثل نجابة المصنف، ولم يستحق خلافته بعده غيره عند من ينصف، كان شيخه يقول: «هو أنا وأنا هو». كاتبه بمكاتبات جليلة، ولاحت عليه من آثار خدمته له نتائج تلك الجميلة.

وغاية الأمر أنه لم يأت الزمان لهما بمثيل، ولم يسمع في عصرهما بمثلهما في المحافظة على اتباع الدليل، والمثابرة على العمل على قصد السبيل، لم يكن لهما غير مراد الله تعالى، مراد وليس لهما هم إلا في إرشاد العباد، كملت على الخلق شفقتهم، فلذلك ارتفعت همتهم، قد

أُلفت في كراماتهما المؤلفات العديدة، وصنفت في ذلك المصنفات المفيدة، كان أمرهما أوضح من الشمس في رابعة النهار، ليس دونهما حجاب من سحاب أو غبار.

المقدمة الثانية
في بعض ما ورد في فضل الذكر

والذكر قد ورد في فضله ما لا يحصى كثره، ولا يقدر أحد من المخلوقات قدره، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة: ١٥٢]. وقوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت: ٤٥]. وقوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٣٥].

ومنها ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد معًا مرفوعًا: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَكُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ». وأخرجه أيضًا من حديثهما أبو داود والطيالسي وأحمد في "المسند"، وعبد بن حميد وأبو يعلى الموصلي وابن حبان.

وأخرجه أيضًا من حديثهما معًا ابن أبي شيبة وابن شاهين في "الترغيب في الذكر"، وقال: حسن صحيح بلفظ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مُسْلِمُونَ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ». وأخرجه الترمذي في الدعوات من حديثهما معًا بلفظ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى».

وفي الباب أحاديث منها ما أخرجه أحمد في "المسند"، وأبو يعلى الموصلي، والطبراني في "الأوسط"، والضياء في "المختارة"، من حديث أنس بلفظ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ». وما أخرجه الطبراني في "الكبير"، والبيهقي في "الشعب"،

والضياء في "المختارة" من حديث سهل بن الحنظلية بلفظ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُومُونَ حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ قُومُوا، قَدْ غَفَرَتُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وبُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ». وأخرجه البيهقي من حديث عبد الله بن مقفل.

وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ» الحديث بطوله. وأخرجه البزَّار من حديث أنس.

وأخرج مسلم والترمذي والنسائي من حديث معاوية: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟، قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى، نَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟، قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ».

وأخرج الطبراني في "الكبير"، وابن أبي شيبة في "المصنف" من حديث معاذ: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ. قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، قَالَ: وَلَا الْجِهَاد فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا أَنْ تَضْرِبَ بِسَيْفِكَ حَتَّى يَنْقَطِعَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». وأخرجه أيضًا من حديثه أحمد في "المسند" والطبراني أيضًا في "الأوسط"، قال المنذري في "الترغيب والترهيب" بعد أن عزاه إلى الطبراني "الصغير" و"الأوسط" ورجالهما

رجال الصحيح، وجعله عندهما من حديث جابر بهذا اللفظ. وظهر بهذا أن هذا المتن حديثان لا حديث واحد. وقال الهيثمي في حديث معاذ: رجاله رجال الصحيح انتهى.

وأخرج الطبراني في "الكبير" من حديث أبي موسى: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا فِي حِجْرِهِ دَرَاهِمُ يُقَسِّمُهَا، وَآخَرُ يُذْكَرُ اللَّهَ، كَانَ الذَّاكِرُ لِلَّهِ أَفْضَلُ». قال المحقق الرباني العلامة محمد بن علي الشوكاني في "تحفة الذاكرين بعدة الحصن والحصين" ما لفظه: وأخرجه أيضًا من حديث الطبراني في "الأوسط" وابن شاهين في "الترغيب" في الذكر وفي إسناده جابر بن الرازع، قال النسائي: منكر الحديث انتهى.

ولكنه قد روي له مسلم فلا وجه لإعلال الحديث به، وقد حسن إسناده المنذري في "الترغيب والترهيب". قال الهيثمي: رجاله وثقوا انتهى. قال المناوي: لكن بعضهم وقفه وأخرجه أيضًا ابن أبي شيبة وعبد اللَّه بن أحمد في "زوائد الزهد" من حديث أبي برزة الأسلمي انتهى.

وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال اللَّه تعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ، فَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرٍ اقْتَربتُ مِنهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ اقْتَربتُ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَربتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

وأخرجه من حديثه أيضًا الترمذي وأخرجه أحمد في "المسند" من حديث أنس، وأخرجه أيضًا ابن شاهين في "الترغيب في الذكر" من

حديث ابن عباس بلفظ «ابْنَ آدَمَ إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِكَ ذَكَرْتُكَ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلَأٍ أَفْضَلَ مِنْهُمْ وَأَكْرَمَ، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي شِبْرًا دَنَوْتُ مِنْكَ ذِرَاعًا، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي ذِرَاعًا دَنَوْتُ مِنْكَ بَاعًا، وَإِنْ مَشَيْتَ إِلَيَّ هَرْوَلْتُ إِلَيْكَ».

وأخرج البخاري تعليقًا من حديث أبي هريرة قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثُمَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ».

وأخرج الطبراني في "المعجم الأوسط" من حديث ابن عباس: «مَا صَدَقَةٌ أَفْضَلُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى». كذا في "عدة الحصن الحصين" و"الجامع الصغير" للأسيوطي. وذكرهر الحافظ المنذي في "الترغيب والترهيب" معزوًا إلى الطبراني من حديث أبي موسى وحسنه. وقال الهيثمي" في حديث ابن عباس: أن رجاله موثقون.

وأخرج أحمد والترمذي والحاكم في "المستدرك"، ومالك في "الموطإ"، وابن ماجه والطبراني في "الكبير"، والبيهقي في "الشعب"، وابن شاهين في "الترغيب في الذكر"، كلهم من حديث أبي الدرداء، إلا أن مالكًا في "الموطإ" وقفه عليه وبقيتهم رفعوه، وقد صححه الحاكم وغيره: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ؟، وَخَيرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أن تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟، قَالَوا: بَلَى، قَالَ: ذِكر اللَّه تَعالَى».

وأخرجه أحمد أيضًا من حديث معاذ، قال المنذري بإسناد جيد إلا أن فيه انقطاعًا، وقال في حديث أبي الدرداء: أن أحمد أخرجه بإسناد حسن. وقال الهيثمي في حديث أبي الدرداء: إسناده حسن. وقال في حديث معاذ: رجاله رجال الصحيح، إلا أن ابن زياد مولى ابن عباس لم يدرك معاذ اهـ.

وأخرج الترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ العِبَادِ أَفْضَلُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟، قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمِنَ الغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، قَالَ: لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي الكُفَّارِ وَالمُشْرِكِينَ حَتَّى يَنْكَسِرَ وَيَخْتَضِبَ دَمًا لَكَانَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا أَفْضَلَ مِنْهُ دَرَجَةً». قال الترمذي بعد إخراجه: حديث غريب.

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي من رواية سعيد بن سنان، عن عبد الله بن عمر مرفوعًا وفيه: «مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، قَالَ: وَلَوْ أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ».

وأخرج أحمد والترمذي وابن ماجه.

وقال الترمذي: حديث حسن من حديث ثوبان، قال: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾[التوبة: ٣٤]، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: أُنْزِلَتْ فِي الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، لَوْ عَلِمْنَا أَيُّ المَالِ خَيْرٌ فَنَتَّخِذَهُ؟، قَالَ: أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذَاكِرٌ، وَقَلْبٌ شَاكِرٌ، وَزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ عَلَى إِيمَانِهِ».

وأخرج الطبراني من حديث معاذ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ فَقَالَ: أَيُّ الْمُجَاهِدِينَ أَعْظَمُ أَجْرًا؟، قَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تبارك وتعالى ذِكْرًا، قَالَ: فَأَيُّ الصَّائِمِينَ أَعْظَمُ أَجْرًا؟، قَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تبارك وتعالى ذِكْرًا. ثُمَّ ذَكَرَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالْحَجَّ وَالصَّدَقَةَ، كُلُّ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تبارك وتعالى ذِكْرًا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: يَا أَبَا حَفْصٍ ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ بِكُلِّ خَيْرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَجَلْ».

وأخرج الشيخان من حديث أبي موسى: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ». وهذا لفظ البخاري في كتاب الدعوات من "صحيحه". وقد ذكره مسلم في كتاب الصلاة من "صحيحه" ولفظه: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

وأخرج الطبراني والبزَّاز من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَجَزَ مِنْكُمْ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ يُكَابِدَهُ، وَبَخِلَ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَجَبُنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، فَلْيُكْثِرْ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى».

وأخرج ابن أبي شيبة في "مصنفه" من حديث عبد الله بن شقيق، ورجاله إسناده رجال الصحيح: «مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا لِقَلْبِهِ بَيْتَانِ فِي أَحَدِهِمَا الْمَلَكُ وَفِي الْآخَرِ الشَّيْطَانُ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ تَعَالَى وَضَعَ الشَّيْطَانُ مِنْقَارَهُ فِي قَلْبِهِ وَوَسْوَسَ لَهُ».

وفي معناه ما أخرجه البخاري تعليقًا عن ابن عباس قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ».

وكذا ما أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبيهقي من حديث أنس عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى خَنَسَ».

وأخرج البزَّار في "مسنده" من حديث ابن مسعود: «ذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ بِمَنْزِلَةِ الصَّابِرِ فِي الْفَارِّينَ». وأخرجه أيضًا من حديث الطبراني في "الكبير" و"الأوسط"، ورجاله في "الأوسط" ثقات.

وأخرج أبو نعيم في "الحلية" والبيهقي في "الشعب" من حديث ابن عمر عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَاكِرُ اللَّهَ فِي الْغَافِلِينَ مِثْل الَّذِي يُقَاتِلُ عَنِ الْفَارِّينَ، وَذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالْمِصْبَاحِ فِي الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ، وَذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَمِثْل الشَّجَرَةِ الْخَضْرَاءِ فِي وَسَطِ الشَّجَرِ الَّذِي تَحَاتَّ، وَذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ يُعَرِّفُهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ بِعَدَدِ كُلِّ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِيٍّ».

وأخرج ابن حبان في "صحيحه" من حديث أبي سعيد الخدري: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا: مَجْنُونٌ». وأخرجه أيضًا من حديثه أحمد في "المسند" وأبو يعلى الموصلي في "مسنده" والطبراني في "الكبير" والحاكم في "المستدرك" وقال: صحيح الإسناد. وقال الهيثمي بعد ما عزاه إلى أحمد وأبي يعلى: أن في إسناده دراجًا ضعفه جمع، وبقية رجال "مسند

أحمد" ثقات اهـ. وقد حسّنه الحافظ ابن حجر في "أماليه". وفي لفظ: «أكثر ذكر اللَّه حَتَّى يُقَال إِنَّك مَجْنُون».

قال في "تحفة الذاكرين": قيل المُرَاد هُنَا حَتَّى يَقُول المُنَافِقُونَ بِدَلِيل مَا أخرجه أَحْمد فِي "الزُّهْد" والضياء فِي "المختارة" وَالْبَيْهَقِيّ فِي "الشّعب" من حَدِيث أبي الجوزاء مُرْسلاً عَنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثرُوا ذكر اللَّه حَتَّى يَقُول المُنَافِقُونَ: إِنَّكُم مراءون». قال: وَلَيْسَ فِي هَذَا مَا يَقْتَضِي قصر الْمقَالة فِي حَدِيث الْبَاب على الْمُنَافِقين، فَيَنْبَغِي تَفْسِير ضمير حَتَّى يَقُولُوا بِمَا هُوَ أَعم من ذَلِك، أَي: حَتَّى يَقُول الغافلون عَن الذِّكر، أَو حَتَّى يَقُول الَّذين لَا رَغْبَة لَهُم فِي الذّكر، وَيدخل المُنَافِقُونَ فِي هَذَا دُخُولاً أوليًا. وَفِي الحَدِيث دَلِيل على جَوَاز الْجَهْر بِالذكر اهـ.

وفي "سلاح المؤمن" ما لفظه عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟، قَالَ: أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: سَيُعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ مَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ، فَقِيلَ: مَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: أَهْلُ مَجَالِس الذِّكْرِ فِي الْمَسَاجِدِ».

وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أكثروا ذكر اللَّه حَتَّى يقُولوا: مَجْنُون». روى الثلاثة ابن حبان في "صحيحه".

انتهت عبارة المقدمة.

الثالثة: فيما ورد في الاجتماع على الذكر وتوظيفه بالمساء والصباح وغير ذلك

قد ورد في فضل الاجتماع على الذكر أحاديث جمة، وقد مر كثير مما يدل على ذلك، ومن ذلك ما أخرجه الحاكم في "المستدرك" وأبو داود والترمذي وابن حبان من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ جَلَسُوا مَجْلِسًا وَتفَرَّقُوا مِنْهُ لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تعَالَى، إِلَّا كَأَنَّمَا تفَرَّقُوا عَنْ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وأخرجه أيضًا من حديثه أحمد في "المسند" وابن السني في "عمل اليوم والليلة"، والبيهقي في "الشعب"، وحسّنه الترمذي، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وقال النووي في "الأذكار" و"الرياض": إسناده صحيح. وفي الباب عن أبي هريرة أيضًا عند أبي داود والترمذي عَنِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ». قال الترمذي: حديث حسن.

وأخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي، وأخرجه أيضًا أحمد بإسناد صحيح، والنسائي، وابن حبان في "صحيحه"، وأخرجه أيضًا الطبراني في "الكبير" و"الأوسط"، والبيهقي من حديث أبي أمامة، وأخرجه أيضًا الطبراني في "الأوسط" والبيهقي من حديث عبد الله بن مغفّل قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا فِي مَجْلِسٍ فَتَفَرَّقُوا وَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ، إِلَّا

كَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قال المنذري: ورجال الطبراني مُحْتَج بهم في الصحيح.

وأخرجه أحمد في "المسند" من حديث عَنْ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بلفظ: «مَا مِنْ قَوْمٍ جَلَسُوا مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا رَأَوْهُ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وأخرج الترمذي من حديث أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟، قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ». وأخرجه أيضًا من حديثه أحمد في "المسند" والبيهقي في "الشعب"، وقال المنذري: حسن قريب. قال المناوي: وإسناده وشواهده ترتقي إلى الصحة.

وأخرج الطبراني في "الكبير" من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَارْتَعُوا، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟، قَالَ: مَجَالِسُ الْعِلْمِ». وفي إسناده رجل مجهول.

وأخرج الترمذي وقال: غريب من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قِيلَ: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟، قَالَ: المَسَاجِدُ، قِيلَ: وَمَا الرَّتْعُ؟، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ».

وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبزّار والطبراني والحاكم في "المستدرك" وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي من حديث جابر قال: «خَرَجَ

عَلَيْنَا رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِلَّهِ سَرَايَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ تَحِلُّ وَتَقِفُ عَلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ فِي الْأَرْضِ، فَارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ، قَالُوا: وَأَيْنَ رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟، قَالَ: مَجَالِسُ الذِّكْرِ، فَاغْدُوا وَرُوحُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ، وَذَكِّرُوهُ أَنْفُسَكُمْ، مَنْ كَانَ يُرِيد أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللهِ عِنْدَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ تَعَالَى مِنْ نَفْسِهِ».

قال المنذري: والحديث حسن اهـ.

وأخرج الترمذي والطبراني من حديث أنس، وقال الترمذي: حسن غريب. «مَنْ صَلَّى الفَجْر فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ».

وفي "الطبراني": «انْقَلَبَ بِأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ». ولفظ الطبراني من حديث أبي أمامة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ جَلَسَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، انْقَلَبَ بِأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ». قال المنذري: وإسناده جيد.

وأخرجه أحمد في "المسند"، وابن جرير وصححه، والبيهقي في "الشعب" من حديث علي كرم الله وجهه، عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ صَلَّى الفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ فِي مُصَلاهُ يَذْكُر اللَّهَ صَلَّتْ عَلَيه المَلائِكَةُ، وَصَلاتُهُمْ عَلَيهِ: اللَّهُمَّ اغْفِر لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَمَنْ جَلَسَ يَنْتَظِر الصَّلاةَ صَلَّتْ عَلَيهِ المَلائِكَةُ، وَصَلاتُهُمْ عَلَيهِ: اللَّهُمَّ اغْفِر لَهُ، اللَّهُم ارْحَمْهُ».

قال في "تحفة الذاكرين": وَفِي تَكْرِير قَوْله تَامَّة تَامَّة تَامَّة تَأْكِيد لرفع توهم أَنها لم ترد الْحجَّة وَالْعُمْرَة على التَّمام، وَهُوَ تَأْكِيدٌ رَاجع إِلَى الْحجَّة

وَالْعمْرَة، وَكَأَنَّهُ قَالَ: كَأَجر حجَّة تَامَّة تَامَّة تَامَّة وَعمرَة تَامَّة تَامَّة تَامَّة، وَهَذَا الْأجر الْمَذْكُور يحصل بِمَجْمُوع مَا اشْتَمَل عَلَيْهِ الحَدِيث من صَلَاة الْفجْر فِي جمَاعَة، ثمَّ الْقعُود للذِّكر حَتَّى تطلع الشَّمْس، ثمَّ صَلَاة رَكْعَتَيْنِ بعد طُلُوع الشَّمْسِ انتهى.

وأخرج الطبراني في "الكبير" من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا». قال الهيثمي: رِجَاله ثِقَات وَفِي شيخ الطَّبَرَانِيّ مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الصُّورِي خلاف، وَأخرجه أَيْضًا الْبَيْهَقِيّ فِي "الشُّعب". قَالَ الْمُنْذِرِيّ فِي "التَّرْغِيب والترهيب" أَنه رَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ بأسانيد أَحدهَا جيد انتهى.

وأخرج أبو داود من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً». قال العراقي: إسناده حسن، وأتبعه الجلال السيوطي. وقال الهيثمي: فِي إِسْنَاده محتسب أَبُو عَايِد وثقة ابْن حبان وَضَعفه غَيره، وَبَقِيَّة رِجَاله ثِقَات. وَأخرجه أَيْضًا أَبُو نعيم فِي "الْمعرفَة" وَالْبَيْهَقِيّ فِي "الشُّعب" والضياء فِي "الْمُخْتَارَة". قَوْله: «حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ»، زَاد فِي رِوَايَة: «ثُمَّ أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ».

قال في "تحفة الذاكرين": قَوْله: «أَرْبَعَة» قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: خص الْأَرْبَعَة لِأَن الْمفضل عَلَيْهِ مَجْمُوع أَرْبَعَة أَشْيَاء: ذكر اللَّه، [وَالْقعُود لَهُ]، والاجتماع

عَلَيْهِ، والاستمرار بِهِ إِلَى الطُّلُوع والغروب، وَخص بني إسماعيل لشرفهم وإنافتهم على غيرهم وقربهم مِنْهُ ومزيد اهتمامه بحالهم. قَوْله: «أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً»: ترك هُنَا ذكر كَون الْأَرْبَعَة من ولد إسماعيل استغناء عَنهُ بِمَا تقدَّم فِي الطّرف الأول، وفِي رِوَايَة ثُبُوت من ولد إِسْمَاعِيل بعد لفظ أَرْبَعَة، وَفِي رِوَايَة: مَكَان أَرْبَعَة لفظ رَقَبَة من ولد إسماعيل. وَفِي الحَدِيث دَلِيلٌ على مزِيد شرف الذّكر فِي هذَيْن الْوَقْتَيْنِ، مَعَ قوم يذكرُونَ اللَّه، فَإِنَّهُ قد ثَبت أن: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْهُ مِنْ النَّارِ» اهـ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: تَعَالَ نُؤْمِنْ بِرَبِّنَا سَاعَةً، فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ، فَغَضِبَ الرَّجُلُ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَرَى إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ يُرَغِّبُ عَنْ إِيمَانِكَ إِلَى إِيمَانِ سَاعَةٍ؟، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ رَوَاحَةَ، إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تَتَبَاهَى بِهَا الْمَلَائِكَةُ». رواه أحمد بإسناد حسن.

وروي عن أنس أيضًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ سَيَّارَةً مِنَ الْمَلائِكَةِ يَطْلُبُونَ حَلَقَ الذِّكْرِ، فَإِذَا أَتَوْا عَلَيْهِمْ حَفُّوا بِهِمْ، ثُمَّ بَعَثُوا رَائِدَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ إِلَى رَبِّ الْعِزَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَتَيْنَا عَلَى عِبَادٍ مِنْ عَبِيدِكَ يُعَظِّمُونَ آلاءَكَ، وَيَتْلُونَ كِتَابَكَ وَيُصَلُّونَ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَسْأَلُونَكَ لِآخِرَتِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

غَشُّوهُمْ رَحْمَتِي، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ إِنَّ فِيهِمْ فُلانًا، إِنَّمَا اعْتَنَقَهُمُ اعْتِنَاقًا، فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: غَشُّوهُمْ رَحْمَتِي، فَهُمُ الْجُلَسَاءُ، لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ». رَوَاهُ الْبَزَّارُ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ وَهُوَ يُذَكِّرُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّكُمُ الْمَلأُ الَّذِينَ أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَكُمْ، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[الكهف: ٢٨]، أَمَا إِنَّهُ مَا جَلَسَ عِدَّتُكُمْ إِلَّا جَلَسَ مَعَهُمْ عِدَّتُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْ سَبَّحُوا اللَّهَ تَعَالَى سَبَّحُوهُ، وَإِنْ حَمِدُوا اللَّهَ تَعَالَى حَمِدُوهُ، وَإِنْ كَبَّرُوا اللَّهَ تَعَالَى كَبَّرُوهُ، ثُمَّ يَصْعَدُونَ إِلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، عِبَادُكَ سَبَّحُوكَ فَسَبَّحْنَاكَ، وَكَبَّرُوكَ فَكَبَّرْنَاكَ، وَحَمِدُوكَ فَحَمِدْنَاكَ، فَيَقُولُ رَبُّنَا: يَا مَلَائِكَتِي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: فِيهِمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ الْخَطَّاءُ، فَيَقُولُ: هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ». رواه الطبراني في "الصغير".

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ، قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، رِجَالٌ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْشَى بَيَاضُ وُجُوهِهِمْ نَظَرَ النَّاظِرِينَ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ بِمَقْعَدِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟!، قَالَ: هُمْ جِمَاعٌ مِنْ نَوَازِعِ الْقَبَائِلِ، -أَوْ قَالَ: مِنْ نَوَازِعِ عَرَبِ الْقَبَائِلِ- يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَنْتَقُونَ أَطَايِبَ الْكَلَامِ كَمَا يَنْتَقِي آكِلُ التَّمْرِ أَطَايِبَهُ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

قال الحافظ المنذري: وإسناده مقارب لا بأس به اهـ. قوله: جُمَّاع: بِضَم الْجِيم وَتَشْدِيد الْمِيم المفتوحة كرُمَّان أَي: أخلاط من قبائل شَتَّى ومواضع مُخْتَلفَة. ونوازع: جمع نَازع وَهُوَ الْغَرِيب وَمَعْنَاهُ أنهم لم يجتمعوا لقرابة بَينهم وَلَا نسب وَلَا معرفَة، وَإِنَّمَا اجْتَمعُوا لذكر الله تعالى لَا غير.

وَرُوِي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَبْعثَنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَقْوَامًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمُ النُّورُ، عَلَى مَنَابِرِ لُّؤْلُؤِ، يَغْبِطُهُمُ النَّاسُ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ. قَالَ: فَجَثَا أَعْرَابِيٌّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَلِّهِمْ لَنَا نَعْرِفْهُمْ، قَالَ: هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى وَبِلَادٍ شَتَّى، يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى يَذْكُرُونَهُ»، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيَذْكُرَنَّ اللَّهَ أَقْوَامٌ عَلَى الْفُرُشِ الْمُمُهَّدَةِ، يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى». رواه ابن حبان في "صحيحه" من طريق درَّاج عن أبي الهيثم.

وعَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ بِهِنَّ، فَأَتَاهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُخْبِرَهُمْ، وَإِمَّا أَنْ أُخْبِرَهُمْ، قَالَ: يَا أَخِي لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخَافُ إِنْ سَبَقْتَنِي بِهِنَّ أَنْ يُخْسَفَ بِي وَأُعَذَّبَ، قَالَ: فَجَمَعَ بَنِي

إِسْرَائِيلَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلأَ الْمَسْجِدُ وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرُفَاتِ، ثُمَّ خَطَبَهُمْ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وآمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ: أُولَاهُنَّ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ، أَوْ وَرِقٍ، ثُمَّ أَسْكَنَهُ دَارًا، فَقَالَ: اعْمَلْ وَارْفَعْ إِلَيَّ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيَرْفَعُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَآمُرُكُمْ بالصَّلَاةِ، وَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ إِلَى وَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، وَمَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةُ مِسْكٍ، كُلُّهُمْ يُحِبُّ أَنْ يَجِدَ رِيحَهَا، وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَمَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي؟، فَجَعَلَ يَفْدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ. وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ كَثِيرًا، وَمَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى. وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: الجَمَاعَةُ وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالهِجْرَةُ وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدُعَاءِ الجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ عِبَادَ اللَّهِ». أخرجه الترمذي وابن حبان، وأخرجه أيضًا من حديثه أحمد في

"المسند"، والبخاري في "التاريخ"، والنسائي والحاكم في "المستدرك"، وقد صحَّحه الترمذي وابن حبان في "صحيحه"، وابن خزيمة في "صحيحه"، والحاكم في "مستدركه".

قال في "تحفة الذاكرين": وَفِي الحَدِيث دَلِيل على أَن الذِّكر يحرز صَاحبه من الشَّيْطَان كَمَا يحرز الْحصن الْحصين من لَجأ إِلَيْهِ من الْعَدو، فالذاكر فِي أَمَان من تخبط الشَّيْطَان ووسوسته له وإضلاله إِيَّاه، وَمن سلم من الشَّيْطَان الرَّجِيم فقد سلم من أخطر الخطرين وهما الشَّيْطَان وَالنَّفس اهـ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَال: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْم الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُؤمنًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». رواه مسلم بهذا اللفظ كذا في "الأربعين" للإمام النووي.

تكميل: أنه اختُلف هل الإسرار بالذكر أفضل أم الجهر به أفضل؟، والراجح أن نفس الذكر من حيث الإسرار به، والجهر يختلف باعتبار ما يعرض للذاكر من مصلحة ترجح أحدهما على الأخرى.

ذكر الإمام النووي: أن الإسرار أفضل حيث خاف الذاكر رياءً أو تأذّى به مصلون أو نيام، والجهر أفضل في غير ذلك، لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تسري إلى السامعين، ولأنه يوقظ القلب، ويجمع همه إلى الفكر، ويصرف سمعه إليه، ويطرد عنه النوم، ويزيد النشاط اهـ.

وقال الحافظ السيوطي: الجهر أفضل من الإسرار حيث لا رياء. وله في شأن الجهر بالذكر رسالة لطيفة.

وفي "تحفة الذاكرين": وَقد وَردت أَحَادِيث تَقْتَضِي الإسرار بِالذكر، وَأَحَادِيث تَقْتَضِي الْجَهْر بِهِ، وَالْجمع بَينهمَا أَن ذَلِك مُخْتَلف بِاخْتِلَاف الْأَحْوَال والأشخاص، فقد يكون الْجَهْر أفضل إِذا أَمن الرِّيَاء، وكَانَ فِي الْجَهْر تذكير للغافلين وتنشيط لَهُم إِلَى الِاقْتِدَاء بِهِ اهـ.

وَعَنْ بَعْض العَارِفِين: إِنّ المُجْتَمِعِينَ عَلَى الذِّكْرِ فَالْأَوْلَى فِي حَقِّهِمْ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ وَالْقُوَّةُ، وَأَمَّا الذَّاكِرُ وَحْدَهُ فَإِنْ كَانَ مِنَ الْخَاصِّ فَالْإِخْفَاءُ فِي حَقِّهِ أَوْلَى، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْعَامّ فَالْجَهْرُ فِي حَقِّهِ أَفْضَلُ. وَقَدْ شَبَّهَ حُجَّة الإِسْلَام الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى ذِكْرَ وَاحِدٍ وَذِكْرَ جمَاعَةٍ مُجْتَمِعِينَ بِمُؤَذِّنٍ واحِدٍ وَجَمَاعَةِ مُؤَذِّنِينَ، فَكَمَا أَنَّ أَصْوَاتَ الْجَمَاعَةِ تَقْطَعُ جِرْمَ الْهَوَاءِ أَكْثَرَ مِنْ صَوْتِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَكَذَا ذِكْرُ جَمَاعَةٍ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ أَكْثَرُ تَأْثِيرًا فِي رَفْعِ الْحُجُبِ مِنْ ذِكْرِ وَاحِدٍ، وَمِنْ حَيْثُ الثَّوَابِ فَلِكُلٍّ وَاحِدٍ ثَوَابُ ذِكْرِ نَفْسِهِ وَثَوَابُ ذِكْرِ رُفَقَائِهِ اهـ.

قلتُ: ولعل ذلك مأخوذ من فضل صلاة الجماعة على فضل صلاة المنفرد، فقد ورد تضعيف صلاة المصلي جماعة على صلاة المصلي وحده بخمس وعشرين أو سبع وعشرين بالأخبار الصحيحة.

ونُقل عن الإمام الباقر فيما محصله: أن في هذا الزمان الذي استحكمت فيه الفعلات، واستولت فيه البطلات، وحكم على النفس سلطان الشهوات، واستحوذ الشيطان على كثير من الخلق، فأنساهم ذكر اللَّه تعالى إلا قليلاً من أهل العنايات، فالاجتماع على الذكر فيما يظهر حسن متأكد الحسن لما فيه من إرغام الشيطان وحزبه ومقاومه أهل جموع الباطل بجموع الحق، والجهد في العلو عليهم، ودعاء أهل البطالة والملاهي لذكر اللَّه تعالى.

فالاجتماع على الذكر في هذا الزمان من أعظم الطاعت وأهم المهمات، لا سيما والاجتماع عليه فيه تشويق للذاكرين له سبحانه، وتنويه بشرف ذكره وإظهار الاهتمام به، ومزيد الاعتناء بشأنه ودعاء إليه، ولقاح القلوب من بعضها بعضًا، واستمداد الهمم من ذوي الهمم.

فإن المجموع على الذكر قل أن تخلوا من ولي لله تعالى، وإن لم يكن أهل الذكر أولياءًا للَّه تعالى فمن هم!؟.

ولعل هذا على حد ما نُقل عن الإمام الشافعي أو غيره من أكابر الفضلاء ما نصه أو معناه: إن لم يكن العلماء العاملون أولياء فليس لله وليّ. ولا شك أن الولي يمدّهم الحاضرين بإذن اللَّه تعالى، ويذكر باللَّه تعالى اهـ.

قلتُ: ولعل الذكر مع الاجتماع عليه مقبول قياسًا على ما ذكره بعض الفضلاء المُحققّين: أن صلاة الجماعة مقبولة أخذًا من عدم تفريق الصفقة، فإن المشتري إذا اشترى شيئًا بصفقة واحدة، وظهر ببعض المبيع عيب ليس له أخذ السليم ورد المعيب، بل ما أن يأخذ الكل أو يرد الكل. وهو استنباط لطيف حسن كما ترى.

على أن ما ورد في الحديث الذي آخره: «هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»، حيث «يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ»، غنية لمن تدبر، وكفاية لمن تبصر.

فتبيّن بذلك أنه لا شك في فضيلة الاجتماع على الذكر إلا مرتاب قد عدل عن طريق السداد والصواب، نسأل اللَّه تعالى التوفيق والهداية إلى أقوم طريق، والصلاة والسلام على الذاكر اللَّه تعالى على كل أحيان وعلى آله وصحبه وتابعيه، ومن وزن بميزانه اهـ.

وسمَّيتهُ بـ"الأَسْرَارِ المُتَزَاحِمَةِ عَلَى الأَنْوَارِ المُتَرَاكِمَةِ"، ومن اللَّه استمد العون، بجاه سيد الكون.

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ):

بدأ المُصنِّف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُصنَّفه بالبسملة لفظًا وخطًّا، تيمنًا واقتداءً بجميع كتب اللَّه تعالى المنزّلة، قال الحبر السني سيدي الجد السيد عبد اللَّه الميرغني في كتابه "كنز الفوائد" شرحه على عقيدته "بحر العقائد": أن العلامة أبو موسى التونسي نقل إجماع كل أمة على أن اللَّه افتتح جميع كتبه ببسم اللَّه الرحمن الرحيم.

وذكر نحو ذلك العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري في "حاشيته على جوهرة التوحيد"، إلا أنه قال: أبو بكر التونسي بدل أبو موسى.

وفي "رسالة العلامة البستاني في البسملة" عن بعض المحققين أنه قال: المختص بهذه الأمة كون البسملة بهذه الألفاظ على هذا الترتيب اهـ.

قلتُ: ويدل لذلك ما أخرجه الخطيب في "الجامع" عن أبي جعفر بن محمد بن علي: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِفْتَاحُ كُلِّ كِتَابٍ».

وقول كثير من المصنفين: أن الابتداء بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز.

لا منافاة بينه وبين من ذكر أنه اقتداءً بجميع كتب اللَّه تعالى.

وأخرج الحافظ عبد القادر الرهاوي بإسناد قال السيوطي: حسن، عن أبي هريرة مرفوعًا مرفوعًا: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ». والبال: الحال والشأن، وذو بال شريف يهتم ويحتفل به لاستمال القرآن على جميع معانيها، كما أفاد ذلك العلامة النسفي في "تفسيره"، ونقله عن العلامة أحمد بن حجازي الفشني في "شرح الأربعين النووية".

ويدل لذلك ما روي عن الحبر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[الأنعام: ٣٨]: «أن علوم الكتب المنزلة في القرآن، وأن علوم القرآن في الفاتحة، وأن علوم الفاتحة في بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». كذا في "تفسير الفاتحة" لمجد الدين الشيرازي الصديقي مُؤِّلف "القاموس".

وقد ورد في فضلها أحاديث جمَّة يكاد يحيط بها كثير من الأمة منها ما أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" وابن خزيمة في "كتاب البسملة"، والبيهقي، عن ابن عبَّاس قال: «اسْتَرَقَ الشَّيْطَانُ مِنَ النَّاسِ أَعْظَمَ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». وأخرج نحوه أبو عبيد وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "شُعَبِ الْإِيمَانِ" عَنْهُ أيضًا.

وَأَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِيُّ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ جِبْرِيلُ إِذَا جَاءَنِي بِالْوَحْيِ أَوَّلَ مَا يُلْقِي إِلَيَّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي "تَفْسِيرِهِ"، وَالْحَاكِمُ فِي "الْمُسْتَدْرَكِ" وَصَحَّحَهُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "شُعَبِ الْإِيمَانِ" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ: «هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اسْمِ اللَّهِ الْأَكْبَرِ، إِلَّا كَمَا بَيْنَ سَوَّادِ الْعَيْنِ وَبَيَاضِهَا مِنَ الْقُرْبِ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالثَّعْلَبِيُّ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ هَرَبَ الْغَيْمُ إِلَى الْمَشْرِقِ وَسَكَنَتِ الرِّيحُ، وَهَاجَ الْبَحْرُ

وَأَضْغَتِ الْبَهَائِمُ بِآذَانِهَا، وَرُجِمَتِ الشَّيَاطِينُ مِنَ السَّمَاءِ، وَحَلَفَ اللهُ تَعَالَى بِعِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ أَنْ لَا يُسَمَّى عَلَى شَيْءٍ إِلَّا بَارَكَ فِيهِ».

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ وَالدَّيْلَمِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «لَمَّا نَزَلَتْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ضَجَّتِ الْجِبَالُ حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ مَكَّةَ دَوِيَّهَا، فَقَالُوا: سَحَرَ مُحَمَّدٌ الْجِبَالَ، فَبَعَثَ اللهُ دُخَانًا حَتَّى أَظَلَّ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مُوقِنًا، سَبَّحَتْ مَعَهُ الْجِبَالُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهَا».

وَأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ أَرْبَعَةَ آلَافِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ دَرَجَةٍ».

وَعِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ رَدِيفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَثَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ نفس الشَّيْطَانُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تقل نفس الشَّيْطَانِ، فإنك إذا قلت نفس الشَّيْطَانُ تَعَاظَمَ، ويقول صَرَعْتُهُ، وَإِذَا قُلْتَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، تَصَاغَرَ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ».

وفي رواية النسائي وابن مردويه: «لَا تَقُلْ هَكَذَا، فَإِنَّهُ يَتَعَاظَمُ حَتَّى يَكُونَ كَالْبَيْتِ، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَصْغُرُ حَتَّى يَكُونَ كَالذُّبَابَةِ».

وذكر محمد بن عثمان الخرساني عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَتَبَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَعْظِيمًا لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ غَفَرَ لَهُ، وَمَنْ رَفَعَ

قِرْطَاسًا مِنَ الأَرْضِ فِيهِ البَسْمَلة إِجْلَالًا لِلَّهِ تَعَالَى أَنْ يُدَاسَ، كُتِبَ عِنْدَ اللهِ مِنَ الصِّدِّيقِينَ». وقال: «لَا يُرَدُّ دُعَاء أَوَّلهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

ورُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَتَبَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَلَمْ يُعَوِّرِ الْهَاءَ الَّتِي فِي اللهِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَى عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ».

وعن أنس يرفعه: «سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا نَزَعُوا ثِيَابَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

وَرَوَى ابْنُ مَرْدُويه بسنده: عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ لَمْ تَنْزِلْ عَلَى نَبِيٍّ غَيْرِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ وَغَيْرِي، وَهِيَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

وفي "المصباح الداعي إلى الفلاح" لسيدي العارف بالله القطب ابن عطاء الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يروى: أن اللَّه تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء: من أتاني وفي صحيفته أربعة آلاف مرَّة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ركزت لواؤه إلى قائمة من قوائم العرش، وشفّعته في اثنى عشر ألف عتيق، قد استوجبوا النار ولولا أني قضيت على نفس بالموت، ما قبضت روحه ولا يمنعه أن يدخل الجنة، إلا أن ينزل به الموت اهـ.

وفي "رسالة الفاضل البستاني في البسملة": وقد روى أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من قال عند دخوله بيته: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وعند طعامه، قال الشيطان لأعوانه: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا

دَخَلَ وَلَمْ يَذْكُرهَا عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَان: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عِنْدَ طعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ».

وذكر العارف باللَّه سبط المرصفي في كتابه "الكشف الأتم عن اسم اللَّه الأعظم": أن اسم اللَّه الأعظم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كلها.

وفي "لباب الحديث" للحافظ السيوطي مرفوعًا: «ما من عبد يقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إلا ذاب الشيطان كما يذوب الرصاص من النار».

وفيه أيضًا مرفوعًا: «ما من عبد يقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إلا أمر اللَّه الكرام الكاتبين أن يكتبوا له في ثوابه أربعمائة حسنة، ويمحوا عنه أربعمائة سيئة».

وفيه أيضًا عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كتب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تعظيمًا لله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

ومنه أيضًا مرفوعًا: «إن اللَّه سبحانه وتعالى زَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالْكَوَاكِبِ، وزيَّن الملائكة بجبريل عليه السلام، وزيَّن الجنة بالحور والقصور، وزيَّن الأيام بيوم الجمعة، وزيَّن الدنيا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزيَّن الليالي بليلة القدر، وزيَّن الشهور بشهر رمضان، وزيَّن المساجد بالكعبة، وزيَّن الكتب بالقرآن، وزيَّن القرآن بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

ومنه أيضًا مرفوعًا: «من قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كتب اسمه مع الأبرار، وبرئ من الكفر والنفاق». وفيه أيضًا: قال عليه الصلاة والسلام:

«من قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر» اهـ.

وفي "رياض الطالبين" للحافظ السيوطي أيضًا ما لفظه ختم.

رُوِي عن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه نظر إلى رجل يكتب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فقال: جوَّدها، فإن رجلاً جوَّدها فغُفِر له اه.

وفيه أيضًا: أن رجلاً كتب إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن لي صداعًا لا يسكن، فأبعث إليَّ دواء، فبعث إليه قلنسوة، فكان إذا وضعها على رأسه سكن، وإذا رفعها عاد الصداع، ففتحها فإذا كاغد فيه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اهـ.

وسئل العارف بالله سيدي الشيخ أبو العباس ابن عطاء الله: إلى ما تسكن قلوب العارفين؟، قال: إلى قوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لأن في بسم الله هيبة، وفي اسم الرحمن عونه ونصرته، وفي اسم الرحيم محبته ومودته.

ونُقل عن بعض المحققين أنه كان رجلاً يصوم الدهر، ولم يره أحد يأكل ولا يشرب، غير أنه يخرج من جيبه ورقة عند إفطاره، ثم ينظر إليها، فلما مات أخرجها الغاسل من جيبه، فوجد فيها البسملة، فتعجب من ذلك، فهتف به هاتف: لا تعجب فإننا بالتسمية ربيّناه، وبالرحمانية غفرنا ذنوبه، وبالرحيمة وفَّقناه اهـ.

واعلم أن عدد حروف البسملة تسعة عشر حرف، وعدد خزنة النار تسعة عشر، كما ذكر الله تعالى في كتابه في سورة المدثر حيث قال:

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[المدثر: ٣٠]، في ذكر سياق سقر، قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: فمن أراد أن ينجّيه الله تعالى من الزبانية فليقلها ليجعل الله له بكل حرف جُنَّة –بضم الجيم- أي: وقاية، من واحد منهم فيها قوتهم وبها استضلعوا اهـ.

وفي الفصل الثاني والثلاثين من "صلاة التتارخينة" نقلاً عن "كفاية الشعبي" قال: حُكي عن بعض المتقدّمين أنه أوصى إلى ابنه فقال: إذا أنا مت وغسلت، فاكتب على جبهتي وصدري بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قال: ففعلت ذلك، ثم رأيته في المنام فسألته عن حاله، فقال: لما وضعت في القبر جاءتني ملائكة العذاب ولما رأوا مكتوبًا على جبهتي وصدري بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أمنتُ من العذاب اهـ.

ثم اعلم أنه قد اختلف أهل العلم في البسملة هل هي آية مستقلة في أول كل سورة كتبت في أولها؟، فقيل: نعم، وهو أصح أحد قولين للشافعي في ذلك، وهو قول عبد الله بن المبارك لأنها مكتوبة كذلك في مصاحف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبهذا قال أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا. وفي رواية عنه قيل: أنها آية من الفاتحة فقط دون غيرها، وهو قول للشافعي وأحمد.

وقيل: أنها آية مستقلة ليست من الفاتحة، ولا من كل سورة، وبه قال الحنفية، وعليه القاضي أبو بكر الباقلاني وغيره من الشافعية. ويدل له ما رواه أبو داود وغيره عن ابن عباس «أن رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لا يعرف فصل السور حتى ينزل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

وقيل: ليست من القرآن أصلاً، وهو قول ابن مسعود ومذهب مالك، والمشهور من مذهب قدامى الحنفية، وعليه قُرَّاء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها. إلا أنها بعض آية في النمل، فهي فيها من القرآن إجماعًا.

قال الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي: ويكفيك في عدم عدّها من القرآن عدم اختلاف الناس فيها، والقرآن لا يختلف فيه اهـ.

وقيل: أنها آية تامة في الفاتحة، وبعض آية في البواقي. وقيل: بعض آية في الكل. وقيل: ليست من القرآن إلا في الفاتحة. وقيل: غير ذلك. وأقرب هذه الأقوال إلى الصواب فيما يظهر القول الأول.

ثم اعلم أن القاعدة أن كل حرف جر أصلي لا بد له من متعلّق يتعلّق به، فمتعلّق الباء هنا محذوف مؤخر خاص وهو اقرأ، لأنه المناسب لما جعلت التسمية مبدأً له، ومن قدَّره مُقدَّمًا كان غرض الدلالة التقديمية الاهتمام بشأن الفعل، ومن قدَّره مؤخرًا كان غرض الدلالة التأخيرية على الاختصاص مع ما يحصل، وفي ضمن ذلك من العناية بشأن الاسم، والإشارة إلى أن البداية به أهمّ، لكون التبرُّك حصل به.

وبهذا يظهر رجحان تقدير الفعل مؤخرًا، ومن أجل المناسب يتبيّن رجحان تقديره خاصًّا، وهذا الفعل يسمَّى فعل الشروع، ولا يعارض رجحان تأخيره تقديمه في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[العلق: ١]، لأن ذلك المقام مقام القراءة فكان الأمر بها أهمّ.

وقد وقع خلاف بين أئمة العربية في كون المقدّر اسمًا أو فعلاً، أيهما أولى؟، ولا يتعلّق بذلك كبير فائدة ولا طائل تحته.

وهل الباء للاستعاذة أو المصاحبة أو الملابسة؟، أقوالٌ، رجح الزمخشري الثاني، واشتهر في السعادات المكية كون الثاني أو الثالث أولى للسلامة من الإخلال بالأدب المستعر به الأول من جعل اسم الله تعالى آلة مقصودًا لغيره لا لذاته اهـ.

والاسم من السمو عند البصريين، ومن وسم عند الكوفيين.

وهل هو عين المسمى أو غيره؟ أو لا عينه ولا غيره؟، ورجح كونه غيره باعتبار اللفظ عينه باعتبار المعنى، وفي ذلك بحث مبسوط في علم الكلام.

ولفظ الجلالة أعرف المعارف كما نُقل عن الخليل وسيبويه، وجرى على ذلك الجمهور، والأصح المختار عند الجمهور أنه عربي.

وقال البلخي من المعتزلة: أنه عبراني معرّب أو فارسي معرّب. وقيل: سرياني معرّب أيضًا.

وهل هو مشتق أو مرتجل؟، فيه خلاف، قال بعضهم: والصواب أنه أصل برأسه غير مأخوذ من شيء، أي ليس مشتقًا لا من صفة ذاتية ولا من صفة فعلية، وإنما هو اسم جرى به الباري في وصفه مجرى أسماء الأعلام، لا يشركه فيه غيره، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: ٦٥]، أي: هل تعلم أحدًا يسمى الله غيره؟.

فهو علم وضع ابتداءًا، فكما أن ذاته لا يحيط بها شيء، ولا ترجع إلى شيء، فكذلك اسمه تعالى، فهو التحقيق، وهو بالقبول حقيق، وهو قول الخليل وسيبويه والمازني وأبي يزيد البلخي، وابن كيسان، واختيار أبي

بكر الشاشي، وهو اختيار الجمهور كما تقدّم، عزاه أبو حبان للأكثرين، وابن خروف لأكثر الأشعرية اهـ.

وعليه أكابر المعتبرين من أهل النقل كالشافعي ومحمد بن الحسن والخطابي وإمام الحرمين والغزالي والإمام فخر الدين، ونسبه لأكثر الأصوليين والفقهاء اهـ.

وقيل: أنه مشتق، قاله البغوي ونسبه الواحدي إلى الأكثرين. واختُلف في اشتقاقه على نحو ثلاثين قولاً، سردها كلها أو غالبها المجد الشيرازي اللغوي في "تفسير الفاتحة".

ثم هو علم على الذات الواجب الوجود لذاته المستحق لكل كمال، المُنزّه عن كل ما يخطر بالبال، أو ما يوهم أدنى نقص أو إخلال.

قال الفاضل أبو العلا الطرابلسي في "حاشيته شرح القطر" لمصنفه: اللَّه أعلم بالغلبة التقديرية على الذات الواجب الوجود لذاته، دال عليه سبحانه دلالة جامعة لمعاني أسمائه الحسنى كلها، ما عُلم منها وما لم نعلم، ولذا يقال في كل اسم من أسمائه الكريمة سوى هو اسم من أسماء اللَّه تعالى.

وحكى الإمام في معنى الإله ثلاثة أقوال: أحدها أنه المعبود، والثاني أنه المستحق للعبادة، والثالثة أنه القادر على أفعال يفعلها اهـ.

وفي "شرح الكواكب الوقَّاد" للعلامة عز الدين ابن جماعة: حُكي أن الأشعري رئي في النوم فقيل له: ما فعل اللَّه بك؟، قال: غفر لي، قيل: بماذا؟، قال: بقولي علمية اللَّه. أفاده العلامة السيوطي في "حاشية البيضاوي" اهـ.

والرحمن الرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة على سبي المبالغة، بعد تنزيل فعلهما منزلة اللازم، ورحمن أشد مبالغة من رحيم.

وفي كلام ابن جرير ما يُفهم حكاية الاتفاق على هذا، ولذلك قالوا: رحمان الدنيا ورحيم الآخرة. والأصح أن في ذلك خلافًا، غير أن الجمهور على أن الرحمن أبلغ. قالوا: لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى. وقيل: الرحيم أبلغ لأن فعيلاً من صيغ المبالغة، وفي اللازم والمتعدي، ولما ورد أيضًا رحيم الدنيا ورحمن الآخرة.

وقيل: بتساويهما، وأنه لا فرق بينهما، بل معناهما متحد، وإليه ذهب الجوهري، ويدل له ما ورد أيضًا في بعض الروايات: رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها. وقيل: جهة المبالغة فيهما مختلفة.

قال المجد الشيرازي في "تفسير الفاتحة" ما نصه: وقيل: جهة المبالغة فيهما مختلفة، ففي فعلان الأمثال والغلبة كغضبان وسكران، وفي فعيل التكرر والوقوع، ولذى عدَّى نحو: زيد رحيم بالمساكين، وقالوا: هو حفيظ علمك، وعليم غيرك، قاله ابن سيده اهـ. وقال أيضًا: وعلى تقدير الترادف، قيل: جمعا تأكيدًا كحادٍ ومُحد اهـ الغرض منه.

وبالجملة فتفسير هذه الآية قد أُفرِد بالتآليف والتصانيف، ولا يمكن ضبطه في جزء لطيف.

(اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّاتِهِ وَآلِ بَيْتِهِ وسَلِّمْ):

اعلم أنه قد أُلِّفت في فضل الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التآليف العديدة، وصُنِّفت في ذلك الشأن التصانيف المفيدة، وقد ورد في الحديث عليهما والترغيب فيهما الأحاديث الكثيرة التي لا تكاد تحصر.

من ذلك ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا». وأخرجه أيضًا من حديثه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان. وفي بعض ألفاظه: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ». كذا في "سنن الترمذي".

وفي لفظ أحمد والنسائي: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ». وأخرجه أيضًا ابن حبان في "صحيحه"، والحاكم في "مستدركه" قال: صحيح الإسناد، وأقرَّه الذهبي، وهو عند هؤلاء من حديث أنس.

وأخرج أحمد والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف: «إِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلا أُبَشِّرُكَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ». قال الحاكم: صحيح الإسناد. وأخرجه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى بلفظ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً مِنْ أُمَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَى عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ».

وأخرج النسائي والطبراني والبزَّار من حديث أَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً

مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَى عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ».

وأخرج نحوه ابن أبي عاصم من حديث البراء بن عازب وزاد: «وَكُنَّ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ».

وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمر بلفظ: «فَإِنَّ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا».

وأخرج أحمد والنسائي عن أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: «أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبِشْرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِكَ الْبِشْرُ، قَالَ: أَجَلْ، أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ».

وأخرج الطبراني من حديث أنس قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ آنِفًا عَنْ رَبِّهِ فَقَالَ: مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيْكَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَّا صَلَّيْتُ أَنَا وَمَلَائِكَتِي عَلَيْهِ عَشْرًا». وأخرج الطبراني في "الكبير" من حديث أبي أمامة نحوه.

وأخرج النسائي وابن حبان من حديث أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ: «أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا». وأخرجه أيضًا من حديث أحمد في "المسند" بهذا

اللفظ، وزاد قال –يعني النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«بَلَى». وأخرجه أيضًا الطبراني وقد صحَّحه ابن حبان.

وأخرج الحاكم في "المستدرك" وأحمد من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ مرفوعًا: «إِنِّي لَقِيتُ جِبْرِيلَ فَبَشَّرَنِي وَقَالَ: رَبّكَ يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ شُكْرًا لِلَّهِ». قال الحاكم: صحيح الإسناد.

ولفظ الحديث عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى دَخَلَ نَخْلًا فَسَجَدَ، فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى خفْتُ -أَوْ خَشِيتُ- أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ تَوَفَّاهُ –أَوْ قبضَهُ-، قَالَ: فَجِئْتُ أَنْظُرُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: مَا لَكَ يا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟، قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِي: أَلا أُبَشِّرك أَن اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ شُكْرًا لِلَّهِ». وقال الهيثمي: وفي إسناده من لم أعرفه.

وأخرج النسائي وابن حبان والطبراني من حديث أنس مرفوعًا: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكُتِبَ لَهُ بِهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ». وأخرجه أيضًا أحمد في "المسند" والبخاري في "الأدب" والحاكم في "المستدرك"، وقال: صحيح، وأقرَّه الذهبي، وصحَّحه ابن حبان، وقال ابن حجر: رواته ثقات.

وأخرج أحمد في "المسند" من حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ وَمَلَائِكَتُه عَلَيْهِ سَبْعِينَ صَلَاة». وقال المنذري في "الترغيب والترهيب": أخرجه أحمد بإسناد حسن، وكذلك حسّنه الهيثمي، وتمامه: «فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ».

والجمع بين هذا الحديث وبين حديث مجازاة المصلي بعشر أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُعلّم بهذا الثواب شيئًا فشيئًا، فكلما أُعلِم بشيء أخبر به، والله أعلم.

وأخرج ابن حبان وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْم الْقِيَامَة، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّة لِلثَّوَابِ». وأخرجه أيضًا أحمد من حديثه، قال المنذري: بإسناد صحيح، وأخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري، وصحَّحه ابن حبان، وأخرجه أبو داود.

والترمذي وقال: حديث حسن، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا عَنِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ». وأخرجه الترمذي أيضًا من حديث أبي سعيد، وقال: حديث حسن.

وأخرج الترمذي وابن حبان من حديث ابن مسعود: «أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً». قال الترمذي بعد إخراجه: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وقال ابن حبان: صحيح. وقال العلّامة المُحقّق القاضي محمد بن علي الشوكاني: وَلَا يُنَافِي هَذَا التَّصْحِيح كَون فِي إِسْنَاده مُوسَى بن يَعْقُوب

الزمعِي، فَإِنَّهُ قد وَثَّقَهُ ابْن معِين وَأَبُو دَاوُد، وَلَا يضرّهُ قَول النَّسَائِيّ لَيْسَ بِالْقَوِيّ اهـ.

وأخرج الترمذي وابن حبان من حديث الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ مَرْفُوعًا: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»، قال الترمذي بعد إخراجه: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وصحَّح ابن حبان، وأخرجه أيضًا من حديث أحمد في "المسند" والنسائي، والحاكم في "المستدرك" وقال: صحيح، وأقرّه الذهبي، وهو من رواية عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيّ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الحُسَيْنِ. وقد رُوِي من حديث علي بن أبي طالب كما في "سنن الترمذي" وقال: حديث غريب صحيح.

وفي "الإكمال" معزوًا إلى ابن حبان وابن عدي في "الكامل"، والبيهقي في "الشعب"، من حديث الحديث بلفظ: «إِنَّ الْبَخِيلَ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»، على هكذا ذكره بزيادة لفظ إِنَّ في أوله.

وأخرج الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»، قال الترمذي بعد إخراجه: حديث غريب. وأخرجه أيضًا من حديثه الحاكم، وقال: صحيح، وقال ابن حجر: وله شواهد.

وأخرج النسائي والطبراني في "الأوسط" من حديث أنس مرفوعًا: «مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ»، وأخرجه أيضًا من حديثه في "الكبير"، وابن السني، وتمامه: «فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا». قال الحافظ النووي في "الأذكار": إسناده جيد. وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

وفي الحديث دليلٌ على وجوب الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذكره، وممن قال بذلك الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي، وجماعة من الشافعية، وابن بطة من الحنابلة. وحُكي عن اللخمي من المالكية، وعليه جمعٌ محقُّون من علماء كل مذهب، ومما يدل على ذلك ما تقدَّم قبل هذا.

ومما يدل عليه أيضًا ما أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" من حديث جابر بلفظ: «مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ فقَدْ شَقِيَ». وقد ضعَّف الإمام النووي في "الأذكار" إسناده.

وما أخرجه الطبراني في "الكبير" عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَخَطِئَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ».

وأخرج ابن ماجه والطبراني من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ فَقَدْ خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ». وورد في روايةٍ: «مَنْ ذُكَرْت عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ فَقَدْ جَفَانِي».

فيؤخذ منه الوجوب أيضًا، لأن جفائه عليه الصلاة والسلام واجب التوقّي.

وأخرج الترمذي والحاكم في "المستدرك" من حديث أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلتُ لَكَ صَلاتِي كُلَّهَا، قَالَ: إِذَنْ تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ

ذَنْبُكَ». قال العلاَّمة الشوكاني في "تحفة الذاكرين": قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح.

وأخرجه أيضًا أحمد في "المسند"، ولفظ الحديث قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ رُبُعُ اللَّيْلِ قَامَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟، قَالَ: مَا شِئْتَ، قَالَ: الرُّبُعُ؟، قَالَ: وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قَالَ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟، قَالَ: إِذَنْ تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ».

وفي رواية لأحمد عنه قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلْتُ صَلَاتِي كُلَّهَا عَلَيْكَ؟، قَالَ: إِذَنْ يَكْفِيكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا أَهَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ». قال المنذري: وإسناد هذه الزيادة جيد.

وأخرج الطبراني بإسناد حسن عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْعَلُ ثُلُثَ صَلَاتِي عَلَيْكَ؟، قَالَ: نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، قَالَ: الثُّلُثَيْنِ؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَصَلَاتِي كُلَّهَا؟، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَنْ يَكْفِيكَ اللَّهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ».

قيل: المُراد بالصلاة هنا معناها اللغوي وهو الدعاء، ومن جُمليَّة الصلاة على رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس المُراد الصلاة ذات الأركان والأذكار، وفي هاتين الخصلتين وهي كفاية لهم وغفر الذنب

جماع خيري الدنيا والآخرة، إذ من كفاه الله همه فقد سلم من محن الدنيا، ومن غفر ذنبه فقد سلم من محن الآخرة.

وأخرج البيهقي في "الشعب" من حديث جابر مرفوعًا: «لَا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ، يَمْلأُ قَدَحَهُ مَاءً ثُمَّ يَضَعُهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ فِي مَعَالِيقِهِ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ جَاءَ إِلَى القَدَحِ، فَإِنْ كانَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الشَّرَابِ شَرِبَ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَاجَة فِي الشَّرَابِ تَوَضَّأَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَاجَةٌ فِي الوُضُوءِ أَهْرَاقَهُ، وَلَكِنِ اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعَاءِ وَفِي آخِرِ الدُّعَاءِ».

وأخرج عبد الرزَّاق وعبد بن حميد والعقيلي وضعَّفه، من حديث جابر أيضًا: «لَا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ، فَإِنَّ الرَّاكِبَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْطَلِقَ عَلَّقَ مَعَالِقَهُ، وَأَخَذ قَدَحهُ فَمَلأَهُ مِنَ المَاءِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى الْوُضُوءِ تَوَضَّأَ، وَإِنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الشُّرْبِ شَرِبَ، وَإِلَّا أَهْرَاقَ مَا فِيهِ، اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعَاءِ، وَفِي وَسَطِ الدُّعَاءِ، وَفِي آخِرِ الدُّعَاءِ».

وأخرج ابن النجَّار عن ابن مسعود مرفوعًا: «لَا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ يَجْعَل مَاءَهُ فِي قَدَحِهِ، فَإِنِ احْتَاجَ إِلَيْهِ شَرِبَهُ، وَإِلَاّ صَبَّهُ، اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ كَلَامِكُمْ وَأَوْسَطِهِ وَآخِرِهِ» اهـ.

وأخرج الطبراني في "الأوسط" من حديث علِيّ: «كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ». قال الحافظ المنذري: إنه موقوف، ورواته ثقات، ورفعه بعضهم، والموقوف أصحّ اهـ.وقال الهيثمي: رجاله ثقات. وأخرجه البيهقي في "الشعب" من حديثه.

وأخرج الديلمي في "مسند الفردوس" من حديث أنس بلفظ: «كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» وفي إسناده محمد بن عبد العزيز الدِّينَوَرِيّ، قال الذهبي في "الضعفاء": مُنكر الحديث.

وأخرج الترمذي عَنْ أَبِي قُرَّةَ الأَسَدِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ، حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّك مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وللوقف فِي مثل هَذَا حكم الرّفْع لِأَن ذَلِك مِمَّا لَا مجَال للِاجْتِهَاد فِيهِ، كذا في "تحفة الذاكرين" للإمام الشوكاني.

وقال بعده: وَيشْهد لما فِي الْبَاب مَا أخرجه أَحْمد وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ، وَالتِّرْمِذِيّ وَقَالَ: حسن، وَابْن خُزَيْمَة وَابْن حبَان وصحّحاه من حَدِيث فَضَالَة بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَسْجِد إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَجِلْتَ أَيُّهَا الرَّجُل، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ، قَالَ: ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا المُصَلِّي ادْعُ تُجَبْ» اهـ.

وأخرج النسائي وابن حبان والحاكم في "المستدرك" من حديث ابْنِ مَسْعُودٍ مرفوعًا: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونَ عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ». قال العلاَّمة الربَّانِيّ الإمام محمد بن علي الشوكاني في "تحفة الذاكرين": قَالَ

الْحَاكِم: صَحِيح، وَأقرَّهُ الذَّهَبِيّ، وَصَحَّحهُ ابْن حبَان، وَقَالَ الهيثمي: رِجَاله رجال الصَّحِيح. وَأخرجه أَيْضًا أَحْمد فِي "الْمسند".

وَأخرج الطَّبَرَانِيّ فِي "الْكَبِير" بِإِسْنَاد حسن من الْحَسَنِ بْنِ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي».

وَأخرج الطَّبَرَانِيّ فِي "الْأَوْسَط" بِإِسْنَاد لَا بَأْس بِهِ من حَدِيث أنس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ بَلَغَتْنِي صَلَاتُهُ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَكُتِبَتْ لَهُ سِوَى ذَلِك عَشْرُ حَسَنَاتٍ».

وأخرج أَبُو دَاوُد من حَدِيث أبي هُرَيْرَة مرفوعًا: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ» قَالَ النَّوَوِيّ فِي "الْأَذْكَار": إِسْنَاده صَحِيح، وَكَذَا قَالَ فِي "رياض الصالحين"، وَقَالَ ابْن حجر: رُوَاته ثِقَات وَأخرجه أَحْمد فِي "الْمسند" من حديثه.

وَأخرج الْبَزَّار وَأَبُو الشَّيْخ من حَدِيث عمَّار بن يَاسر قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِقَبْرِي مَلَكًا فَأَعْطَاهُ أَسْمَاعَ الْخَلَائِقِ، فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَبْلَغَنِي بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ، هَذَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ قَدْ صَلَّى عَلَيْكَ» زَاد أَبُو الشَّيْخ: «فَيُصَلِّي الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرًا». وَأخرجه الطَّبَرَانِيّ فِي "الْكَبِير" بِنَحْوِهِ.

قال فِي "تحفة الذاكرين" ما نصه: قَوْله: «إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي» لفظ أَحْمد: «إِلَّا رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رُوحِي». قَالَ الْقُسْطَلَانِيّ: وَهُوَ ألطف وأنسب وَبَين

التعديتين فرق لطيف، فَإِن رَدَّ يتعَدَّى كَمَا قَالَ بعَلَيَّ فِي الإهانة، وبإلى فِي الْإِكْرَام.

وَقيل: وَالْمُرَاد بِرَدّ الرُّوح النُّطْق لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ فِي قَبره وروحه لَا تُفَارِقهُ، لما صَحَّ أَن الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِمْ السَّلَامُ أَحيَاءٌ فِي قُبُورهم، كَذَا قَالَ ابْن الملقن وَغَيره.

وَقَالَ ابْن حجر: الْأَحْسَن أَن يُؤَوّل رَدّ الرُّوح بِحُضُور الْفِكر، كَمَا قَالُوهُ فِي خبر: «يُغَانُ عَلَى قَلْبِي» بالنُّورِ. وَقَالَ الطِّيبِيّ: مَعْنَاهُ أَنَّهَا تكون روحه القُدسيَّة فِي الحضرة الإلهيَّة، فَإِن بلغه السَّلَام من أُحْد من الْأُمَّة ردَّ اللَّه روحه فِي تِلْكَ الْحَالة إِلَى رَدّ سَلام من يُسَلِّم عَلَيْهِ.

وَفِي الْمقَام أجوبة كَثِيرَة، وَهَذَا الَّذِي ذكرنَا أحْسنهَا، والاقتصار فِي الحَدِيث على السَّلَام لَا يدل على أَن الصَّلَاة لَيست كَذَلِك اهـ.

يعني بل حكمها واحد.

ثم اختيار المصنِّف للصيغة الذي ذكرها بما يدل على استحسان ذلك ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الأَوْفَى، إِذَا صَلَّى عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

قال في "تحفة الذاكرين": وَأخرجه أَيْضًا من حَدِيثه أبو داود والْبَيْهَقِيّ، وَفِيه التَّرْغِيب الْعَظِيم إِلَى أَن تكون الصَّلَاة على النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تِلْكَ الصِّفة، وأصل الحَدِيث ثَابتٌ فِي "الصَّحِيحَيْنِ" وَغيرهمَا من

الْأُمَّهَات السِّت من دون قَوْله: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الأَوْفَى»، فَإِنَّهُ تفرَّد بذلك مُسلم وَأَبُو دَاوُد اهـ.

والأزواج جمع زوجة، يطلق على الذكر والأنثى، ويقال في الأُنثى زوجة بهاء التأنيث، ولكن تركها أفصح.

وأزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خديجة، فسودة، فعائشة، فحفصة، فزينب بن خزيمة الهلاليَّة، فأم سلمة، فزينب بنت جحش، فجورية بنت الحارث المصطلقية، فريحانة من بني النضير أخوة قريظة، فأم حبيبة بنت أبي سفيان، فصفية الإسرائيلية، فميمونة الهلالية. فهؤلاء ثنتا عشر جملة من دخل بهن. وقال ابن حجر الهيتمي: وعقد على سبع لم يدخل بهن.

وجاء في رواية من روايات الصلاة كما مرَّ وصفهن بأمهات المؤمنين، فيخرج غير المدخول بهن.

والذُّرِيَّات: جمع ذُرِيَّة -بضمّ المعجمة وقد تُكسر- : نسل الإنسان من ذكر وأنثى، وقد يختصّ بالنساء والأطفال، ومنه ذراري المشركين من الذرء، وهو الخلق، سقطت همزتها لكثرة استعمالها. وقيل: من ذَرَّ فَرَّقَ. وقيل: من الذَّر وهو النَّمل الصغير لأنهم خلقوا أولًا مثله، وعليهما فلا همزة فيه.

قال المُحقّق ابن حجر: فيدخل فيهم أولاد البنات اتّفاقًا إلا عند أبي حنيفة ورواية لأحمد. ومحل الخلاف في غير أولاد الزهراء، لإجماعهم على دخولهم في ذُرِيّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خُصوصِيَّةٌ لهم اهـ.

قلتُ: الأحاديث وردت تدل على ذلك، وأهل بيته المُراد بهم آله.

وفي الآل اختلاف كثيرٌ أو أكثر، والراجح أنهم في مقام الدعاءء أُمَّة الإجابة، ومال إليه مالك، واختاره الأزهري وبعض الشافعية، ورجحه النووي في "شرح مسلم".

قال المُحققِّ ابن حجر: لكن قيَّده القاضي حسين وغيره بالأتقياء منهم، وضُعِّف بأن المُراد بالصلاة عليهم الرحمة المطلقة، وهي تعمّ غير الأتقياء أيضًا.

وخبر: «آلُ مُحَمَّدٍ كُلُّ تَقِيٍّ» سنده واهٍ جِدًّا، وجاء عن جابر من قوله بسند ضعيف اهـ. بعد ما رجحّه النووي صار الآن قول الجمهور، واللَّه أعلم.

ومَنْ أرادَ الوقوف على بعض فضل الصلاة على النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ، فعليه بـ"جلاء الأفهام" لابن قيم الجوزية، وبـ"القول البديع" للسخاوي، وبغيرهما مما هو موالف في هذا الشأن.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ نَفَسٍ وَلَمْحَةٍ وَلَحْظَةٍ وَطرْفَةٍ يَطْرِفُ بِهَا أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الأَرْضِ، وَكُلِّ شَيْءٍ هُوَ فِي عِلْمِكَ كَائِنٌ أَوْ قَدَ كَانَ).

(أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾):

في "فوائد الإمام أحمد زين العابدين الشرجي" ما لفظه: أورد الحكيم الترمذي حديثًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أنه قد لقي جِبْرِيل موسى عَلَيْهِمَا السَّلَام فقال له: إِنّ رَبّك يَقُول: مَن قَالَ فِي دبر كل صَلَاة مَكْتُوبَة: اللَّهُمَّ إِنّي أُقدّم إِلَيْك كُلّ ساعة ونفس ولمحة، وطرفة يطرف بهَا أهل السَّمَوَات وَأهل الأَرْض، وكل شَيْء هُوَ في علمك كَائِن أَو قد كَانَ، أُقدّم إِلَيْك بَين يَدَيْ ذَلِك كُلّه، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة: ٢٥٥] إِلَى آخر الآية ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، فَإِن اللَّيْل وَالنَّهَار أَربع وَعِشْرُونَ سَاعَة، يصعد مِنْهُ في كل ساعة منه سَبْعُونَ ألف ألف حَسَنَة، حَتَّى ينْفخ فِي الصُّور» اهـ. هذا لفظ الشرجي في "فوائده".

ثم رأيتُ بخط بعض الفضلاء معزوًا إلى "فوائد الشرجي" أيضًا ما لفظه على وفاق لفظ المُصنّف حرفًا بحرفٍ.

والنفس بالتحريك: وهو الريح المتردد الخارج من الحيوان ما دام حيًّا. ويطلق على النفس على الإسعادات والإمدادات، والروحانية التي بها حياة الروح القدسية، تشبيهًا لها بالنفس الدال على الحيوان ما دام موجودًا فيه.

وفي "مطالع المسرات" للمُحقّق العلامة الفاسي: النفس بالتحريك: وهو دفع البخار الدخاني على القلب، وهو خاصٌّ بكل ذي رئة، وجمعه أنفاس، ومطلق على قدره من الزمان، وهو المراد هنا، ولهذا قيل: الأنفاس أزمنة دقيقة، تتعاقب على العبد ما دام حيًّا، وعدد أنفاس اليوم والليلة قيل: أربعة وعشرون ألف نفس اهـ.

وفي "مطالع المسرات": طَرْفة -بفتح الطاء المهملة وسكون الراء- : يقال طرفه بعينه إذا حرَّك جفنها، وطرف البصر طرفًا تحرَّك، والمرة منه طرفة، ويقال أن الطرفات ضِعف الأنفاس، لأن كل نَفَس طرفتان، فعددها على ما تقدَّم ثمان وأربعون ألف طرفة في اليوم والليلة اهـ.

واللمحة -بتقديم اللام على الميم وبعد الميم حاء مهملة- : هي النظر بسرعة. وقال في "القاموس": أن اللمح: اختلاس النظر اهـ. وفي "مطالع المسرات": اللمحة -بفتح اللام وسكون الميم- : النظرة الخفية المختلسة اهـ.

واللحظة: من اللحاظ وهو: النظر بمؤق العين، ويقال: النظر بمؤخر العين، والمراد هنا ما هو بمعنى اللمحة من النظر بسرعة، والطرفة مقدار انطباق جفن العين وانفتاحه، ومعنى هذه الثلاثة أو الأبعة متقارب، وطَرَفَ بابه ضَرَبَ.

وأهل السماوات والأرض: المُراد ساكنوها، والسماوات جمع سماء، لُغَةً: كل ما علا وارتفع. واصطلاحًا: اختُلف في صفة أجرامها، والأصح أن السماوات سبع وكذا الأرضين سبع، لما دلَّت عليه الآيات الصريحة والأخبار المشهورة والصحيحة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[الطلاق: ١٢]، أي: وخلق من الأرض مثلهن في العدد لا في البيئة والشكل.

وفي الخبر المُتّفق عليه: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» اهـ. وقِيد -بكسر القاف- أيْ: قَدْر. وفي حديث البيهقي: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ».

قيل: وإنما أُفرِدت في القرآن لاتّحاد جنسها وهو التراب. وذكر بعضهم أن الحكمة في إفرادها في القرآن ثقل جمعها لفظًا.

تتمة: الأرض العليا أفضل مما تحتها، لاستقرار ذرية آدم فيها، ولانتفاعها بها، ودفن الأنبياء عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بها، ومهبط الوحي، وغيره من الملائكة. قاله في "الأسرار".

ونُقِل عن بَعْضِهِمْ: أنَّ السَّمَاء الدُّنيا أَفْضَلُ مِمَّا سِوَاهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[الملك: ٥] قال الحافظ السيوطي: قُلْتُ: قَدْ وَرَدَ الْأَثَرُ بِخِلَافِهِ.

أَخْرَجَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ فِي كِتَابِ "الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «سَيِّدُ السَّمَاوَاتِ السَّمَاءُ الَّتِي فِيهَا الْعَرْشُ، وَسَيِّدُ الْأَرَاضِينَ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا» اهـ.

قال القاضي عياض: وليس في غلظ الأرض وطبقاتها وما بينهما حديثٌ ثابتٌ اهـ قوله.

(وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان):

أيْ: أُقدّم إليك بين يدَيْ كُلّ شيء هو في علمك متحقّقٌ ثابتٌ كائنٌ، أيْ: مُقدّر في الحال أو في الاستقبال، أو هو قد كان أيْ: قد وُجد فيما مضى من الزمان. أُقدّم إليك بين يدَيْ ذلك كُلّه أيْ: اجعل مقدمًا ما بين يدي ذلك المذكور كله أيْ: جميعه.

(أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) إلخ:

وأما الآيتان بالاستعاذة، فلما كان غالب ما في هذا "الراتب" الآيات القرآنية، وكان مقتضى الأمر الإلهي الإتيان بها في ذلك، أتى بها لذلك، فالإتيان بها مشروع قبل القراءة، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]، أَيْ: إذا أردت القراءة على حد قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾[المائدة: ٦] الآية، ولا تعريج على قول من قال من القُرَّاء وغيرهم: أنه يتعوَّذ بعد القراءة، أخذَ اللفظ على ظاهره.

ورُوي ذلك عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو غريبٌ، وممن قال به حمزة وأبو حاتم السجستاني، حكاه عن أبو القاسم يوسف بن علي الهذلي

في كتابه "الكامل"، ونقل القول بذلك عن مالك وداود وابن جرير الطبري في "الجوهر الشفَّاف".

روى الطبراني من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: ((أَوَّلُ مَا نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ اسْتَعِذْ، قَالَ: أَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَالَ: قُلْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ثُمَّ قَالَ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[العلق: ١].

وفي "الفردوس" من حديث أنس رفعه: ((أغلقوا أَبْوَاب الْمعاصِي بالاستعاذة، وافتحوا أَبْوَاب الطَّاعَات بِالتَّسْمِيَة)).

وعند أبي يعلى الموصلي في "مسنده" عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: ((تَلَاحَى رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَمَرَّغَ أَنْفُ أَحَدِهِمَا غَضَبًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ شَيْئًا لَوْ قَالَهُ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)).

وعند البخاري ومسلم من طُرُق متعددة وأبي دواد عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: ((اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَهُ، وفأَحَدُهُمَا سَبَّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ)).

وعند أحمد عن أَبِي أُمَامَة الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ».

وعنده من حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ، قَالَ: أَوَلِلْإِنْسَانِ شَيَاطِينُ؟، قَالَ: نَعَمْ».

قَالَ مَرْثَد: «سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يرفعه: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فِي الْيَوْمِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا يَذُودُ عَنْهُ الشَّيْطَانَ».

وأورد هذا الحديث الجزري في "عدة الحصن الحصين" من تخريج أَبِي يعلى الْموصِلِي من حَدِيث أنس بلفظ: «وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا يَرُدّ عَنْهُ الشَّيَاطِيْن». قال العلاّمة الشوكاني في حاشيته "تحفة الذاكرين": وَفِي إِسْنَاده لَيْث بن أبي سليم وَيزِيد الرقاشِي، وَقد وثقا على ضعفهما، وَبَقِيَّة رِجَاله رجال الصَّحِيح، كَذَا فِي "مجمع الزَّوَائِد" اهـ.

وقال ابن المنذر: جاء عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، كذا في "الجوهر الشفّاف".

وفي "العهد الأكيد": ينبغي لمن أراد قراءة القرآن أو شيء منه أن يبتدئ بالتعوُّذ بالله من الشيطان الرجيم، لما رواه أنس بن مالك عن النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فِي الْيَوْمِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وُكِّلَ بِهِ مَلَكٌ يَذُودُ عَنْهُ الشَّيْطَانَ، كَمَا تُذَادُ غَرِيبَةُ الْإِبِلِ»

إلى أن قال: والاستعاذة سُنَّة بالإجماع، والأحسن منها ما رواه ابن كثير، وهو الذي ورد به القرآن حيث قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

ورُوِي عن ابن مسعود «أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له قُل أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، هكذا أقرأنيه جبريل، عن القلم، عن اللوح المحفوظ» اهـ.

و"تفسر الفاتحة" لمجد الدين الشيرازي: فإن قيل: ما وجه الاختصاص القرآن بالاستعاذة؟، قلتُ: قارئ القرآن متلبس بأعظم الطاعات، لأنه بحسن تفكُّره في وعده ووعيده، تزداد رغبته في العبادات، واجتنابه عن المعاصي والمخالفات، ولذلك يبذل الشيطان جهده في الصد عنه، فكان احتياج العبد إلى من يحميه ويحفظه ويجبره من شره بالغاية القصوى.

ثم اعلم أن للعبد مقامان بهما ينال منازل الأبرار، ويحل محل المصطفين الأخيار، أحدهما: الفرار من المكَّار الغدَّار، وإليه الإشارة بأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وثانيهما: مقام الاستقرار والاستمرار في حضرة الملك الغفَّار، وإليه الإشارة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

قالوا: قراءة القرآن طاعة، والشروع في الطاعة يوجب الاستعاذة بالله من شر ما ينافيها، قيل: على هذا فالاستعاذة طاعة أيضًا، فيوجب استعاذة أخرى إلى ما لا نهاية لها.

قلنا: هذا هو سر الأمر بالاستعاذة، كأن قيل: الإيتان بالطاعة لا يتم إلا بتقديم الاستعاذة، وكذلك يوجب الإيتان بما لا يتناهى، وليس في وسعك، وظهر العجز وشاهدت قصورك، فإنَّا نعينك على الطاعة، ونعلِّمكَ كيفية الشروع، فقل: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ اهـ.

وأما معنى الاستعاذة فمعنى أَعُوذُ بِاللَّهِ أيْ: أستجيرُ وأعتصمُ وألُوذُ وأمتنعُ باللَّه. قال أهل اللغة: العوذ والاستعاذة الالتجاء إلى الغير والتعلُّق به.

عُذْتُ بِهِ أَعُوذُ واسْتَعَذْتُ بِهِ، أَيْ: لَجأتُ إِلَيْهِ. وَهُوَ عِيَاذِي –بالكسر– أَيْ: مَلْجَئِي. وأعَذْتُ غيري أيْ: عَوَّذْتُهُ بمعنًى.

وَالشَّيْطَانُ: نُونه أصلِيَّة على الصحيح، من: شَطَنَ أيْ: تباعَدَ، ومنه: بِئْرٌ شَطُونٌ، قال الشاعر:

أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ   ثُمَّ يُلْقَى فِي السِّجْنِ والأَغْلالِ

حكى سيبويه: أن العرب تقول تَشَيْطَنَ فلان إذا فعل أفعال الشياطين، ولو كان من شَاطَ لقالوا: تَشَيَّطَ. وقيل: مِنْ شَاطَ يَشِيطُ: احترق غضبًا، وكلاهما قول سيبويه.

قال العلاَّمة أبو السعود في "تفسيره": وجعل سيبويهِ –يعني في كتابة نون الشيطان– : تارةً أصلية فوزنُه فَيْعالٌ على أنه من شطَنَ إذا بعُدَ، فإنه بعيدٌ من الخير والرحمة، ويشهد له قولُهم: تَشَيْطَن، وأخرى زائدة فوزنه فعلان على أنه من شَاطَ أَيْ هلك إذا بطَل. ومن أسمائه الباطل، وقيل: معناه هاج واحترق اهـ.

وَقَـدْ يَشِـيطُ عَلَـى أَرْمَاحِنَـا الْبَطَـلُ

أيْ: يهلك. وقيل: من شَطَّ إذا بعُدَ، وعليه قوله:

زُرْ مَـنْ تُحِـبُّ وَإِنْ شَـطَّتْ بِـكَ الـدَّارُ

والشيطان هو إبليس، ويطلق على كل عاتٍ مُتمرد من الجن والإنس والدواب، قَالَ جَرِيرٌ:

أَيَّامَ يَـدْعُونَنِي الشَّـيْطَانَ مِـنْ غَزَلِـي وَهُــنَّ يَهْــوَيْنَنِي إِذْ كُنْــتُ شَــيْطَانَا

وفي "شرح المقاصد": الشياطين: أجسامٌ ناريَّة، شأنها إلقاء الناس في الفساد والغواية. والرجيم: المطرود عن الخيرات، وأصل الرجم: الرمي بالرجام وهي الحجارة، يقال: رجم فهو مرجوم، قال تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾[الشعراء: ١١٦]، أيْ: المقتولين أقبح قتلة.

ويجوز أن يكون فعيل بمعنى فاعل، بمعنى أنه يرجم بني آدم بالوسواس والمكائد وأنواع الفتن، وبما يقدر عليه من الأذى والشر. وقد يستعار الرجم للرمي بالظن والتوهُّم والشتم، نحو قوله تعالى: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾[الكهف: ٢٢]، وقوله: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾[مريم: ٤٦] أيْ: لأقولن فيك ما تكره.

قال المجد الشيرازي: قال المحقُّون: الاستعاذة عروج من الخلق إلى الخالق، ومن الممكن المقهور إلى الواجب القاهر، واعتراف بالعجز عن الظفر بالبغية إلى ما عند الله تعالى بنفسه وبمن سواه، وهذا المعنى سر قوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾[الذاريات: ٥٠].

وأيضًا الحكمة من الاستعاذة الفرار عن الأغيار، والتبرئ عن تهوُّس الأفكار، حتى يصح منه الأذكار، وأيضًا الاستعاذة قبل الأذكار تجري

مجرى الطهارة عن الأحداث والأنجاس لمن أراد الدخول في الصلاة، ومثل ذلك تقديم النفي عن الإثبات في كلمة لا إله إلا الله اهـ الغرض منه.

وفيه أيضًا قال ابن عباس: الاستعاذة إحلال القرآن، والتسمية مفتاح القرآن اهـ.

وفيه أيضًا: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، أيْ: أستجيرُ وأمتنعُ بعظمة الله، وألتجئُ إلى عصمته من شر الملعون المبعد المطرود من رحمة المعبود، أو المرجوم بالشهب عند استراق السمع، من أن يضرّني في ديني ودنياي، أو أن يصدّني عن فعل ما أُمرتُ، أو يحثّني على إتيان ما نهيتُ عنه.

فإن الشيطان لا يقدر على منعه وصدّه عن العبد إلا الله سبحانه، إذ لا ينفع فيه المداراة والا المباراة، كما ينفعان في بني آدم، فتعيَّن الالتجاء إلى الله من شرّه ومكره وكيده وضرّه اهـ.

وأما الفاتحة:

فقد ورد في فضلها ما لا يحصى كثرة، من ذلك ما أورده المجد الشيرازي في "تفسير الفاتحة" إذ قال ما نصّه: روى البخاري في غير ما موضع، وأبو داود والنسائي وابن ماجه، والإمام أحمد في "مسنده"، من حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ: «كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، حَتَّى صَلَّيْتُ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال: ٢٤]، ثُمَّ قَالَ: لَأُعَلِّمَنَّكَ

سُورَة فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟، قَالَ: نَعَمْ، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ».

رواه مالك في "الموطإ" عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَادَى أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ وَهُوَ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ لَحِقَهُ، قَالَ: فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى أَبِي، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَعْلَمَ سُورَةً، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَهَا، قَالَ أُبَيٌّ: فَجَعَلْتُ أُبْطِئُ فِي الْمَشْيِ رَجَاءَ ذَلِكَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ السُّورَةَ الَّتِي وَعَدْتَنِي، قَالَ: كَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ؟، قَالَ: فَقَرَأْتُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هِيَ هَذِهِ السُّورَةُ وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُ». وأبو سعيد هذا غير أبو سعيد بن المعلى، وتوهَّم ابن الأثير في "جامع الأصول" وآخرون أنهما واحد، وابن المعلى صحابي وهذا تابعي، وحديث ابن المعلى صحيح متصل، وهذا منقطع، إذ لم يسمعه أبو سعيد من أُبَي، والله أعلم.

وفي "مسند أحمد" من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَ: يَا أُبَيُّ، فَالْتَفَتَ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ قَالَ أُبَيٌّ: فَخَفَّفْتُ ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ: مَا مَنَعَكَ أُبَيُّ إِذْ دَعَوْتُكَ أَنْ تُجِيبَنِي؟، قَالَ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: أَوَلَسْتَ تَجِدُ فِيمَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَعُودُ، قَالَ: أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلُهَا؟، قُلْتُ: نَعَمْ أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْبَابِ حَتَّى تَعْلَمَهَا، قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي يُحَدِّثُنِي، وَأَنَا أَتَبَاطَأُ مَخَافَةَ أَنْ يَبْلُغَ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ الْحَدِيثَ، فَلَمَّا أَنْ دَنَوْنَا مِنَ الْبَابِ، قُلْتُ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، مَا السُّورَةُ الَّتِي وَعَدْتَنِي، قَالَ: مَا تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟، قَالَ: فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ أُمَّ الْقُرْآنِ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَهَا، وَإِنَّهَا لَلسَّبْعُ مِنَ الْمَثَانِي».

ورواه الترمذي محسّنًا مصّححًا، ورواه أيضًا النسائي، والحاكم وصحَّحه على شرط مسلم، كذا في "نواهد الأبكار" للسيوطي ولفظه: «وَإِنَّهَا لَلسَّبْعُ مِنَ الْمَثَانِي الَّذِي أُعْطِيتُهُ».

وفي لفظ النسائي: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي».

وفي "المسند" عَنْ ابْنِ جَابِرٍ قَالَ: «انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَرَاقَ الْمَاءَ، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى دَخَلَ رَحْلَهُ، وَدَخَلْتُ أَنَا إِلَى

الْمَسْجِدَ، فَجَلَسْتُ كَئِيبًا حَزِينًا، فَخَرَجَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَابِرٍ بِخَيْرِ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟، فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: اقْرَأْ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حَتَّى تَخْتِمَهَا».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ جِبْرِيلُ إِذْ سَمِعَ نَقِيضًا فَوْقَهُ، فَرَفَعَ جِبْرِيلُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ قَدْ فُتِحَ مِنَ السَّمَاءِ، مَا فُتِحَ قَطُّ، قَالَ: فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا، لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَمْ تَقْرَأْ حَرْفًا مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ». أخرجه مسلم والنسائي واللفظ له.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا وَضَعْتَ جَنْبَكَ عَلَى الْفِرَاشِ، وَقَرَأْتَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْمَوْتَ». رواه البزّار في "مسنده" بسند جيد اهـ.

وروي من حديث أبي ذرّ يرفعه من عند ابن زنجويه: قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، رُبَّمَا قُمْتُ فَرَكعتُ رَكَعَاتٍ لَا أَقْرَأُ فِيهِنَّ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَخٍ بَخٍ، فَاتِحَةُ الْكِتَابِ لَتَجْزِي مَا لَا تُجْزِي الْبَقَرَةُ، وَآلُ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءُ، وَالْمَائِدَةُ».

وفي آخره: «ولو أن فاتحة الكتاب وضعت في كفة الميزان، ووضع القرآن في كفة الميزان، لرجحت فاتحة الكتاب سبع مرات». أفاده المجد الشيرازي أيضًا.

وقال أيضًا: واللَّه العظيم لقد أخبرني الشيخ صفي الدين عبد الكريم بن عبد الكريم بن المخلص البعلبكي بها كناية وشفاهة، عن الشيخ عز الدين الفاروثي، عن محمد بن علي الحاتمي أنه قال: إذا قرأت الفاتحة فَصِلْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، في نَفَس واحد.

فإني أقول: واللَّه العظيم لقد حدّثني أبو الحسن علي بن أبي الفتح المعروف والده بالكناري الطيب بمدينة الموصل بمنزلي، سنة إحدى وستمائة، وقال: باللَّه العظيم لقد سمعتُ شيخنا عبد اللَّه أبا الفضل عبد اللَّه بن أحمد بن عبد القادر الطوسي الخطيب يقول: واللَّه العظيم، لقد سمعتُ سمعتُ المبارك بن أحمد بن محمد النيسابوري المقرئ وقال: باللَّه العظيم لقد حدَّثنا من لفظ أبي بكر الفضل بن محمد الكاتب الهروي وقال: باللَّه العظيم لقد حدَّثنا أبو بكر ابن علي الشاشي الشافعي من لفظه وقال: باللَّه العظيم لقد حدَّثنا عبد اللَّه المعروف بأبي نصر السرخسي وقال: باللَّه العظيم لقد حدَّثنا أبو بكر محمد ابن الفضل وقال: باللَّه العظيم لقد حدَّثنا محمد بن علي بن يحيى الورّاق الفقيه وقال: باللَّه العظيم لقد حدَّثني محمد بن يونس الطويل الفقيه وقال: باللَّه العظيم لقد حدَّثني محمد بن الحسن العلوي الزاهد وقال: باللَّه العظيم لقد حدَّثني موسى بن عيسى وقال: باللَّه العظيم لقد حدَّثني أبو بكر الراجعي وقال: باللَّه العظيم لقد

حدَّثني عمار بن موسى البرمكي وقال: بالله العظيم لقد حدَّثني أنس بن مالك وقال: بالله العظيم لقد حدَّثني علي بن أبي طالب وقال: بالله العظيم لقد حدَّثني أبو بكر الصِّدِّيق وقال: بالله العظيم لقد حدَّثني محمد المُصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: بالله العظيم لقد حدَّثني جبريل عليه السلام وقال: بالله العظيم لقد حدَّثني ميكائيل عليه الصلاة والسلام وقال: بالله العظيم لقد حدَّثني إسرافيل.

وقال: «قال الله تعالى: يا إسرافيل، بعزَّتي وجلالي وجودي وكرمي، من قرأ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مُتّصلة بفاتحة الكتاب مرَّة واحدة، اشهدوا عليّ أني قد غفرتُ له، وقبلتُ منه الحسنات، وتجاوزتُ عنه السيئات، ولا أحرقُ لسانه بالنار، وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار، والفزع الأكبر، ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين» اهـ.

خرَّجه الحافظ الجليل أبو القاسم بن عبد الواحد بن إبراهيم الفافقي الأندلسي في كتابه "المسلسل" بسند فيه مجاهيل، وأبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصنعاني في مسلسلاته الأربعمائة، وأبو عمران اللخمي المعروف بابن أبي الغصن في "الأربعين المسلسلة" بقوله: بالله العظيم لقد حدَّثني. ورواه مختصرًا من غير تسلسل الحافظ ابن مروان عبد الملك بن حبيب السلمي في كتاب "غرائب القرآن"، ولفظه عن أبي بكر الصِّدِّيق يرفعه: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سَبْعُ آيَاتٍ إِحْدَاهُنَّ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي».

ورُوي: «إِنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ رَنَّ أَرْبَعَ رَنَّاتٍ: حِينَ لُعِنَ وطُرِدَ بالآبا، وحين أخرج من ملكوت السماوات، وحين بعث مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحين أنزلت عليه فاتحة الكتاب» اهـ.

وقد أورد الحديث المسلسل العارف بالله الشيخ الأكبر محيي الدين في "الفتوحات" في الباب الموفي خمسمائة وستين، وهو آخر الأبواب، وإسناده كسند المجد الشيرازي، إلا أن فيه حوشب بدل موسى بن عيسى، وبدله الشيخ علي البيومي في بعض "رسائله" بغير سند وأقرّه، وكذلك الشيخ أحمد القشاشي المدني في "السمط المجيد بتعريف كلمة التوحيد".

ثم قال عقبه: قلتُ: ولا عجب من فضل الله أن يكون التالي الفاتحة مع البسملة على الوجه المذكور، ما نطق به الحديث الإلهي من الفضل العظيم عن الله، فإن هذا من باب الاختصاص الإلهي والفضل، لا من باب أجرك على قدر نصيبك، وأفضل الأعمال أحمزها أيْ: أحسنها.

وأطال القشاشي الكلام على ما يؤيد ذلك، أفاده الكردي في "الفوائد المدنية"، ثم قال: وسمعتُ من بعض مشائخ عصرنا أن يصح أن يكون المراد من قوله: يلقى الله عزَّ وجلَّ قبل من ذكر أن يلقى قبل لقيه الأنبياء والأولياء، فتجلَّى له من أول وهلة، ثم يلقى الأنبياء والأولياء.

والحاصلُ أن الكلام يتوقَّف على ورود هذا الحديث والعمل به في مثل هذا، فإن ثبت فالخطب هين، فإن المفضول إذا تميَّز بخصيصة لا يوجد مثلها في الفاضل، لا يلزم من ذلك الفضيلة على الفاضل، كما فسّروه.

لكن الظاهر أن الحديث غير ثابت عند المُحدَّثين، ثم ذُكر أن السيوطي أورده في كتابه "ذيل الموضوعات"، وقال: موسى بن عيسى بدل قول "الفتوحات" حوشب. وزاد السيوطي بعد الراجعي بالبصرة.

فإيراد الحديث في الكتاب المذكور يدل على أنه لا أصل له، وإن لم يُصرّح بذلك، وأفاد أن السخاوي في "المسلسلات" قال: أنه باطل سندًا ومتنًا، وأنه أورد الملا إبراهيم الكوراني في كتابه "مسالك الأبرار" بسنده مسلسلاً، وقال: قال السخاوي إلخ. وزاد قولاً قصد بيانه ما استجيبت حكايته –قبّح الله واضعه–.

ثم نُقل عن الحافظ ابن حجر وعن غيره، ثم رأى أن يكون الحديث ضعيفًا، وأن الشيخ الأكبر في "الفتوحات" في الباب السادس والثلاثين بعد سياقه حديث زمن عيسى عليه السلام بسنده، قال: لكنا هذا الحديث وإن تكلّم في طريقه فهو صحيح عند أمثالنا كشفًا. اهـ الغرض منه. وذلك من فضل الله.

ومما ورد في فضلها ما أَخْرَجَ الْفِرْيَابِيُّ فِي "تَفْسِيرِهِ" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ ثُلُثُ الْقُرْآنِ». وَمَا أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَرْفَعُهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ وَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» . وَمَا أَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي "مُسْنَدِهِ" بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ تَعْدِلُ بِثُلُثَيِ الْقُرْآنِ».

وَمَا أَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَأَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ فِي "فَضَائِلِهِ"، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ" عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرٍ لَهُ، فَنَزَلَ فَمَشَى رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى جَنْبِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ الْقُرْآنِ؟، فَتَلَا عَلَيْهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾».

وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي "فَضَائِلِهِ" عَنِ الْحَسَنِ مُرْسَلًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ قَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْفُرْقَانَ». كذا في "فتح القدير".

ولها من الأسماء زهاء ثلاثين اسمًا، منها: أم الكتاب أثبته جماهير العلماء بأخبار وآثار، ووردت بذلك وكرهه الحسن البصري وقال: أم الكتاب، إنما هي آيات الحلال والحرام.

قال البخاري في أول كتاب التفسير: سُمِّيَتْ أُمَّ الْكِتَابِ لِأَنَّهُ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمُصْحَفِ، وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ.

وقال آخرون: لتقدُّمها على غيرها في الكتاب، كما قيل لراية الحرب أم، وقيل: إنما سُميّت بها لرجوع معاني القرآن، بل لرجوع جميع معاني الكتب السماوية جميعها إليها، وإلى ما تضمّنته، والعرب تسمي كل جامع حرمًا، وتسمي أم القرآن، كما سمي بها اللوح المحفوظ لكونه أصلاً لكل الكائنات.

وتُسمَّى الكنز لما أخرج الْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ" عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي فِيمَا مَنَّ بِهِ عَلَيَّ: فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَقَالَ: هِيَ مِنْ كُنُوزِ عَرْشِي».

وأخرج إسحاق بن راهويه في "مسنده" عن علِيّ نحوه مرفوعًا.

وتُسمَّى الوافية، أَخْرَجَ الثَّعْلَبِيُّ أَنَّ سُفْيَانَ بْنَ عيينة كان يُسمّي فاتحة الكتاب: الوافية، وقيل: لوفائها بما في القرآن من المعاني.

ورُوي عن الحسن أنه قال: أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِائَةَ وَأَرْبَعَةَ كِتَاب، فَأَوْدَعَ عُلُومَ المِائَة فِي الأَرْبَعَة، ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ القُرْآن فِي الفَاتِحَةِ، فَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَهَا كَانَ كَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَ جَمِيعِ الكُتُب الْمُنْزَلَة، وَمَنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الكُتُب الْمُنْزَلَة».

وقيل: إنما سميّت وافية لعدم إجزاء بعضها في الصلاة، أو لإجزائها وحدّها في الصلاة عن غيرها.

ومن أسمائها الكافية لما ذُكر في الوافية، أخرج الثعلبي عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير أنه سأله سائل عن قراءة الفاتحة خلف الإمام؟، فقال عن الكافية تسأل؟، قال السائل: وما الكافية؟، قال: الفاتحة، أما علمتَ أنَّها تكفي عن سواها، ولا تكفي سواها عنها».

ومن أسمائها: الأساس، أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الشَّعْبِيّ: «أَنَّ رَجُلًا اشْتَكَى إِلَيْهِ وَجَعَ الْخَاصِرَةِ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِأَسَاسِ الْقُرْآنِ، قَالَ: وَمَا أَسَاسُ الْقُرْآنِ؟، قَالَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ».

ومن أسمائها: الشفاء، لما أَخْرَجَ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ" عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ مرفوعًا: «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ سَقَمٍ». وَأَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِهِ، وَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا.

وَأَخْرَجَ الدَّارِمِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ" بِسَنَدٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ زُهَيْر مرفوعًا: «فَاتِحَةِ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ».

وقال السيوطي في "نواهد الأبكار": أخرجه الدارمي في "مسنده" والبيهقي في "شعب الإيمان" بسند صحيح من مرسل عبد الملك بن عمير.

فذكره ثم قال: وأخرج أحمد في "مسنده"، والبيهقي في "شعب الإيمان" عن جابر أَن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «أَلا أخْبرك بأخير سُورَة نزلت فِي الْقُرْآن، قلتُ: بلَى يَا رَسُول اللَّه، قَالَ: فَاتِحَة الْكتاب. وَأَحْسبهُ قَالَ: فِيهَا شِفَاء من كل دَاء».

وَأخرج الثَّعْلَبِيّ من طَرِيق مُعَاوِيَة بن صَالح عَن أبي سلمَان قَالَ: «مر أَصْحَاب رَسُول الله فِي بعض غزواتهم على رجل قد صرع، فَقَرَأَ بَعضهم فِي أُذُنه بِأم الْقُرْآن فبرأ، فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هِيَ أم الْكتاب وَهِي شِفَاء من كل دَاء».

قلتُ: واستفيد من تسميتها بأم الكتاب اهـ.

وفي "سنن سعيد بن منصور"، و"شعب الإيمان" للبيهقي من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «فاتحة الكتاب شفاء من السُّمِّ». وأخرجه أبو الشيخ ابن حيّان في "الثواب" من حديث أبي سعيد، وأبي هريرة معًا اهـ.

ومن أسمائها: سورة الصلاة لحديث: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي»، ولوجوب قراءتها فيها.

وتُسمَّى سورة الحمد لخبر: «كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ الْقُرْآنَ بِـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾».

وسورة المثاني لأنها سبع آيات تُثَنَّى في الصلاة، وقد مرَّ ما ورد في تسميتها بذلك. قال الشريف: المثاني جمع مُثَنَّى، على صيغة المفعول من التثنية، بمعنى مردَّدٌ ومُكرَّر، ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل، من التثنية، أو مَثْناة مفعلة من الثَنْي اهـ.

ولها أسماء غير هذا، وأشهر أسمائها سورة الفاتحة، وفاتحة الكتاب لأنه افتتح بها الكتاب، إذ هي أوَّل ما يكتبه الكاتب من المصحف، وأوَّل ما يتلوه التالي من القرآن الكريم، وإن لم تكن أوَّل ما نزل من القرآن، والتاء فيهما لنقل من الوصفية إلى الاسمية.

قال القرطبي: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ سَبْعُ آيَاتٍ، إِلَّا مَا رُوِيَ عَنْ حُسَيْنٍ الْجُعْفِيِّ: أَنَّهَا سِتٌّ، وَهَذَا شَاذٌّ. وَإِلَّا مَا رُوِيَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ أَنَّهُ جَعَلَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ آيَةً، فَهِيَ عنده ثمان آيات، وهو أيضًا شاذ اهـ.

والأصح أن البسملة إحدى آياتها، كما صحَّ بذلك الخبر، رواه أبو هريرة مرفوعًا: «فَاتِحَةُ الْكِتَابِ سَبْعُ آيَاتٍ، إِحْدَاهُنَّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾». أخرجه الطبراني في "الأوسط"، وابن مردويه في "تفسيره"، والبيهقي في سنده بلفظ: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سَبْعُ آيَاتٍ، إِحْدَاهُنَّ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وهي السبْعُ المثاني، والقرآنُ العظيم، وهي فاتحةُ الكتابِ».

وأخرجه الدارقطني وصحَّحه، والبيهقي بلفظ: «إِذَا قَرَأْتُم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَاقْرَءُوا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، إِنَّهَا أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ والسَّبْع المَثَاني، و﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أحد آياتها».

قال السيوطي في "نواهد الأبكار": الحديث ليس بهذا اللفظ، وإنما الوارد في كل طرقه أنه عدّ البسملة آية، أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" وأحمد، وأبو داود بلفظ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾».

وأخرجه ابن الأنباري في كتاب "الوقف والابتداء"، والبيهقي في "الخلافيات" وصحَّحه بلفظ: «كَانَ إِذَا قَرَأَ قَطَّعَ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً، يَقُولُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، -إِلَى أَنْ قَالَ :- ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾».

وأخرجه ابن خزيمة، والحاكم، والبيهقي في "سننه" بلفظ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ فِي الصَّلَاةِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فَعَدَّهَا آيَةً، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ آيَتَيْنِ، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثَلَاثُ آيَاتٍ، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أَرْبَعُ آيَاتٍ، وَقَالَ: هَكَذَا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَجَمَعَ خَمْسَ أَصَابِعِهِ» اهـ الغرض منه.

واختُلف هل هي مكيَّة أو مدنيَّة، فقيل: مكيَّة لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾[الحجر: ٨٧]، وهو مكّيّ بالنص، وبه قال علِيّ بن أبي طالب.

أَخْرَجَ الْوَاحِدِيُّ فِي "أَسْبَابِ النُّزُولِ"، وَالثَّعْلَبِيُّ فِي "تَفْسِيرِهِ" عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَزَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ بِمَكَّةَ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ». وبه قال ابن عباس في الأشهر عنه.

وعن أبي هريرة وجماعة منهم مجاهد: أنها مدنية، وهو رواية عن ابن عباس، أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي "الْمُصَنَّفِ"، وَأَبُو سَعِيدِ بْنُ الْأَعْرَابِيّ فِي "مُعْجَمِهِ"، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ" مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِدِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ: «رَنَّ إِبْلِيسُ حِينَ أُنْزِلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَأُنْزِلَتْ بِالْمَدِينَةِ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي "الْمُصَنَّفِ"، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي "الْحِلْيَةِ" وَغَيْرُهُمْ مِنْ طُرُقٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: نَزَلَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ بِالْمَدِينَةِ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ، نَزَلَتْ بِمَكَّةَ مَرَّةً حِينَ فُرِضَتِ الصَّلَاةُ، وَبِالْمَدِينَةِ أُخْرَى حِينَ حُوِّلَتِ الْقِبْلَةُ، مبالغة في تشريفها وتعظيمها.

وقيل: نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة.

وذكر الطِّيبِيُّ تعليل تسمية الفاتحة أم القرآن، وهو أنها مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي هِيَ مَنَاطُ الدِّينِ:

أحدها: علم الأصول ومقاصده معرفة اللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، وَإِلَيْهَا أشار بِقَوْلِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وَمَعْرِفَةُ النُّبُوَّةِ وَهِيَ

الْمُرَادَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وَمَعْرِفَةُ الْمَعَادِ وهو المومأ إليه قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

ثَانِيهَا: عِلْمُ الْفُرُوعِ وَأُسُّهُ الْعِبَادَاتُ وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ثَالِثُهَا: عِلْمُ التَّصَوُّفِ وَأَصْلُهُ الْوُصُولُ إِلَى الْحَضْرَةِ، وَالسُّلُوكُ لِطَرِيقِ الِاسْتِقَامَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

رَابِعُهَا: عِلْمُ الْقَصَصِ وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ السُّعَدَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَشْقِيَاءِ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ وَعْدِ مُحْسِنِهِمْ وَوَعِيدِ مُسِيئِهِمْ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

وفي "الإتقان" للسيوطي ما يشفي الغليل في الشأن به.

وفي "تفسير الفاتحة" للمجد الشيرازي ما نصه: قال بعض المحققين: إنما سميت فاتحة الكتاب، لأنها مفتاح أبواب كنوز الكتب المتقدمة والقرآن، إذ بانجلاء معانيها تنكشف جميع خزائن حقائق الكتب وأسرارها لأهل الإتقان، لأنه تعالى أودع فيها مراتب ذاته وصفاته العلية، التي كانت في عماء وخفاء قبل خلق الخليقة المُنزّهة عن إدراكها أفهام البرية ومراتب العبودية، ومراتب الأمور الدنيوية والأخروية.

فمراتب ذاته العلية بعد الظهور عن خفاء الكنزية عشرة: مرتبة الاسم بأن له تعالى اسمًا، ومرتبة الإلهية، ومرتبة الصفات السنية، ومرتبة الحمد والشكر والثناء والمدح للحضرة الإلهية، ومرتبة الربوبية، ومرتبة الرحمانية والرحيمية، ومرتبة الملكية والمالكية، ومرتبة العبودية والوحدانية، ومرتبة

المستعانية والناصرية، ومرتبة الهداية والتوفيق للعبادة لأهل المودة والعناية.

ومراتب العبودية عشر: معرفة الله تعالى بهذه المراتب، والإقرار بأنه المخصوص بالشكر والثناء، والحمد على النعماء، وبصفته الرحيمية والرحمانية بجميع ما في الأرض والسماء، والعليم باحتياج الكل إليه، واستغنائه عن جميع الأشياء، ومعرفة النفس بالربوبية والمملوكية، وخلوها عن مراتب الربوبية، والاستعانة في الخدمة والعبودية، والتضرع والشوق والطلب لوجدانه، ودرك إنعامه وإحسانه، والاستهداء به إليه، والإنعام عليه بما وعد لديه، والاستدعاء منه بأن لا يغضب عليه، ولا يطرده من بين يديه، فيرده من الهداية إلى الضلالة، ومن الرشاد إلى الغواية.

ومراتب كل واحدة من الأمور الأخروية والدنيوية أربعة: الملك والملك والتصرف فيهم بالمالكية والملكية اهـ.

وقد ظهر لي في جهة تعالي لفظ الألوهية والربوبية في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أنه تنبيهٌ على وجوب توحيد الألوهية والربوبية، ثم في قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إرشادٌ إلى عطفه عليهم برحمته التي سبقت غضبه ووسعت كل شيء، وإنعامه عليهم بجلائل النعم ودقائقها.

قال القرطبي: وَصَفَ نَفْسَهُ تَعَالَى بَعْدَ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بِأَنَّهُ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي اتِّصَافِهِ بِـ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تَرْهِيبٌ قَرَنَهُ بِـ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، لِمَا تَضَمَّنَ مِنَ التَّرْغِيبِ، لِيَجْمَعَ فِي صِفَاتِهِ بَيْنَ الرَّهْبَةِ مِنْهُ وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ، فَيَكُونُ أَعْوَنَ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَمْنَعَ، كَمَا قَالَ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي

أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[الحجر: ٤٩-٥٠] ، وَقَالَ: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾[غافر: ٣].

وَفِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ». كذا في "فتح القدير".

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: «إِلَهُ الْخَلْقِ كُلِّهِ، السَّمَوَات كُلُّهُنَّ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالْأَرَضُونَ كُلُّهُنَّ وَمِنْ فِيهِنَّ، وَمَنْ بَيْنَهُنَّ مِمَّا يُعْلَمُ وَمِمَّا لَا يُعْلَمُ».

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، رَفَعهُ: «إِذَا قُلْتَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَقَدْ شَكَرْتَ اللَّهَ فَزَادَكَ» .

وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي "الْمُصَنَّفِ"، وَالْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي "نَوَادِرِ الْأُصُولِ"، وَالْخَطَّابِيُّ فِي "الْغَرِيبِ"، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الْأَدَبِ"، وَالدَّيْلَمِيُّ فِي "مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ"، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مَرْفُوعًا: «الْحَمْدُ رَأْسُ الشُّكْرِ، مَا شَكَرَ اللَّهَ عَبْدٌ لَا يَحْمَدُهُ».

وَمن جملة حديث عَنْ أَبِي عَبْدِ الرحمن الحلبي: «إِنَّ أَفْضَلَ الشُّكْرِ الْحَمْدُ». راوه وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وابْنُ الْمُنْذِرِ. وفي حديث: «إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الْحَمْدَ»، صحَّحه الحاكم. وأحمد والنسائي والبخاري في "الأدب المفرد".

وفي قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بألف، كما هو قراءة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾»، وَكَذَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي "الْكَبِيرِ" عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ كَانُوا يَقْرَءُونَ مَالِكِ بِالْأَلِفِ». وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا. وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ أَيْضًا وَكِيعٌ فِي "تَفْسِيرِهِ"، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَأَبُو دَاوُدَ عَنِ الزُّهْرِيِّ يَرْفَعُهُ مُرْسَلًا اهـ. وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي "تَفْسِيرِهِ"، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَأَبُو دَاوُدَ عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ مَرْفُوعًا مُرْسَلًا.

وقرأ الجمهور من القُرَّاء ﴿مَلِكِ﴾ بدون ألف. وقد رُوِي عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقرأ به أيضًا. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ: ﴿مَلِكِ﴾ بِغَيْرِ أَلِفٍ». وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ.

ولكن الأول أرجح لوروده من طرق كثيرة تقتضي ترجيحه، مع أن فيه زيادة حرف وهو الألف، والحرف بعشر حسنات كما ورد بذلك الخبر، والله أعلم.

والذي يظهر أنه عود إلى الترهيب والإرشاد، إلى أن الموصوف بهذه الصفات هو المستحق للعبادة.

قال في "فتح القدير" ما نصه: وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ أَيُّهُمَا أَبْلَغُ مَلِكِ أَوْ مَالِكِ؟، فَقِيلَ: إِنَّ مَلِكَ أَعَمُّ وَأَبْلَغُ مِنْ مَالِكٍ، إِذْ كُلُّ مَلِكٍ مَالِكٌ، وَلَيْسَ كُلُّ

مَالِكٍ مَلِكًا، وَلِأَنَّ أَمْرَ الْمَلِكِ نَافِذٌ عَلَى الْمَالِكِ فِي ملكه حتى لا يتصرف إلا عن تدبير الْمَلِكِ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَالْمُبَرِّدُ وَرَجَّحَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ.

وَقِيلَ: مَالِكٌ أَبْلَغُ لِأَنَّهُ يَكُونُ مَالِكًا لِلنَّاسِ وَغَيْرِهِمْ، فَالْمَالِكُ أَبْلَغُ تَصَرُّفًا وَأَعْظَمُ.

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: إِنَّ مَالِكًا أَبْلَغُ فِي مَدْحِ الْخَالِقِ مِنْ مَلِكٍ، وَمَلِكٌ أَبْلَغُ فِي مَدْحِ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ مَالِكٍ، لِأَنَّ الْمَالِكَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ قَدْ يَكُونُ غَيْرَ مَلِكٍ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ مَالِكًا كَانَ مَلِكًا. وَاخْتَارَ هَذَا الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيّ.

وَالْحَقُّ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْوَصْفَيْنِ نَوْعَ أَخَصِّيَّةٍ لَا يُوجَدُ فِي الآخر، فالمالك يقدر على ما يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْمَلِكُ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ بِمَا هُوَ مَالِكٌ لَهُ بِالْبَيْعِ وَالْهِبَةِ وَالْعِتْقِ وَنَحْوِهَا، وَالْمَلِكُ يَقْدِرُ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْمَالِكُ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ الْعَائِدَةِ إِلَى تَدْبِيرِ الْمَلِكِ وَحِيَاطَتِهِ وَرِعَايَةِ مَصَالِحِ الرَّعِيَّةِ، فَالْمَالِكُ أَقْوَى مِنَ الْمَلِكِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، وَالْمَلِكُ أَقْوَى مِنَ الْمَالِكِ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْوَصْفَيْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمَلِكَ صِفَةٌ لِذَاتِهِ، والمالك صفة لفعله. ويوم الدِّينِ: يَوْمُ الْجَزَاءِ مِنَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[الانفطار: ١٧].

إِلَى أَنْ قَالَ: وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ «أَنَّهُمْ فَسَّرُوا يَوْمَ الدِّينِ بِيَوْمِ الْحِسَابِ». وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ جَرِيرٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «يَوْمِ الدِّينِ: يَوْمَ يدين الله العِبَاد بِأَعْمَالِهِمْ» اهـ.

واليوم يطلق في عرف الشرع للمدة التي من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. وعلى قول الفلكيين على مطلق الوقت من ليل ونهار.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أَمَّا الضَّمِيرُ الْمُنْفَصِلُ هُوَ: إِيَّا فقط على الأصح، وَأَمَّا مَا يَلْحَقُهُ مِنَ الْكَافِ وَالْيَاءِ وَالْهَاءِ، فَحُرُوفٌ زيدت لِبَيَانِ الْخِطَابِ وَالتَّكَلُّمِ وَالْغَيْبَةِ، وَلَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ، كَمَا جنحَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ كالتاء في: أنت، والكاف في: رأيتك.

وأما دعوى الخليل الإضافة مُحتجًا بما حكاه عن بعض العرب: إذا بلغَ الرجُلُ السِّتِّينَ فَإِيَّاهُ وإِيَّا الشَّوَابِّ، فمما لا يعول عليه.

وقيل: أن اللواحق هي الضمائر، وإِيَّا دعامة لتصيرها منفصلة. حكاه ابن كيسان عن بعض الكوفيين، وهو ظاهر ما حكى الأخفش. وقيل: أن المجموع من إِيَّا وما يلحق من الضمائر هو الضمير. وقال المازني: إِيَّا ضمير مضاف لما بعده.

وقيل: إِيَّا اسم ظاهر يضاف إلى لواحقه وهي ضمائر، وعزاه ابن عصفور للخليل وهو أيضًا ضمير.

وحُكي عن الأخفش عن الخليل –وهو ادّعاء الخليل– ، واستشهد عليه بقول بعض العرب، والأوَّل أصح وأرجح، وهو قول سيبويه وكثيرين، واختاره أبو علي. قيل: وهو محكي عن الأخفش.

وإنما عدل عن تقديم العامل الذي هو الأصل، إلى تقديم المعمول لنكتة لطيفة، وهي الدلالة على الاختصاص، لإفادته الحصر عند البيانيين،

والاهتمام عند النحويين، ولا مانع من إرادتهما معًا هنا، لعدم امتناع المقتضيات.

قال في "فتح القدير": وَتَقْدِيمُهُ –يعني المعمول الذي هو إِيَّاك- عَلَى الْفِعْلِ لِقَصْدِ الِاخْتِصَاصِ، وَقِيلَ: لِلِاهْتِمَامِ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ لَهُمَا وَلَا تَزَاحُمَ بَيْنَ الْمُقْتَضَيَاتِ.

وَالْمَعْنَى: نَخُصُّكَ بِالْعِبَادَةِ وَنَخُصُّكَ بِالِاسْتِعَانَةِ، لَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ وَلَا نَسْتَعِينُهُ. وَالْعِبَادَةُ أَقْصَى غَايَاتِ الْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَفِي الشَّرْعِ عِبَارَةٌ عَمَّا يَجْمَعُ كَمَالَ الْمَحَبَّةِ وَالْخُضُوعِ وَالْخَوْفِ، وَعَدَلَ عَنِ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ لِقَصْدِ الِالْتِفَاتِ، لِأَنَّ الْكَلَامَ إِذَا نُقِلَ مِنْ أُسْلُوبٍ إِلَى آخَرَ كَانَ أَحْسَنَ تَطْرِيَةً لِنَشَاطِ السَّامِعِ، وَأَكْثَرَ إِيقَاظًا لَهُ كَمَا تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي.

وَالْمَجِيءُ بِالنُّونِ فِي الْفِعْلَيْنِ لِقَصْدِ الْإِخْبَارِ مِنَ الدَّاعِي عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ جِنْسِهِ مِنَ الْعِبَادِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْمَقَامَ لَمَّا كَانَ عَظِيمًا لَمْ يَسْتَقِلَّ بِهِ الْوَاحِدُ اسْتِقْصَارًا لِنَفْسِهِ وَاسْتِصْغَارًا لَهَا، فَالْمَجِيءُ بِالنُّونِ لِقَصْدِ التَّوَاضُعِ لَا لِتَعْظِيمِ النَّفْسِ. وَقُدِّمَتِ الْعِبَادَةُ عَلَى الِاسْتِعَانَةِ لِكَوْنِ الْأُولَى وَسِيلَةً إِلَى الثَّانِيَةِ، وَتَقْدِيمُ الْوَسَائِلِ سَبَبٌ لِتَحْصِيلِ الْمَطَالِبِ، وَإِطْلَاقُ الِاسْتِعَانَةِ لِقَصْدِ التَّعْمِيمِ اهـ. وَالِاسْتِعَانَةُ: طَلَبُ الْمَعُونَةِ.

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: «يَعْنِي إِيَّاكَ نُوَحِّدُ وَنَخَافُ يَا رَبَّنَا لَا غَيْرَكَ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عَلَى طَاعَتِكَ وَعَلَى أُمُورِنَا كُلِّهَا».

وَحَكَى ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ فِي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: «يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوهُ عَلَى أَمْرِكُمْ». كذا في "فتح القدير".

وفي "تفسير الفاتحة" للمجد الشيرازي ما نصه: من إشارات العارفين قال بعضهم: العبادة الحقيقية خلوص النفس عن رق كل حظ من الحظوظ الدنيوية والأخروية، يعبد الله تعالى بالحق لا للحظ، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[البينة: ٥]. وقيل: أوّل التوحيد عند المحبين أن يعبد الله لوجهه، حبًّا له لا خوفًا من ناره، ولا رغبة في داره. اهـ الغرض منه.

ثم قال: وقال بعضهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لأَنَّا عبيدك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأنك المقصود، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ شكرًا على وفور نعمائك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لكمال قدرتك وسنائك، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لاستحقاقك إيّاها بصفة عظمتك وجلالك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لكثرة ألطافك وأفضالك، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تعزُّزًا وافتخارًا، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تذلُّلاً وافتخارًا، فمن تعبَّد له تذلَّل، ومن يذلّ عزَّ، ومن افتقر إليه غنيَ وقويَ.

بالعبادة يظهر شرف العبد، وبالاستعانة يحصل المدد من الحق، والعبادة ظاهرها تخضُّع وتذلُّل، وباطنها تعزُّز وتجمُّل، وإذا تزلَّلت الرقاب تذلُّلاً مِنّا إليك، فعزِّها من ذُلّها.

ثم قال: ورُوِي أن العبد إذا قرأ هذه الآية يقول الله تعالى: كذبتَ، لو كنتَ إِيَّاي تعبد لم تطع غيري، ولم تلتفت إلى ما سواي، ولو كنتَ بي

تستعين لم ترفع حوائجك إلى ذليل مثلك، ولم تسكن إلى مالك وكسبك وجلّك. اهـ المُراد منه.

وَأَخْرَجَ أَبُو القَاسِمِ البغوي والماوردي مَعًا فِي "مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ"، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ"، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غَزَاةٍ، فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَا ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ الرِّجَالَ تُصْرَعُ فَتَضْرِبُهَا الْمَلَائِكَةُ مِنْ بين يديها ومن خلفها» اهـ "فتح القدير".

قوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

فالهداية فعلها قد يتعدَّى بنفسه كما هنا، وكقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[البلد: ١٠]، وقد يتعدَّى بإلى كقوله: ﴿اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[النحل: ١٢١]. قال ابن نصر: هديته الطريقة، لغة أهل الحجاز، وهديته إلى الطريق، لغة غيرهم، حكاه الأخفش.

وقد يتعدَّى باللام كقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[الأعراف: ٤٣]. وأصل هدى أن يصل ثاني مفعولَيْهِ بإلى واللام. كذا قال المجد الشيرازي، ونحوه قال الزمخشري وأبو السعود العمادي.

والهداية: الإرشاد والتوفيق أو الإلهام أو الدلالة. قال أبو السعود: الهداية: دلالةٌ بلطف على ما يوصل البغية، ولذلك اختصت بالخير.

وقوله: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾[الصافات: ٢٣] وارد على نهج التهكُّم.

والصراط فيه ثلاث لغات أفصحهن الصاد الخالصة، وهي لغة قريش، قيل: وهي لغة الجيدة وبها كتب في الإمام وسائر المصاحف.

وَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَتَعَقَّبَهُ الذَّهَبِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ بِالصَّادِ».

واللغة الثانية السين: وهي لغة عامة العرب، ووردت القراءة بها عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَخْرَجَهَا عَنْه سعيد ابن مَنْصُورٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَالْبُخَارِيُّ فِي "تَارِيخِهِ". واللغة الثالثة: الزَّاين قَالَ الْفَرَّاءُ: وَهِيَ لُغَةٌ لِعُذْرَةَ وَكَلْبٍ وَبَنِي الْقَيْنِ، ووردت القراءة بها عَنْ حَمْزَةَ، أَخْرَجَهَا عَنْه ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ. وجمعه صُرُط ككتاب وكُتُب.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ جَمِيعًا عَلَى أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ: هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي لُغَةِ جَمِيعِ الْعَرَبِ. قَالَ: ثُمَّ تَسْتَعِيرُ الْعَرَبُ الصِّرَاطَ فَتَسْتَعْمِلُهُ فَتَصِفُ الْمُسْتَقِيمَ بِاسْتِقَامَتِهِ وَالْمُعْوَجَّ بِاعْوِجَاجِهِ. كذا في "فتح القدير".

والمُستقيم: هو المستوي المعتدل، والمُراد به طريق الحق، وهي الملة الحنيفية السمحة السهلة، المتوسطة بين سبيل الإفراط والتفريط، إذ خير الأمور أوسطها، كما ورد به الخبر.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، يَقُولُ: أَلْهِمْنَا دِينَكَ الْحَقَّ». وَأَخْرَجَ وَكِيعٌ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَأَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "شُعَبِ الْإِيمَانِ"، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ «هُوَ كِتَابُ اللَّهِ». وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْهُ وَابْنُ الْمُنْذِرِ نَحْوَهُ.

وَأَخْرَجَ وَكِيعٌ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ».

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَأَبُو الشَّيْخِ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "شُعَبِ الْإِيمَانِ"، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، فَالصِّرَاطُ: الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقٍ وَاعِظُ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ». قال في "فتح القدير" بعد إيراده: قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ بَعْدَ إِخْرَاجِهِ: وَهُوَ إِسْنَادٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ اهـ.

قَوْلُهُ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إلخ:

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، يَقُولُ: «طَرِيقُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، الَّذِينَ أَطَاعُوكَ وَعَبَدُوكَ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ أَيْضًا: «أَنَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ».

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قَالَ: «النَّبِيُّونَ» ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قَالَ: الْيَهُودُ، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: النَّصَارَى». وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ. وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ مِثْلَهُ.

وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَأَحْمَدُ فِي "مُسْنَدِهِ"، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَالْبَغَوِيُّ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَأَبُو الشَّيْخِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: «أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ بِوَادِي الْقُرَى عَلَى فَرَسٍ لَهُ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ فَقَالَ: مَنِ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: الْيَهُودُ، قَالَ: فَمَنِ الضَّالُّونَ؟، قَالَ: النَّصَارَى».

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» فَذَكَرَهُ. وَأَخْرَجَهُ وَكِيعٌ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَاصِرُ أَهْلَ وَادِي الْقُرَى، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ» إِلَخ. وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَالْأَوَّلِ.

وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ، عَنِ ابْنِ عَمٍّ لَهُ، أَنَّهُ قَالَ: «أَتيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» فَذَكَرَهُ.

وَأَخْرَجَهُ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ فِي "تَفْسِيرِه"، وسعيد بن المنصور عَنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ: الْيَهُودُ، وَالضَّالُّونَ: النَّصَارَى».

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي "صَحِيحِهِ"، عن عدي ابن حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ هُمُ الْيَهُودُ، وَإِنَّ الضَّالِّينَ: النَّصَارَى» .

قال في "فتح القدير": وَالْمَصِيرُ إِلَى هَذَا التَّفْسِيرِ النَّبَوِيّ مُتَعَيّنٌ، وَهُوَ الَّذِي أَطْبَقَ عَلَيْهِ أَئِمَّةُ التَّفْسِيرِ مِنَ السَّلَفِ. قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: لَا أَعْلَمُ خِلَافًا بَيْنَ الْمُفَسّرِينَ فِي تَفْسِيرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ بِالْيَهُودِ، وَالضَّالِّينَ بِالنَّصَارَى اهـ.

قال الحافظ السيوطي في "نواهد الأبكار" حاشيته على البيضاوي، بعد إخراج حديث أحمد المتقدّم ما نصه: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم التفسير بذلك عن ابن عباس، وابن مسعود، والربيع بن أنس، وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن. قال ابن أبي حاتم: ولا أعلم أن في ذلك خلافًا بين المفسرين، فهذه منه حكاية إجماع، فكيف يجوز العدول عنه، وعن النص المرفوع إلى قول بالرأي؟. وأعجب من ذلك من حكى في تفسير الآية عدة أقوال، كالإمام، والماوردي، وسليم، وكل ذلك ساقط لا يعوّل عليه اهـ.

وأما آمين: فقد دلَّت السُّنة الصحيحة التي قد دلَّت على مشروعية الإتيان به بعد قراءة الفاتحة، وليست من الفاتحة من غير خلاف.

قال العلَّامة أبو السعود العمادي في "تفسيره": وليست من القرآن وفاقًا اهـ. لكن في "حاشية الدر" للسيد الطَّحْطاوي نقلاً عن أبي السعود الحسني

ناقلاً عن "القنية" عن مجاهد: أنه من الفاتحة اهـ. وهو معرب همين، وفي "الرضا": أنه سرياني كقابيل وهابيل، وبُني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين.

قال في "حاشية الطحطاوي على الدر": من الغريب ما قيل أنه من أسماء الله تعالى، حُذفت منه ياء النداء اهـ.

قلتُ: لكن في الآية ما يشهد له لذلك، وما أَخْرَجَ وَكِيعٌ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي "الْمُصَنَّفِ" عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ وَمُجَاهِدٍ قَالَا: «آمِينْ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى». وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ مِثْلَهُ.

ومما ورد مما يدل على مَشْرُوعِيَّتِه والترغيب فيه: مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فَقَالَ: آمِينْ، مَدَّ بِهَا صَوْتَهُ». وَلِأَبِي دَاوُدَ: «رَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ». وَقَدْ حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ. وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا النَّسَائِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ مَاجَهْ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، والدارقطني وصححه، وابن حبان.

وَفِي لَفْظٍ مِنْ حَدِيثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي آمِينْ»، أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ. وَفِي لَفْظٍ أَنَّهُ قَالَ: «آمِينْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»، أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ.

وَأَخْرَجَ وَكِيعٌ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ قَالَ: «لَمَّا أَقْرَأَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ فَبَلَغَ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: قُلْ آمِينْ، فَقَالَ: آمِينْ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَالَ: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: آمِينْ». وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا قَرَأَ -يَعْنِي الْإِمَامَ- : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فَقُولُوا: آمِينْ، يُحِبَّكُمُ اللَّهُ».

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَان وَأَهْلُ السُّنَنِ وَأَحْمَدُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُمْ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا، فَإِن وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

قال السيوطي في "نواهد الأبكار": ووقع في "أمالي الجرجاني" في آخر هذا الحديث زيادة: «وَمَا تَأَخَّرَ»، وعليها اعتمد الغزالي في "الوسيط". وأحسن ما فُسّر به هذا الحديث ما رواه عبد الرَّزَّاق، عن عكرمة قال: «صُفُوفُ أَهْلِ الْأَرْضِ عَلَى صُفُوفِ أَهْلِ السَّمَاءِ، فَإِذَا وَافَقَ آمِينْ فِي الْأَرْضِ آمِينْ فِي السَّمَاءِ غُفِرَ لَلعَبْدِ». قال الحافظ ابن حجر في "شرح البخاري": مثل هذا لا يُقال بالرأي، فالمصير إليه أولى اهـ.

وروى مالك والبخاري واللفظ له ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وفي رواية للبخاري: «إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». وفي

رواية لابن ماجه والنسائي: «إِذَا أَمَّنَ الْقَارِئُ فَأَمِّنُوا». وفي رواية للنسائي: «وَإِذَا قَالَ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّ مَنْ وَافَقَ كَلَامَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لِمَنْ فِي الْمَسْجِدِ».

وَعَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ».

رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي "صَحِيحه"، وأَحْمَدُ، ولفظه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ الْيَهُودُ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ لَنْ يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى الْجُمُعَةِ، الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ».

رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ فِي "الْأَوْسَط" بِإِسْنَاد حسن وَلَفظه: «إِنَّ الْيَهُودَ قَدْ سَئِمُوا دِينَهُمْ، وَهُمْ قَوْمٌ حُسَّدٌ، وَلَمْ يَحْسِدُوا الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ ثَلَاثٍ: رَدِّ السَّلَامِ، وَإِقَامَةِ الصُّفُوفِ، وَقَوْلِهِمْ خَلْفَ إِمَامِهِمْ فِي الْمَكْتُوبَةِ: آمِينَ». رواهُ ابْنُ مَاجَهْ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَدِيٍّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ حُسَّدٌ، حَسَدُوكُمْ عَلَى ثَلَاثَةٍ: إِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَإِقَامَةِ الصَّفِّ، وَآمِينْ». وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ" مِنْ حَدِيثِ مُعَاذٍ مِثْلَهُ.

وَأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ثُمَّ قَرَأَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، ثُمَّ قَالَ: آمِينْ،

لَمْ يَبْقَ مَلَكٌ فِي السَّمَاءِ مُقَرَّبٌ إِلَّا اسْتَغْفَرَ لَهُ». وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ بِلَالٍ أَنَّهُ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَسْبِقْنِي بِآمِينْ».

وأخرج أبو دواد وابن ماجه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَلَا: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: آمِينَ، حَتَّى يَسْمَعَ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الصَّفِّ». ولفظ ابن ماجه: «حَتَّى يَسْمَعَهَا أَهْلُ الصَّفِّ الْأَوَّلِ، فَيَرْتَجُّ بِهَا الْمَسْجِدُ». وَأخرجه أَيْضًا الدَّارَقُطْنِيّ وَقَالَ: إِسْنَاده حسن، وَالْحَاكِم وَقَالَ: صَحِيح على شَرطهمَا، وَالْبَيْهَقِيّ وَقَالَ: حسن صَحِيح.

وَعَنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيِّ، وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا يَجْتَمِعُ مَلَأٌ فَيَدْعُو بَعْضُهُمْ، وَيُؤَمِّنُ بَعْضُهُمْ، إِلَّا أَجَابَهُمُ اللَّهُ»، رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

وأخرج ابن عدي في "الكامل"، والطبراني في "الدعاء"، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «آمِينَ خَاتَمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ».

وفي "فتح الباري": نقل الثعلبي في "تفسيره" عن وَهْب بْن مُنَبِّهٍ: أَنَّ آمِينَ أَرْبَعَةُ أَحْرُفٍ، يَخْلُقُ اللَّهُ مِنْ كل حرف ملكًا يقول: اللهم اغفر مَنْ قَالَ: آمِينَ. وقيل: آمين كنزٌ من كنوز الجنة، لا يعلم تأويله إلّا اللّه تعالى. ويستنزل به الرحمة. وقيل: دَرَجَة فِي الْجنَّة تجب لقَائِلها. وقال ابن الملقن في "الإشارات": وقيل: هو طَابع الله على عباده، لِأَنَّهُ يدْفع بِهِ عَنْهُم الْآفَات اهـ.

ويدل له ما أخرجه أبو داود في "سننه" عَنْ أَبِي زُهَيْرٍ النُّمَيْرِيِّ -أحد الصحابة- أنه قال: «آمِينَ مِثْلُ الطَّابَعِ عَلَى الصَّحِيفَةِ، قَالَ: أُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَلَحَّ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْجَبَ إِنْ خَتَمَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: بِأَيِّ شَيْءٍ يَخْتِمُ، فَقَالَ: بِآمِينَ». قوله: مِثْلُ الطَّابَعِ، يعني: أنه يمنع الدعاء من فساد الخيبة، كما أن الطابع على الكتاب يمنع فساد ظهور ما فيه على الغير. زاد الشيخ أكمل الدين: ومعنى قوله: أوجب: أوجب إجابة للدعاء اهـ. أفاده السيوطي من "نواهد الأبكار".

وأما معنى آمين، فقال القرطبي في "تفسيره": مَعْنَى آمِينَ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ: اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لَنَا، وُضِعَ مَوْضِعَ الدُّعَاءِ. وقال في "الصحاح": مَعْنَى آمِينَ: كَذَلِكَ فَلْيَكُنْ.

وَأَخْرَجَ جُوَيْبِرٌ فِي "تَفْسِيرِهِ" عَنِ الضَّحَّاكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مَعْنَى آمِينْ؟، قَالَ: رَبِّ افْعَلْ» . وَأَخْرَجَ الْكَلْبِيُّ عَنْ أبي صالح عن أبي عَبَّاسٍ مِثْلَهُ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: مَعْنَاهُ لَا تُخَيِّبْ رَجَاءَنَا.

وَفِيهِ لُغَتَانِ: أحدهما الْمَدُّ عَلَى وَزْنِ فَاعِيلَ كَيَاسِينَ. قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا رَبُّ لَا تَسْلُبَنِّي حُبَّهَا أَبَدًا ... وَيَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ آمِينَا

وَقَالَ آخَرُ:

آمِينْ آمِينْ لَا أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ ... حَتَّى أُضِيفَ لَهَا أَلْفَ آمِينَا

ثانيها: الْقَصْرُ، قَالَ:

أَمِينَ فَزَادَ اللَّهُ مَا بَيْنَنَا بُعْدَا

وفيه لغة ثالثة: بالمد والإمالة وتخفيف الميم. وفيه لغة رابعة: بالمد وتشديد الميم، وأنكرها الْجَوْهَرِيُّ قَالَ: وَتَشْدِيدُ الْمِيمِ خَطَأٌ. وفيه لغة خامسة: القصر وتشديد الميم. قال ابن جمعان في "حاشية الحصن الحصين": وهي غريبة اهـ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْجَهْرِ بِهَا وعدمه، وَفِي أَنَّ الْإِمَامَ يأتي بها أَمْ لَا؟، وذلك مُبيّنٌ مذكورٌ في مواطنه من كتب الفقه والمطوّلات.

وفي "نواهد الأبكار" للسيوطي: فائدة: ليس في القرآن سورة هي سبع آيات سوى الفاتحة و﴿أَرَأَيْتَ﴾، ولا ثالث لهما. قال جعفر بن أحمد بن الحُسين السرَّاج البغدادي في "أُرجوزته" التي نظمَ فيها "النظائر":

فَسُورَةُ الحَمْدِ لَهَا نَظِيرَهْ أَرَأَيْتَ إِنْ أَنْتَ قَرَأْتَ السُّوْرَه

كلَاهُمَا إِذا عَددتَّ سَبْعُ وَلَيْسَ لِلحَقِّ اليَقِين دَفْعُ

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥]):

قد ورد في فضائلها ما لا يحصى كثرة.

من ذلك ما أخرج أحمد ومسلم واللفظ له عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ: أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَعْظَمُ؟، قَالَ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ، قَالَ: لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ».

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ، وَأَبُو يَعْلَى، وَابْنُ حِبَّانَ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي "الْعَظَمَةِ"، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «أَنَّهُ كَانَ لَهُ جُرْنٌ فِيهِ تَمْرٌ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُهُ، فَوَجَدَهُ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ شِبْهِ الْغُلَامِ الْمُحْتَلِمِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْت جِنِّيٌ أَمْ إِنْسِيٌّ؟، قَالَ: جِنِّيٌ، قُلْتُ: نَاوِلْنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَنِي فَإِذَا يَدُهُ يَدُ كَلْبٍ وَشَعْرُهُ شَعْرُ كَلْبٍ، فَقُلْتُ: هَكَذَا خُلِقَ الْجِنُّ؟، قَالَ: لَقَدْ عَلِمَت الْجِنُّ أَنَّ مَا مِنْهُمْ أَشَدُّ مِنِّي، قُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ فَأَحْبَبْنَا أَنْ نُصِيبَ مِنْ طَعَامِكَ، فَقَالَ لَهُ أُبَيٌّ: فَمَا الَّذِي يُجِيرُنَا مِنْكُمْ؟، قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ، آيَةُ الْكُرْسِيِّ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُمْسِيَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: صَدَقَ الْخَبِيثُ».

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي "تَارِيخِهِ"، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي "الْمَعْرِفَةِ"، بِسَنَدٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، عَنِ ابْنِ الْأَسْقَعِ الْبَكْرِيِّ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُمْ فِي صِفَةِ الْمُهَاجِرِينَ، فَسَأَلَهُ إِنْسَانٌ فَقَالَ: أَيُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ أَعْظَمُ؟، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة: ٢٥٥] حَتَّى انْقَضَتِ الْآيَةُ». وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ مَرْفُوعًا نَحْوَهُ. وَأَخْرَجَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي "تَارِيخِهِ" عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا نَحْوَهُ أَيْضًا.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي "صَحِيحِهِ" مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو وَذَكَرَ قِصَّةً، وَفِي آخِرِهَا أَنَّهُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هِيَ؟، قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فَأَخْبَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ بِذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَمَّا إِنَّهُ صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟، قَالَ: لَا، قَالَ: ذَلِكَ شَيْطَانٌ كَذَا». وَأَخْرَجَ نَحْوَ ذَلِكَ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ. وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ، وَالْحَاكِمُ، وَأَبُو نُعَيْمٍ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ مَرْفُوعًا نَحْوَهُ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَعْظَمُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾». وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ أَحْمَدُ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ" عَنْ أَبِي ذَرٍّ مَرْفُوعًا. وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ أَحْمَدُ أَيْضًا، وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ مَرْفُوعًا.

وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَالْحَاكِمُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سُورَةُ الْبَقَرَةِ فِيهَا آيَةٌ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ، لَا تُقْرَأُ فِي بَيْتٍ فِيهِ شَيْطَانٌ إِلَّا خَرَجَ مِنْهُ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ». قَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ زَائِدَةَ مَرْفُوعًا: «لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ، وسنام القرآن الْبَقَرَةِ، وَفِيهَا آيَةُ الْكُرْسِيِّ».

وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْبَقَرَةُ سَنَامُ الْقُرْآنِ وَذُرْوَتُهُ، نَزَلَ مَعَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ثَمَانُونَ مَلَكًا، وَاسْتُخْرِجَتْ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، فَوُصِلَتْ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ. ويس قَلْبُ الْقُرْآنِ، لَا يَقْرَؤُهَا أَحَدٌ يُرِيدُ اللَّهَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ». رَوَاهُ أَحمد عَن رجل عَن معقل، وروى أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجه مِنْهُ ذكر يس.

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ لَيْلاً لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَمَنْ قَرَأَهَا نَهَارًا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ». رَوَاهُ ابْنُ حبان فِي "صَحِيحِهِ".

ورُوِيَ: «أَنَّ مَنْ قَرَأَ آية الكُرسِيّ بُكْرَة وَعَشِية، رَأَى ملَكُوت السَّمَاوَات وَالأَرْضِ، وَكَانَ تَحت أَمَانَ اللَّهِ وَحِفْظِه».

وَأخرج النسائي وابن حبان والدارقطني عَن أبي أُمَامَة: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ». وفي

إسناد النسائي الحسن بن بشر، قال النسائي: لا بأس به، وقال في موضع آخر: ثقة. وقال أبو حاتم: شيخ وبقية رجاله رجال الصحيح. وأخرجه أيضًا من حديثه الطبراني بأسانيد قال المنذري: أحدها صحيح. وفي "مجمع الزوائد" أحدها جيد، وصحَّحه ابن حبان.

وأخرج الطبراني من حديث الْحسن بن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ كَانَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ إِلَى الصَّلَاةِ الْأُخْرَى». قال الهيثمي في "مجمع الزوائد": وإسناده حسن.

وروى أبُو الشَّيخ فِي "الثَّوَابِ" عَن أنس: «آيَةُ الكُرْسي رُبْعُ القُرآنِ».

وأخرج ابن حبان والنسائي من حديث أبي أمامة: «مَنْ قَرَأَ فِي دُبُر كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةِ آيَةَ الكُرْسِيِّ، حُفِظَ إِلَى الصَّلاةِ الأُخْرَى». قال الحافظ في الكاف الشاف": وإسناده صحيح، وله شاهد عن المُغيرة بن شعبة عند أبى نعيم في "الحلية" من رواية محمد بن كعب القرظي عنه، وغفل ابن الجوزي فأخرجه في "الموضوعات" اهـ.

نعم إفادته عند البيهقي في "الشعب" عن أنس باللفظ المذكور، وله تتمة لفظها: « وَلَا يُحَافِظُ عَلَيهَا إِلا نَبيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيَدٌ». قال: وإسناده ضعيف. ثم قال: وصدر الحديث أخرجه النسائي وابن حبان وإسناده صحيح.

والْحَيُّ أصله حَيِيٌ كحَذِرٌ، أُدْغمت الياء في الياء لاجتماعهما. وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: أَصْلُهُ الْحَيْوُ، اجْتَمَعَتِ الْيَاءُ وَالْوَاوُ، ثم كان السابق ساكنًا،

فقُلِبت الواو ياءًا، ثم أُدغمت إحدى اليايين في الأخرى. وَالحَيُّ: ذُو الْحَيَاةِ. قَالَ الْمُتَكَلِّمُونَ: الْحَيُّ كُلُّ ذَاتٍ يَصِحُّ أَنْ تَعْلَمَ وَتَقْدِرَ.

وأما الحياة ففي "قصد السبيل": أنها صفة حقيقية غير ذات إضافة، مقدمة الرتبة على بقية الصفات، ومنا هنا سُمّي الحي إمام الأئمة السبعة. في اصطلاح بعض القوم، فلا يتقدَّمها رتبة إلا الوجود، الذي هو عين الذات اهـ.

والقَيُّوم: مبالغة في القائم، أصله قَيْوُوم، اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فأُدغمت الياء الأولى في الثانية بعد قلب الواو ياءً، كما هو القاعدة الصرفيَّة.

ولا يجوز أن يكون على فعُّول، لأنه لو كان كذلك لكان قوومًا. وفيه ثلاث لغات: قَيُّوم وقَيَّام وقَيِّم.

وقرأ ابن مسعود وعلقمة والنخعي والأعمش: {الْحَيُّ الْقَيَّامُ} بالألف. ورُوِيَ ذلك عن عُمَرَ. قيل: وله في اللُّغَة وجه صحيح، وَمِثْلُهُ مَا فِي الدَّارِ: دَيَّارٌ ودَيُّورٌ ودَيِّر.

قال في "فتح القدير": وَلَا خِلَافَ بَيْنِ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ: الْقَيُّومَ، أَعْرَفُ عِنْدَ الْعَرَبِ وَأَصَحُّ بِنَاءً، وَأَثْبَتُ عِلَّةً.

وَالسِّنَةُ: النُّعَاسُ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ، وَالنُّعَاسُ: مَا يَتَقَدَّمُ النَّوْمَ مِنَ الْفُتُورِ وَانْطِبَاقِ الْعَيْنَيْنِ، فَإِذَا صار في القلب صار نومًا. وفرَّق المفضل بَيْنَ السِّنَةِ وَالنُّعَاسِ وَالنَّوْمِ فَقَالَ: السِّنَةُ مِنَ الرَّأْسِ، وَالنُّعَاسُ فِي الْعَيْنِ، وَالنَّوْمُ فِي الْقَلْبِ اهـ. وقيل: الْوَسْنَانُ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ.

وَأَمَّا النَّوْمُ فَهُوَ: الثَّقِيلُ الْمُزِيلُ لِلْقُوَّةِ وَالْعَقْلِ. قَالَ عَدِيُّ بْنُ الرِّقَاعِ:

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

ولما كان نفي السِّنة لا يفيد نفي النوم، لأنه قد يهجم النوم من دون تقدُّم سِنة، لم يكتف في النظم القرآني بنفي السِّنة، على أن الإنسان قد يدفع عن نفسه السِّنة، ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه النوم، فقد يأخذه النوم من دون تقدّم سِنة. اهـ ملخصًا ببعض اختصار.

ومعنى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أَيْ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا هُوَ. وَالْحَيُّ قِيلَ: هُوَ الْبَاقِي. قاله السُّدِّيّ. وقال قتادة: الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ. وَقِيلَ: الَّذِي لَا يَزُولُ وَلَا يُحَوَّلُ. وَقِيلَ: الْمُصَرِّفُ لِلْأُمُورِ الْمُقَدِّرُ لِلْأَشْيَاءِ. قَالَ الطَّبَرِيُّ عَنْ قَوْمٍ: إِنَّهُ يُقَالُ: حَيٌّ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، وَيُسَلَّمُ ذَلِكَ دُونَ أَنْ يَنْظُرَ فِيهِ اهـ.

وَالْقَيُّومُ: قِيلَ: الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَقِيلَ: الْقَائِمُ بِذَاتِهِ الْمُقِيمُ لِغَيْرِهِ، وَقِيلَ: الْقَائِمُ بِتَدْبِيرِ الْخَلْقِ وَحِفْظِهِ. وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي لَا يَنَامُ. كذا في "فتح القدير".

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْحَيُّ﴾ أَيْ: حَيٌّ لَا يَمُوتُ، والْقَيُّومُ: الْقَائِمُ الَّذِي لَا بَدِيلَ لَهُ. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَأَبُو الشَّيْخِ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْقَيُّومُ﴾ قَالَ: الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: الْقَيُّومُ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ قَالَ: السِّنَةُ: النُّعَاسُ، وَالنَّوْمُ: هُوَ

النَّوْمُ. وَأَخْرَجُوا إِلَّا الْبَيْهَقِيَّ عَنِ السُّدِّيِّ قَالَ: السِّنَةُ: رِيحُ النَّوْمِ الَّذِي يَأْخُذُهُ فِي الْوَجْهِ فَيَنْعَسُ الْإِنْسَانُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أيْ: إيجادًا وعبيدًا وتدبيرًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، استفهام فيه من الإنكار على من يزعم أن أحدًا من عباده يقدر على أن ينفع أحدًا منهم بشفاعة أو غيرها، من غير إذنه أيْ: إجازته، والأمر له، وفيه من التقريع والتوبيخ أيضًا ما لا مزيد عليه.

قال في "فتح القدير": وَالَّذِي يُسْتَفَادُ مِنْهُ فَوْقَ مَا يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[الأنبياء: ٢٨]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[النجم: ٢٦]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾[النبأ: ٣٨]، بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ. وَقَدْ بَيَّنَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الثَّابِتَةُ فِي دَوَاوِينِ الْإِسْلَامِ صِفَةَ الشَّفَاعَةِ، وَلِمَنْ هِيَ؟ وَمَنْ يَقُومُ بِهَا؟ اهـ.

وَالشَّفَاعَةُ مِنَ الشَّفْعِ، الذي هو خلاف الوِتْر، وهي السعي في إصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع إليه. كذا في "المنح المكية". وفي "شرح البردة" للإمام الأزهري: أنها سؤال الغير في الخلاص من الأمر المهول. وقيل: غير ذلك.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، قال في "فتح القدير": الضميران لما في السموات وَالْأَرْضِ بِتَغْلِيبِ الْعُقَلَاءِ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَ﴿مَا

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: عِبارَةٌ عَنِ الْمُتَقَدِّمِ عَلَيْهِمْ وَالْمُتَأَخِّرِ عَنْهُمْ، أَوْ عَنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اهـ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قَالَ: مَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ مِنَ الْآخِرَةِ. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: مَا قَدَّمُوا مِنْ أَعْمَالِهِمْ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: مَا أَضَاعُوا مِنْ أَعْمَالِهِمْ اهـ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾، الإحاطة: إدراك الشيء من جميع جوانبه وجهاته. والشيء قال الراغب: هو عبارة عن كل موجود، إما حسًّا كالأجسام، أو حكمًا كالأقوال نحو قلتُ: شيئًا. قال سيبويه: وهو أعمّ العامّ كما أن الله أخصّ الخاصّ. كذا في "شرح المناوي على الشمائل.

والعلمُ: صفةٌ تحيط بالشيء كما هو عليه. والعلم هنا بمعنى المعلوم أيْ: ولا يحيطون بشيء من معلوماته، لعدم تساوي علمنا وعلمه، إذ علمه تعالى محيطٌ بكل شيءٍ، جزئيًا كان أو كُليًّا حسيًّا أو معنويًّا، قال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق: ١٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، قال السمين في "إعرابه" ما ملخصه: الياء في الكُرْسِيّ لغير النسب، واشتقاقه من الكرس وهو الجمع، ومنه الكراسة للصحائف الجامعة للعلم. وجمعه كَرَاسِيّ كبُخْتيّ وبَخَاتيّ، وقد يُعَبَّر به عن المَلِك لجلوسه عليه تسمية للحالِّ باسم المَحَلِّ، وعن العلم تسمية للصفة باسم مكان صاحبها، ومنه قيل للعلماء: الكَرَاسِيّ.

وقال في "فتح القدير": وَرَجَّحَ هَذَا الْقَوْلَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ. واستشهد له بقوله:

تَحِفُّ بِهِمْ بِيضُ الْوُجُوهِ وَعُصْبَةٌ   كَرَاسِيِّ بِالأَخْبَارِ حِينَ تَنُوبُ

قال السمين: ويعبَّر به عن السر، وقيل: الكرسي لكل شيء أصله اهـ.

والظاهر أن المُراد به هنا الجسم العظيم الذي وردت الآثار بصفته، وأنه غير العرش. وعن الحسن: أنه هو العرش. وعن ابن عباس: هو لؤلؤ. «وَمَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ». «وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ». وعنه أيضًا: الكرسي فوق السماء السابعة دون العرش. وعن الثعلبي: هو تحت العرش وفوق السماوات.

والحق المراد بالكرسي: الجسم العظيم الذي وردت بصفته الأخبار، ولا وجه للعدول عنه، إذ هو الظاهر وهو الحقيقة في لفظ الكرسي، فالعدول عن المعنى الحقيقي مجرد خيالات باطلة وأوهام عاطلة، نسبت عن جهالة أدت إلى ضلالة.

قال في "فتح القدير": والمُراد بكونه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أَنَّهَا صَارَتْ فِيهِ، وَأَنَّهُ وَسِعَهَا، وَلَمْ يَضِقْ عَنْهَا لِكَوْنِهِ بَسِيطًا وَاسِعًا اهـ.

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ"، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ قَالَ: عِلْمُهُ، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾.

وَأَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي "الصِّفَاتِ"، وَالْخَطِيبُ فِي "تَارِيخِهِ" عَنْهُ قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾، قَالَ: كُرْسِيُّهُ مَوْضِعُ قَدَمِهِ، وَالْعَرْشُ لَا يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ». وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَأَبُو الشَّيْخِ، والبَيْهَقِيُّ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيّ مِثْلهُ مَوْقُوفًا.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «لَوْ أَنَّ السموات السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ بُسِطْنَ ثُمَّ وُصِلْنَ بِعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ مَا كُنَّ فِي سَعَتِهِ، يَعْنِي: الْكُرْسِيّ، إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الْحَلْقَةِ فِي الْمَفَازَةِ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي "الْعَظَمَةِ"، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالْبَيْهَقِيُّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيّ: «أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكُرْسِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ». أفاد هذا في "فتح القدير".

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾، لَا يثقله، يقال: آدَنِي الشَّيْءِ بِمَعْنَى: أَثْقَلَنِي وَتَحَمَّلْتُ مِنْهُ مَشَقَّةً. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي قوله: ﴿يَئُودُهُ﴾ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْكُرْسِيّ لِأَنَّهُ مِن أَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى. والْعَلِيُّ يُرَادُ بِهِ: عُلُوُّ الْقُدْرَةِ وَالْمَنْزِلَةِ. كذا في "فتح القدير"؟

وقال العلّامة الشيخ زرُّوق الفاسي المغربي في "شرح حزب الإمام النووي" ما نصه: العلي هو الذي يصغر عند ذكر وصفه كل شيء سواه،

والعظيم الذي لا نسبة لأحد في علو شأنه وجلالة قدره ذاتًا وصفاتًا واسمًا وأفعالاً. ثم هو العلي في عظمته فوق كل عظمة لغيره، والعظيم في علوه عن كل علو لا يليق بذاته. فهما اسمان متداخلان، يسري معنى كل منهما في الآخر، بارتفاع الوصف إلى نهاية ما يراد به.

وفيه أيضًا: ومثله بالحرف في "نهاية ابن الأثير" ما لفظه: العظيم هو الذي جاوز قدره عزَّ وجلَّ عن حدود العقول، حتى لا تتصوّر إلا حاصله بكنهه وحقيقته. والعلي هو الذي ليس فوقه شيء في الرتبة والحكم. فعيل بمعنى فاعل من عَلِيّ لعلوه اهـ.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۞ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٤-٢٨٦]).

قد ورد في فضائل هذه الآيات من الأخبار من الكثرة ما لا يدخل تحت حد الانحصار.

مِنْ ذَلِكَ مَا ثَبَتَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ، وَأَهْلِ السُّنَنِ، وَغَيْرِهِمْ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ». وَمَعْنَى كَفَتَاهُ: أَجْزَأَتَاهُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ.

ويشهد له مَا أَخْرَجَ ابْنُ عَدِيٍّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنْزَلَ اللَّهُ آيَتَيْنِ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، كَتَبَهُمَا الرَّحْمَنُ بِيَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ بِأَلْفَيْ سَنَةٍ، مَنْ قَرَأَهُمَا بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ أَجْزَأَتَاهُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ». وقيل: كفتاه من الشيطان فلا يقربه ليلته.

وربما يدل لذلك ما أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ، وَالدَّارِمِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، فَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بهما سورة البقرة، ولا يُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ» .

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يخلق السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، فَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، لَا يُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ».

وقيل: كفتاه ما يكون مما يكون من الآفات تلك الليلة. وقيل: حسبه بهما فضلاً وأجرًا، ولو حمل معنى كفتاه على جميع ما ذُكر صَحَّ، لأن خلاف المتعلّق يوزن بالتعميم كما هو مقرر في علم المعاني.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ" بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «أُعْطِيتُ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، لَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي». وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ مَرْفُوعًا نَحْوَهُ.

وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ، وَأَحْمَدُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: اقْرَءُوا هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ إِلَى خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى بِهَا مُحَمَّدًا» وَإِسْنَادها حَسَنٌ.

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَهَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَأُعْطِيَ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغفَرَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ».

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ" عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَتَمَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ بِآيَتَيْنِ أَعْطَانِيهِمَا مِنْ كَنْزِهِ الَّذِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَعَلَّمُوهُمَا وَعَلِّمُوهُمَا نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ فَإِنَّهُمَا صَلَوَاتٌ وَقُرْآنٌ وَدُعَاءٌ».

وَأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اثْنَانِ هُمَا قُرْآنٌ وَهُمَا يَشْفِيَانِ، وَهُمَا مِمَّا يُحِبُّهُمُ اللَّهُ، الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَرَأَ آخِرَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، أَوْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، ضَحِكَ، وَقَالَ: إِنَّهُمَا مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ». وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعْطِيتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ» .

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ، وَالنَّسَائِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَعِنْدَهُ جِبْرِيلُ إِذْ سَمِعَ نَقِيضًا فَرَفَعَ جِبْرِيلُ بَصَرَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ قَدْ فُتِحَ مِنَ السَّمَاءِ مَا فُتِحَ قَطُّ، قَالَ: فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ قَدْ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ

قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ حَرْفًا مِنْهُمَا إِلَّا أُوتِيتَهُ» اهـ.

والآيتان صرَّح في الحديث بأنهما قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ إلى آخر السورة، ولعل اختيار المُصنِّف الابتداء من قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾، كما فعل ذلك غيره، عدّه من أهل الوظائف، اطلعوا فيه على خبر أن أول ذلك ما اختاروه، وعلى فرض أنه لم يثبت في ذلك ... إذ القرآن كله هدى ونور.

ولعلهم لاحظوا في ذلك تنبيه العبد على مراقبة مولاه، إذ هو يعلم ما يخفيه الإنسان وما يبديه، ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] ، و﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، مستوفي علمه الإسرار والإعلان، علانية القول كالسر في علمه، كما ورد معنى ذلك في الخبر.

قَوْلُهُ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، قد تقدَّم تفسير معناه.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. قال في "فتح القدير": ظَاهِرُهُ أَنَّ اللَّهَ يُحَاسِبُ الْعِبَادَ عَلَى مَا أَضْمَرَتْهُ أَنْفُسُهُمْ أَوْ أَظْهَرَتْهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُحَاسَبُ عَلَيْهَا، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ مَا يَغْفِرُهُ مِنهم، أَوْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ بِمَا أَسَرَّ أَوْ أَظْهَرَ مِنْهَا، هَذَا مَعْنَى الْآيَةِ عَلَى مُقْتَضَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَقْوَالٍ: الْأَوَّلُ: أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ عَامَّةً، فَهِيَ مَخْصُوصَةٌ بِكِتْمَانِ الشَّهَادَةِ، وَأَنَّ الْكَاتِمَ لِلشَّهَادَةِ يُحَاسَبُ عَلَى كَتْمِهِ سَوَاءً أَظْهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ كَاتِمٌ لِلشَّهَادَةِ أَوْ لَمْ يُظْهِرْ.

وَقَدْ رُوِيَ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَالشَّعْبِيِّ وَمُجَاهِدٍ، وَهُوَ مَرْدُودٌ بِمَا فِي الْآيَةِ مِنْ عُمُومِ اللَّفْظِ، وَلَا يَصْلُحُ مَا تَقَدَّمَ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ النَّهْيِ عَنْ كَتْمِ الشَّهَادَةِ أَنْ تَكُونَ مُخْتَصَّةً بِهِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ مَا فِي الْآيَةِ مُخْتَصٌّ بِمَا يَطْرَأُ عَلَى النُّفُوسِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَهُوَ أَيْضًا تَخْصِيصٌ بِلَا مُخَصَّصٍ.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّهَا مُحْكَمَةٌ عَامَّةٌ، وَلَكِنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَا فِي النَّفْسِ يَخْتَصُّ بِالْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ. حَكَاهُ الطَّبَرِيُّ عَنْ قَوْمٍ، وَهُوَ أَيْضًا تَخْصِيصٌ بِلَا مُخَصَّصٍ، فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ لَا يَخْتَصُّ بِبَعْضٍ مُعَيَّنٍ إِلَّا بِدَلِيلٍ.

وَالْقَوْلُ الرَّابِعُ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَعَائِشَةُ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَالشَّعْبِيُّ، وَعَطَاءٌ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ، وَمُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ لِمَا سَيَأْتِي مِنَ التَّصْرِيحِ بِنَسْخِهَا، وَلِمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ غَفَرَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا».

قَوْلُهُ: ﴿يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾، قَدَّمَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ عَلَى الْفَاعِلِ لِإِظْهَارِ الْعِنَايَةِ بِهِ، وَقَدَّمَ الْإِبْدَاءَ عَلَى الْإِخْفَاءِ، لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْأُمُورِ الَّتِي يُحَاسَبُ عَلَيْهَا هُوَ الْأَعْمَالُ الْبَادِيَةُ.

وَأَمَّا تَقْدِيمُ الْإِخْفَاءِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾، فَلِكَوْنِ الْعِلْمِ يَتَعَلَّقُ بِالْأَعْمَالِ الْخَافِيَةِ وَالْبَادِيَةِ عَلَى السَّوِيَّةِ، وَقَدَّمَ الْمَغْفِرَةَ عَلَى التَّعْذِيبِ لِكَوْنِ رَحْمَتِهِ سَبَقَتْ غَضَبَهُ.

ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي "نَاسِخِهِ"، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾الْآيَةَ، اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ جَثَوْا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نُطِيقُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَثَرِهَا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾الْآيَةَ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ فَأَنْزَلَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إِلَى آخِرِهَا».

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَالْحَاكِمُ، وَالْبَيْهَقِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا نَحْوَهُ. وَزَادَ:

«فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾[الآية]، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ». وَقَدْ رُوِيَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ طُرُقٍ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَالْبَيْهَقِيُّ، عَنْ مَرْوَانَ الْأَصْفَرِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، -أحسبه ابْنَ عُمَرَ- ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾، قَالَ: نَسَخَتْهَا الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا. وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَلِيٍّ نَحْوَهُ. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عَائِشَةَ نَحْوَهُ أَيْضًا. اهـ الغرض منه.

ثم قال: قَوْلُهُ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ أَيْ: بِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عَطْفٌ عَلَى الرَّسُولِ، وَقَوْلُهُ: ﴿كُلٌّ﴾ أَيْ: مِنَ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ آمَنَ بِاللَّهِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ مُبْتَدَأٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿كُلٌّ﴾ مُبْتَدَأٌ ثَانٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿آمَنَ بِاللَّهِ﴾ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ الثَّانِي، وَهُوَ وَخَبَرُهُ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ الْأَوَّلِ، وَأَفْرَدَ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿آمَنَ بِاللَّهِ﴾، مَعَ رُجُوعِهِ إِلَى كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بَيَانُ إِيمَانِ كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ، مِنْ غير اعْتِبَارِ الِاجْتِمَاعِ كَمَا اعْتَبَرَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[النمل: ٨٧].

قَالَ الزَّجَّاجُ: لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ فَرْضَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَبَيَّنَ أَحْكَامَ الْحَجِّ، وَحُكْمَ الْحَيْضِ، وَالطَّلَاقِ وَالْإِيلَاءِ، وَأَقَاصِيصَ الْأَنْبِيَاءِ، وَبَيَّنَ حُكْمَ الرِّبَا، ذَكَرَ تَعْظِيمَهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ تَصْدِيقَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ذَكَرَ تَصْدِيقَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾، أَيْ: صَدَّقَ الرَّسُولُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي جَرَى ذِكْرُهَا، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ.

وَسَبَبُ نُزُولِهَا: الْآيَةُ الَّتِي قَبْلَهَا. وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ أَيْ: مِنْ حَيْثُ كَوْنِهِمْ عِبَادَهُ الْمُكْرَمِينَ، الْمُتَوَسِّطِينَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِ فِي إِنْزَالِ كُتُبِهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَكُتُبِهِ﴾ لِأَنَّهَا الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى الشَّرَائِعِ الَّتِي تُعَبِّدَ بِهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَرُسُلِهِ﴾ لِأَنَّهُمُ الْمُبَلِّغُونَ لِعِبَادِهِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ اهـ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾، أَيْ: نؤمن بجميع الرسل المبعوثين من عند الله، لا نقول كما قال أهل الكتاب: نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ، بل نؤمن ونصدّق بالكل. أَظْهَرَ فِي مَحَلِّ الْإِضْمَارِ لِلِاحْتِرَازِ عَنْ تَوَهُّمِ انْدِرَاجِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْحُكْمِ، أَوِ لِلْإِشْعَارِ بِعِلَّةِ عَدَمِ التَّفْرِيقِ بَيْنَهُمْ.

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حِبَّانَ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ لَا نَكْفُرُ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نُكَذِّبُ بِهِ، ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ لِلْقُرْآنِ الَّذِي جَاءَ مِن عِنْدِ اللَّهِ، ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أَقَرُّوا لِلَّهِ أَنْ يُطِيعُوهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

قال في "فتح القدير": ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿آمَنَ﴾، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ لِلْمُفْرَدِ وَهَذَا لِلْجَمَاعَةِ فَهُوَ جَائِزٌ نَظَرًا إِلَى جَانِبِ

الْمَعْنَى، أَيْ: أَدْرَكْنَاهُ بِأَسْمَاعِنَا وَفَهِمْنَاهُ وَأَطَعْنَا مَا فِيهِ. وَقِيلَ: مَعْنَى ﴿سَمِعْنَا﴾: أَجَبْنَا دَعْوَتَكَ اهـ.

قلتُ: هو على حدّ ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[إبراهيم: ٣٩]، وَقَوْلُهُ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ».

وَقَوْلُهُ: ﴿غُفْرَانَكَ﴾ مَصْدَرٌ مَنْصُوبٌ بِفِعْلٍ مُقَدَّرٍ، أَيْ: اغْفِرْ غُفْرَانَكَ. قَالَهُ الزَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ، وَالْغَفْرُ: السَّتْرُ ومِنهُ المِغْفَر. وَإِنَّمَا قَدَّمَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ عَلَى طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ، لِأَنَّ الْوَسِيلَةَ تَتَقَدَّمُ عَلَى الْمُتَوَسّلِ إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، التَّكْلِيفُ: هُوَ الْأَمْرُ بِمَا فِيهِ كُلْفَةٌ وَمَشَقَّةٌ. وَالْوُسْعُ -بِضَمِّ الْوَاوِ- : الطَّاقَةُ وَالقُدْرَةُ، وَالْوُسْعُ أَيْضًا: مَا يَسَعُ الْإِنْسَانَ وَلَا يَطِيقُ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ مِنَ السِّعَةِ دُونَ الْمَجْهُودِ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ قَالَ: قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ، ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ قَالَ: إِلَيْكَ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ.

ثُمَّ هَذِهِ جُمْلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ جَاءَتْ عَقِبَ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾الْآيَةَ، لِكَشْفِ كُرْبَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَدَفْعِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ فِي التَّكْلِيفِ بِمَا فِي الْأَنْفُسِ، وَهِيَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥].

قال في "فتح القدير": قَوْلُهُ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فِيهِ تَرْغِيبٌ وَتَرْهِيبٌ، أَيْ: لَهَا ثَوَابُ مَا كَسَبَتْ مِنَ الْخَيْرِ، وَعَلَيْهَا وِزْرُ مَا اكْتَسَبَتْ من الشرّ، وتقديم: لها وعليها عَلَى الْفِعْلَيْنِ لِيُفِيدَ أَنَّ ذَلِكَ لَهَا لَا

لِغَيْرِهَا، وَعَلَيْهَا لَا عَلَى غَيْرِهَا، وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ كَسَبَتْ لِلْخَيْرِ فَقَطْ، وَاكْتَسَبَتْ لِلشَّرِّ فَقَطْ، كَمَا قَالَهُ صَاحِبُ "الْكَشَّافِ" وَغَيْرُهُ.

وَقِيلَ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفِعْلَيْنِ يَصْدُقُ عَلَى الْأَمْرَيْنِ، وَإِنَّمَا كَرَّرَ الْفِعْلَ وَخَالَفَ بَيْنَ التَّصْرِيفَيْنِ تَحْسِينًا لِلنَّظْمِ كَمَا وقعَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[الطارق: ١٧].

وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ حَكِيمِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ الْآيَةَ، قَالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ فَسَلْ تُعْطَهُ، فَقَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، قَالَ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَمْرَ دِينِهِمْ، فَقَالَ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج: ٧٨]، وَقَالَ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: ١٦]».

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، قَالَ: مِنَ الْعَمَلِ. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾، قَالَ: إِلَّا طَاقَتَهَا. وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنِ الضَّحَّاكِ نَحْوَهُ.

قَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أَيْ: لَا تُؤَاخِذْنَا بِإِثْمِ مَا يَصْدُرُ مِنَّا مِنْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ. وَقَدِ اسْتَشْكَلَ هَذَا الدُّعَاءُ جَمَاعَةٌ مِنَ

الْمُفَسِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ قَائِلِينَ: إِنَّ الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ مَغْفُورَانِ غَيْرُ مُؤَاخَذٍ بِهِمَا، فَمَا مَعْنَى الدُّعَاءِ بِذَلِكَ، فَإِنَّهُ مِنْ تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ.

وأجيب عن ذلك: بأن المراد: طلب عدم الْمُؤَاخَذَةِ بِمَا صَدَرَ عَنْهُمْ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى النِّسْيَانِ وَالْخَطَأِ مِنَ التَّفْرِيطِ وَعَدَمِ الْمُبَالَاةِ، لَا مِنْ نَفْسِ النِّسْيَانِ وَالْخَطَأِ، فَإِنَّهُ لَا مُؤَاخَذَةَ بِهِمَا كَمَا يُفِيدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ»، وَسَيَأْتِي تَخْرِيجُهُ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَدْعُوَ بِحُصُولِ مَا هُوَ حَاصِلٌ لَهُ قَبْلَ الدُّعَاءِ لِقَصْدِ اسْتِدَامَتِهِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ وَإِنْ ثَبَتَ شَرْعًا أَنَّهُ لَا مُؤَاخَذَةَ بِهِمَا، فَلَا امْتِنَاعَ فِي الْمُؤَاخَذَةِ بِهِمَا عَقْلًا. وَقِيلَ: لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنَ التَّقْوَى بِحَيْثُ لَا يَصْدُرُ عَنْهُمُ الذَّنْبُ تَعَمُّدًا، وَإِنَّمَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ خَطَأً أَوْ نِسْيَانًا، فَكَأَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِالدُّعَاءِ بِذَلِكَ إِيذَانًا بِنَزَاهَةِ سَاحَتِهِمْ عَمَّا يُؤَاخَذُونَ بِهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنْ كَانَ النِّسْيَانُ وَالْخَطَأُ مِمَّا يُؤَاخَذُ بِهِ، فَمَا مِنْهُمْ سَبَبُ مُؤَاخَذَةٍ إِلَّا الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَهَذَا لَمْ يُخْتَلَفْ فِيهِ أَنَّ الْإِثْمَ مَرْفُوعٌ، وَإِنَّمَا اخْتُلِفَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ، هَلْ ذَلِكَ مَرْفُوعٌ وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ شَيْءٌ، أَوْ يَلْزَمُ أَحْكَامُ ذَلِكَ كُلِّهِ؟، اخْتُلِفَ فِيهِ، وَالصَّحِيحُ: أَنَّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِحَسْبِ الْوَقَائِعِ، فَقِسْمٌ لَا يَسْقُطُ بِاتِّفَاقٍ كَالْغَرَامَاتِ والدِّيات وَالصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ، وَقِسْمٌ يَسْقُطُ بِاتِّفَاقٍ كَالْقِصَاصِ وَالنُّطْقِ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ، وَقِسْمٌ ثَالِثٌ مُخْتَلَفٌ فِيهِ: كَمَنْ أَكَلَ نَاسِيًا فِي رَمَضَانَ أَوْ حَنَثَ سَاهِيًا، وما كان مثله مما يقع خَطَأً وَنِسْيَانًا، وَيُعْرَفُ ذَلِكَ فِي الْفُرُوعِ اهـ.

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ، وَالْحَاكِمُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "سُنَنِهِ" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ». وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ مَرْفُوعًا، وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ، وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، وَمِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِهِ. وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي "الْكَامِلِ"، وَأَبُو نُعَيْمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الدَّرْدَاءِ. وَأَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ من حَدِيثِ الْحَسَنِ مُرْسَلًا، وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ مِنْ حَدِيثِ الشَّعْبِيِّ مُرْسَلًا.

قال في "فتح القدير": وَفِي أَسَانِيدِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَقَالٌ وَلَكِنَّهَا يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا، فَلَا تَقْصُرُ عَنْ رُتْبَةِ الْحَسَنِ لِغَيْرِهِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ»، وَهُوَ فِي الصَّحِيحِ وَهُوَ يَشْهَدُ لِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ اهـ.

قَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾.

قال في "فتح القدير": عَطْفٌ عَلَى الْجُمْلَةِ الَّتِي قَبْلَهُ، وَتَكْرِيرُ النِّدَاءِ لِلْإِيذَانِ بِمَزِيدِ التضرُّع واللجأ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَالْإِصْرُ -بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ- : الْعِبْءُ الثَّقِيلُ الَّذِي يَأْصِرُ صَاحِبَهُ أَيْ: يَحْبِسُهُ مَكَانَهُ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ لِثِقَلِهِ. وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا التَّكْلِيفُ الشَّاقُّ، وَالْأَمْرُ الْغَلِيظُ الشَّدِيدُ الصَّعْبُ. وَقِيلَ: الْإِصْرُ: شِدَّةُ الْعَمَلِ وَمَا غَلُظَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ قَتْلِ الْأَنْفُسِ وَقَطْعِ مَوْضِعِ النَّجَاسَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ:

يَا مَانِعَ الضَّيْمِ أَنْ تَغْشَى سَرَاتَهُمُ ... وَالْحَامِلَ الإِصْرِ عَنْهُمْ بَعْدَ مَا غَرِقُوا

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ زَيْدٍ فِي الْآيَةِ أَنَّ الْإِصْرَ: الذَّنْبُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ تَوْبَةٌ وَلَا كَفَّارَةٌ. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الْفُضَيْلِ فِي الْآيَةِ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا أَذْنَبَ قِيلَ لَهُ: تَوْبَتُكَ أَنْ تَقْتُلَ نَفْسَكَ فَيَقْتُلُ نَفْسَهُ، فَوُضِعَتِ الْآصَارُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ. وَقِيلَ: الْإِصْرُ: الْمَسْخُ قِرَدَةً أَوْ خَنَازِيرَ. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾، قَالَ: لَا تَمْسَخْنَا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ.

وَقِيلَ: الْإِصْرُ: الْعَهْدُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾[آل عمران: ٨١]. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِصْرًا﴾، قَالَ: عَهْدًا. وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ مِثْلَهُ. قال في "فتح القدير": وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُمْ طَلَبُوا مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَنْ لَا يَحْمِلَهُمْ مِنْ ثَقِيلِ التَّكَالِيفِ مَا حَمَلَ الْأُمَمَ قَبْلَهُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ﴾ صِفَةُ مَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ: أَيْ حَمْلًا مِثْلَ حَمْلِكَ إِيَّاهُ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا، أَوْ صِفَة لِإِصْرًا، أَيْ: إِصْرًا مِثْلَ الْإِصْرِ الَّذِي حَمَلْتَهُ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا.

قَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ هُوَ أَيْضًا عَطْفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ، وَتَكْرِيرُ النِّدَاءِ لِلنُّكْتَةِ الْمَذْكُورَةِ قَبْلَ هَذَا. وَالْمَعْنَى: لَا تُحَمِّلْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ ما لا نطيق. وقيل: هو عِبَارَةٌ عَنْ إِنْزَالِ الْعُقُوبَاتِ بِتَفْرِيطِنَا فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى تِلْكَ التَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ الَّتِي كَلَّفْتَ بِهَا مَنْ قَبْلَنَا. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ الشَّاقُّ

الَّذِي لَا يَكَادُ يُسْتَطَاعُ مِنَ التَّكَالِيفِ. قَالَ فِي "الْكَشَّافِ": وَهَذَا تَقْرِيرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾.

قَوْلُهُ: ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ أَيْ: عَنْ ذُنُوبِنَا، يُقَالُ: عَفَوْتُ عَنْ ذَنْبِهِ: إِذَا تَرَكْتَهُ وَلَمْ تُعَاقِبْهُ عَلَيْهِ اهـ. قلتُ: ذكره معنى هذا في "المختار"، ولأن العفو هو محو الشيء واندراس أثره.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ أَيْ: استر ذنوبنا، وَقَوْلُهُ: ﴿وَارْحَمْنَا﴾ أَيْ: تَفَضَّلْ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ عَلَيْنَا، فَإِنَّ رَحْمَتَكَ وَاسِعَةٌ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَقَدْ سَبَقَتْ رَحْمَتَكَ غَضَبَكَ.

﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ أَيْ: وَلِيُّنَا وَنَاصِرُنَا وَسَيِّدُنَا. قال في "فتح القدير": وَخَرَجَ هَذَا مَخْرَجَ التَّعْلِيمِ كَيْفَ يَدْعُونَ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: أَنْتَ مَوْلَانَا أَنْتَ سَيِّدُنَا، وَنَحْنُ عَبِيدُكَ، ﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، فَإِنَّ مِنْ حَقِّ الْمَوْلَى أَنْ يَنْصُرَ عَبِيدَهُ، وَالْمُرَادُ: عَامَّةُ الْكَفَرَةِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ.

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي شَرْحِ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَ هذه أَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ إِلَخْ، أَنَّهُ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ عَقِبَ كُلِّ دَعْوَةٍ مِنْ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ: «قَدْ فَعَلْتُ»، فَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يُؤَاخِذْهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَطَأِ وَالنِّسْيَانِ، وَلَا حَمَلَ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنَ الْإِصْرِ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى مَنْ قَبْلَهُمْ، وَلَا حَمَّلَهُمْ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ، وَعَفَا عَنْهُمْ، وَغَفَرَ لَهُمْ، وَرَحِمَهُمْ، وَنَصَرَهُمْ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اهـ.

وَقَدْ أَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ إلخ، كَمَا قَالَهَا جِبْرِيل لِلنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ النَّبِيُّ: آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ عَنْ مَيْسَرَةَ «أَنَّ جِبْرِيلَ لَقَّنَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتِمَةَ الْبَقَرَةِ آمِينَ». وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ هَذِهِ السُّورَةِ قَالَ: آمِينَ».

وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: آمِينَ آمِينَ. وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: هِيَ لِلنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ الضَّحَّاكِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: سَأَلَهَا نَبِيُّ اللَّهِ رَبَّهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَكَانَتْ لِلنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً اهـ. "فتح القدير".

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران: ١٨-١٩]):

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: «كَانَ حَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُمِائَةِ صَنَمٍ، لِكُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ صَنَمٌ أَوْ صَنَمَانِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾الْآيَةَ، فَأَصْبَحَتِ الْأَصْنَامُ كُلُّهَا قَدْ خَرَّتْ سُجَّدًا لِلْكَعْبَةِ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ السُّنِّيِّ فِي "عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ"، وَأَبُو مَنْصُورٍ الشَّحَامِيُّ فِي "الْأَرْبَعِينَ" عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَالْآيَتَيْنِ مِنْ آلِ عِمْرَانَ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۞ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، وَ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: ٢٦-٢٧] ، هُنَّ مُعَلَّقَاتٌ بِالْعَرْشِ، مَا بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ، يَقُلْنَ: يَا رَبِّ تَهبطنَا إِلَى أَرْضِكَ وَإِلَى مَنْ يَعْصِيكَ؟، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَلَفْتُ لَا يَقْرَؤُكُنَّ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِي دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ إِلَّا جَعَلْتُ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، وَإِلَّا أَسْكَنْتُهُ حَظِيرَةَ الْقُدُسِ، وَإِلَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ بِعَيْنِي الْمَكْنُونَةِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ نَظْرَةً، وَإِلَّا قَضَيْتُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ حَاجَةً أَدْنَاهَا الْمَغْفِرَةُ، وَإِلَّا أَعَذْتُهُ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ وَنَصَرْتُهُ مِنْهُ».

وَأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ فِي "مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ" عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ مَرْفُوعًا نَحْوَهُ، وَفِيهِ: «لَا يَتْلُوكُنَّ عَبْدٌ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ إِلَّا غَفَرْتُ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ، وَأَسْكَنْتُهُ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَقَضَيْتُ لَهُ سَبْعِينَ حَاجَةً أَدْنَاهَا الْمَغْفِرَةُ». كذا في "فتح "القدير".

وفي "تفسير الفاتحة" للمجد الشيرازي ما نصه: وفي "تفسير مجمع اللطائف"، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُنَزِّلَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ وَ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾، وَ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾، وَ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾، تَعَلَّقْنَ بِالْعَرْشِ، وَلَيْسَ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ، وَقُلْنَ: يَا رَبَّنَا تهْبطنَا إِلى أَرْضِك وَإِلَى مَنْ يَعْصِيكَ، ونحن مُتَعَلِّقَات بِالطهُورِ وَالعَرْشِ، قَالَ اللَّهُ تَعالَى: إِنِّي حَلَفْتُ لَا يَقْرَؤُكُنَّ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِي دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ إِلَّا جَعَلْتُ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ عَلَى مَا كَانَ فِيهِ، وَإِلَّا أَسْكَنْتُهُ حَظِيرَةَ الْقُدُسِ، وَإِلَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الرَّحْمَة كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ نَظْرَةً، وَإِلَّا قَضَيْتُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ حَاجَةً أَدْنَاهَا الْمَغْفِرَةُ، وَإِلَّا أَعَذْتُهُ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ وَنَصَرْتُهُ عَلَيْهِ» اهـ.

وفي "فتح القدير": أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَابْنُ السُّنِّيِّ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِعَرَفَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فَقَالَ: وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ». وَلَفْظُ الطَّبَرَانِيِّ: «وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَدِيٍّ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ"، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "شُعَبِ الْإِيمَانِ" وَضَعَّفَهُ، وَالْخَطِيبُ فِي "تَارِيخِهِ"، وَابْنُ النَّجَّارِ، عَنْ غَالِبِ الْقَطَّانِ

قَالَ: «أَتَيْتُ الْكُوفَةَ فِي تِجَارَةٍ، فَنَزَلْتُ قَرِيبًا مِنَ الْأَعْمَشِ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ أَرَدْتُ أَنْ أَنْحدِرَ، قَامَ فَتَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ، فَمَرَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، فَقَالَ الْأَعْمَشُ: وَأَنَا أَشْهَدُ بِمَا شَهِدَ اللَّهُ بِهِ، وَأَسْتَوْدِعُ اللَّهَ هَذِهِ الشَّهَادَةَ، وَهِيَ لِي عِنْدَ اللَّهِ وَدِيعَةٌ، قَالَهَا مِرَارًا، فَقُلْتُ: لَقَدْ سَمِعَ فِيهَا شَيْئًا، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُجَاءُ بِصَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ: عَبْدِي عَهِدَ إِلَيَّ وَأَنَا أَحَقُّ مَنْ وَفَّى بِالْعَهْدِ، أَدْخِلُوا عَبْدِيَ الْجَنَّةَ» اهـ.

وفي "أسرار التنزيل" للرازي عن أنس مرفوعًا: «مَنْ قَرَأَ عِنْدَ مَنَامِهِ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، خَلَقَ اللَّهُ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ: وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ» اهـ.

وقال: قَوْلُهُ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ أَيْ: بَيَّنَ وَأَعْلَمَ. قال في "الأعقم": معنى شهدَ: قضَى وحكمَ. وقيل: أعلمَ وأمرَ اهـ. وقال بعض المفسرين: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ أَيْ: قالَ. وقال مجاهد: حكم اللَّه. كذا في "ابن عادل".

وقَالَ الزَّجَّاجُ: الشَّاهِدُ: هو الذين يعلم الشيء ويبيِّنه، فقد دلَّنا اللَّه عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ بِمَا خَلَقَ وَبَيَّنَ. كذا في "فتح القدير". وفيه أيضًا: وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ بِمَعْنَى: قَضَى، أَيْ: أَعْلَمَ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهَذَا مَرْدُودٌ مِنْ جِهَاتٍ، وَقِيلَ: إِنَّهَا شَبَّهَتْ دَلَالَتَهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ بِأَفْعَالِهِ، ووحيه بشهادة الشاهد في كونها مبينة اهـ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَنَّهُ﴾ -بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ- قَالَ الْمُبَرِّدُ: أَيْ: بِأَنَّهُ، ثُمَّ حُذِفَتِ الْبَاءُ، كَمَا فِي: أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ، أَيْ: بِالْخَيْرِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {إِنَّهُ} -بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ- بِتَضْمِينِ شَهِدَ مَعْنَى: قَالَ. وَقَرَأَ أَبُو الْمُهَلَّبِ: {شَهِدَ اللَّهَ} بِالنَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ حَالٌ مِنَ الصَّابِرِينَ وَمَا بَعْدَهُ، أَوْ عَلَى الْمَدْحِ.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ عَطْفٌ عَلَى الِاسْمِ الشَّرِيفِ، وَشَهَادَتُهُمْ: إِقْرَارُهُمْ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ أَيْضًا عَطْفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ، بِمَعْنَى الْإِيمَانِ مِنْهُمْ، وَمَا يَقَعُ مِنَ الْبَيَانِ لِلنَّاسِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ.

قال في "فتح القدير": وَعَلَى هَذَا لَا بُدَّ مِنْ حَمْلِ الشَّهَادَةِ عَلَى مَعْنًى يَشْمَلُ شَهَادَةَ اللَّهِ، وَشَهَادَةَ الْمَلَائِكَةِ، وَأُولِي الْعِلْمِ. وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي: أُولِي الْعِلْمِ هَؤُلَاءِ، مَنْ هُمْ؟ فَقِيلَ: هُمُ الْأَنْبِيَاءُ، وَقِيلَ: الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، قَالَهُ ابْنُ كَيْسَانَ. وَقِيلَ: مُؤْمِنُو أَهْلِ الْكِتَابِ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ. وَقِيلَ: الْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ، قَالَهُ السُّدِّيُّ وَالْكَلْبِيُّ، وَهُوَ الْحَقُّ، إِذْ لَا وَجْهَ لِلتَّخْصِيصِ.

وَفِي ذَلِكَ فضيلة لأهل العلم جليلة، ومنقبة نبيلة لقرنهم بِاسْمِهِ وَاسْمِ مَلَائِكَتِهِ، وَالْمُرَادُ بِأُولِي الْعِلْمِ هُنَا: عُلَمَاءُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى مَعْرِفَتِهِمَا، إِذْ لَا اعْتِدَادَ بِعِلْمٍ لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْعِلْمِ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ وَالسُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: أَيِ الْعَدْلِ، أَيْ: قَائِمًا بِالْعَدْلِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ أَوْ مُقِيمًا لَهُ، وَانْتِصَابُ ﴿قَائِمًا﴾: عَلَى الْحَالِ مِنَ الِاسْمِ الشَّرِيفِ. قَالَ فِي "الْكَشَّافِ": إِنَّهَا حال مؤكدة كقوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾[البقرة: ٩١]. وَجَازَ إِفْرَادُهُ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ دُونَ مَا هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَأُولِي الْعِلْمِ

لِعَدَمِ اللبس. وقيل: إنه منصوب على الْمَدْحِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ صِفَةٌ لِقَوْلِهِ: ﴿إِلَهَ﴾ أَيْ: لَا إِلَهَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ إِلَّا هُوَ، أَوْ هُوَ حَالٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا هُوَ﴾، وَالْعَامِلُ فِيهِ مَعْنَى الْجُمْلَةِ.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْقَطْعِ، لِأَنَّ أَصْلَهُ الْأَلِفُ وَاللَّامُ، فَلَمَّا قطعت نصب كقوله: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾[النحل: ٥٢]. وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: {الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ} اهـ. وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ قَالَ: بِالْعَدْلِ. وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ.

قَالَ: وَقَوْلُهُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تَكْرِيرٌ لِقَصْدِ التَّأْكِيدِ، وَقِيلَ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كَالدَّعْوَى، وَالْأَخِيرَةُ كَالْحُكْمِ.

وَقَالَ جَعْفَرٌ الصَّادِقُ: الْأُولَى: وَصْفٌ وَتَوْحِيدٌ، وَالثَّانِيَةُ: رَسْمٌ وَتَعْلِيمٌ.

وَقَالَ الرَّاغِبُ: إِنَّمَا كَرَّرَ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لِأَنَّ صِفَاتِ التَّنْزِيهِ أَشْرَفُ مِنْ صِفَاتِ التَّمْجِيدِ، لِأَنَّ أَكْثَرَهَا مُشَارِكٌ فِي أَلْفَاظِهَا الْعَبِيدُ، فَيَصِحُّ وَصْفُهُمْ بِهَا، وَلِذَلِكَ وَرَدَتْ أَلْفَاظُ التَّنْزِيهِ فِي حَقِّهِ أَكْثَرَ وَأَبْلَغَ.

وقال بعضهم: فائدة هذا التكرار الإعلام بأن المسلم يجب أن يكون أبدًا في تكرير هذه الكلمة، فإنها أشرف كلمة يذكرها الإنسان، فإذا كان في أكثر أوقاتِه مشتغلاً بذكرِها كان مشتَغِلاً بأعظم أنواع العبادات اهـ. "ابن عادل".

وَقَوْلُهُ: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ مُرْتَفِعَانِ عَلَى الْبَدَلِيَّةِ مِنَ الضَّمِيرِ، أَوِ الْوَصْفِيَّةِ لِفَاعِلِ ﴿شَهِدَ﴾ لِتَقْرِيرِ مَعْنَى الْوَحْدَانِيَّةِ.

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾، قَرَأَهُ الْجُمْهُورُ: بِكَسْرِ إِنَّ، عَلَى أَنَّ الْجُمْلَةَ مُسْتَأْنَفَةٌ مُؤَكِّدَةٌ لِلْجُمْلَةِ الْأُولَى، وَقُرِئَ: بِفَتْحِ أَنَّ، قَالَ الْكِسَائِيُّ: أَنْصِبُهُمَا جَمِيعًا، يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ أَنَّهُ كَذَا، وَأَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ. قَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: إِنَّ الثَّانِيَةَ بَدَلٌ مِنَ الْأُولَى. وَقَدْ ذَهَبَ الْجُمْهُورُ: إِلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ هُنَا بِمَعْنَى الْإِيمَانِ وَإِنْ كَانَا فِي الْأَصْلِ مُتَغَايِرَيْنِ، كَمَا فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ الَّذِي بَيَّنَ فِيهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْنَى الْإِسْلَامِ، وَمَعْنَى الْإِيمَانِ، وَصَدَّقَهُ جِبْرِيلُ، وَهُوَ فِي "الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا"، وَلَكِنَّهُ قَدْ يُسَمَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِاسْمِ الْآخَرِ، وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ اهـ.

وقال ابن عادل: قال القرطبي: الإسلام هو الإيمان بِمَعْنَى التَّدَاخُلِ، وَهُوَ أَنْ يُطْلَقَ أَحَدُهُمَا وَيُرَادَ بِهِ مُسَمَّاهُ فِي الْأَصْلِ وَاسم الْآخَرِ، كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِذْ قَدْ دخل فيها كالتصديق والأعمال، ومنه قول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ». أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ.

ثم قال في "فتح القدير": وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، قَالَ: الْإِسْلَامُ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي شَرَعَ لِنَفْسِهِ، وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، وَدَلَّ عَلَيْهِ أَوْلِيَاءَهُ، لَا يَقْبَلُ غَيْرَهُ اهـ. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ رَسُولًا إِلَّا بِالْإِسْلَامِ اهـ.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: ٢٦-٢٧]):

وَقَدْ أَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «ذُكِرَ لَنَا أَنَّ النَّبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَ مُلْكَ فَارِسَ وَالرُّومِ فِي أُمَّتِهِ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ».

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾».

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ في "الأوسط" من حديث مُعَاذِ وأنس، أما حديث معاذ فقال: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افْتَقَدَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى مُعَاذًا فَقَالَ لَهُ: يَا مُعَاذُ إِنِّي لَمْ أَرَكَ؟، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِيَهُودِيٍّ عَلَيَّ أُوقِيَّةٌ مِنْ تِبْرٍ فَخَرَجْتُ إِلَيْكَ فَحَبَسَنِي عَنْكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مُعَاذُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ؟، فَلَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِنَ الدِّينِ مِثْلُ جَبَلِ صَبِرٍ أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ -وَصَبِرٌ جَبَلٌ بِالْيَمَنِ- فَادْعُ بِهِ يَا مُعَاذُ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا، تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمَا، وتَمْنَعُ مَنْ تَشَاءُ، ارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ».

وفي روايةٍ عَنْ مُعَاذٍ قَالَ: «كَانَ لِرَجُلٍ عَلَيَّ بَعْضُ الْحَقِّ فَخَشِيتُهُ، فَجَلَسْتُ فَلَبِثْتُ يَوْمَيْنِ لَا أَخْرَجُ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِكَلِمَاتٍ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ أَمْثَالُ الْجِبَالِ قَضَاهُ اللَّهُ، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: ﴿اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾».

فذكر نحوه باختصار وزاد في آخره: «اللَّهُمَّ أَغْنِنِي عَنِ الْفَقْرِ، وَاقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَتَوَفَّنِي فِي عِبَادَتِكَ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِكَ». قال في "مجمع الزوائد": رَوَاهُ كُلَّهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى نَصْرُ بْنُ مَرْزُوقٍ وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهَا ثِقَاتٌ، إِلَّا أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ مُعَاذٍ، وَفِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ مَنْ لَا أَعْرِفُهُ اهـ.

وأما حديث أَنَسٍ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذٍ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ دَيْنًا لَأَدَّى اللَّهُ عَنْكَ؟، قُلْ يَا مُعَاذُ: ﴿اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُعْطِيهِمَا مَنْ تَشَاءُ، وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ، ارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ». قال في "مجمع الزوائد": رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي "الصَّغِيرِ" وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ. أفاده في "تحفة الذاكرين".

قلتُ: وأفاد أيضًا في "فتح القدير": أنه أَخْرَجَهُ أيضا ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وزاد في آخره: «اللَّهُمَّ أَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ وَاقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ» اهـ. وقد تقدَّم في تفسير آية: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ عند ذكر فضائلها.

ذكر بعض ما ورد في فضل هذه الآية الشريفة الكريمة:

قَوْلُهُ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾، قَالَ الْخَلِيلُ وَسِيبَوَيْهِ وَجَمِيعُ الْبَصْرِيِّينَ: إِنْ أَصْلَ اللَّهُمَّ يَا اللَّهُ، فَلَمَّا اسْتُعْمِلَتِ الْكَلِمَةُ دُونَ حرف النداء الَّذِي هُوَ يَا، جَعَلُوا بَدَلَهُ هَذِهِ الْمِيمَ المشددة، فجاؤوا بِحَرْفَيْنِ وَهُمَا الْمِيمَانِ عِوَضًا مِنْ حَرْفَيْنِ وَهُمَا الْيَاءُ وَالْأَلِفُ وَالضَّمَّةُ فِي الْهَاءِ: ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ.

وَذَهَبَ الْفَرَّاءُ وَالْكُوفِيُّونَ: إِلَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي اللَّهُمَّ: يَا اللَّهُ أُمَّنَا بخير، فحذف وخلط الكلمتين وَالضَّمَّةُ الَّتِي فِي الْهَاءِ: هِيَ الضَّمَّةُ الَّتِي كَانَتْ فِي أُمَّنَا، لَمَّا حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ انْتَقَلَتِ الحركة. قال النحاس: هذا عند الكوفيين مِنَ الْخَطَأِ الْعَظِيمِ، وَالْقَوْلُ فِي هَذَا: مَا قاله الخليل وسيبويه.

قال الْكُوفِيُّونَ: وَقَدْ يُدْخَلُ حَرْفُ النِّدَاءِ عَلَى اللَّهُمَّ، وَأَنْشَدُوا فِي ذَلِكَ قَوْلَ الرَّاجِزِ:

غَفَرْتَ أَوْ عَذَّبْتَ يَا اللَّهُمَّا   غَفَرْتَ أَوْ عَذَّبْتَ يَا اللَّهُمَّا

وَقَوْلَ الْآخَرِ:

وَمَا عَلَيْكِ أَنْ تَقُولِي كُلَّمَا   سَبَّحْتِ أَوْ هَلَّلْتِ يَا اللَّهُمَّا

وَقَوْلَ الْآخَرِ:

إِنِّي إِذَا مَا حَدَثٌ أَلَمَّا   أَقُولُ يَا اللَّهُمَّ يَا اللَّهُمَّا

قَالُوا: وَلَوْ كَانَ الْمِيمُ عِوَضًا مِنْ حَرْفِ النداء لما اجتمعا. قال الزجاج: هذا شَاذٌّ لَا يُعْرَفُ قَائِلُهُ. قَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ: مَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ، فَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ.

قال في " دفع الأسى بشرح أذكار الصباح والمساء" لابن علان ما ملخصه: الميم في اللَّهُمَّ ماتعة من وصفه فنحو: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ بتقدير حرف النداء أو بدل، وتخفيف الميم من اللَّهُمَّ خطأ فاحش، بل نقل ابن عطية الإجماع على التشديد اهـ.

قَوْلُهُ: ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ أَيْ: مَالِكَ جِنْسِ الْمُلْكِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَمَالِكَ: مَنْصُوبٌ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ عَلَى أَنَّهُ نِدَاءٌ ثَانٍ، أَيْ: يَا مَالِكَ الْمُلْكِ، وَلَا يَجُوزُ عِنْدَهُ أَنْ يَكُونَ وَصْفًا لِقَوْلِهِ: اللَّهُمَّ، لِأَنَّ الْمِيمَ عِنْدَهُ تَمْنَعُ الْوَصْفِيَّةَ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ الزَّجَّاجُ: إِنَّهُ صِفَةٌ لِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الزمر: ٤٦]. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ: وَهُوَ مَذْهَبُ الْمُبَرِّدِ، وَمَا قَالَهُ سِيبَوَيْهِ أَصْوَبُ وَأَبْيَنُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسم مفرد ضم إليه صَوْتٌ، وَالْأَصْوَاتُ لَا تُوصَفُ نَحْوَ: غَاقْ وَمَا أَشْبَهَهُ. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَالْمَعْنَى مَالِكُ الْعِبَادِ وَمَا مَلَكُوا. وَقِيلَ: الْمَعْنَى مَالِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَقِيلَ: الْمُلْكُ هُنَا النُّبُوَّةُ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ قَالَ: النُّبُوَّةَ. وَقِيلَ: الْغَلَبَةُ. وَقِيلَ: الْمَالُ وَالْعَبِيدُ. وَالظَّاهِرُ شُمُولُهُ لِكُلِّمَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْمُلْكِ مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصٍ، ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ أَيْ: مَنْ تَشَاءُ إِيتَاءَهُ إِيَّاهُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ نَزْعَهُ مِنْهُ أَيْ: رفعه وأخذه مِنْهُ. وَالْمُرَادُ بِمَا يُؤْتِيهِ مِنَ الْمُلْكِ وَيَنْزِعُهُ: هُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ ذَلِكَ الْمُلْكِ الْعَامِّ.

قَوْلُهُ: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ أَوْ فِيهِمَا، يُقَالُ: عَزَّ إِذَا غَلَبَ، وَمِنْهُ: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾، أَيْ: تُقَوِّي مَنْ تَشَاءُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ. وَلَكِنَّ الظَّاهِرَ الْعُمُومُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ أَوْ فِيهِمَا، والإذلال: القهر والإهانة، يُقَالُ: ذَلَّ يَذِلُّ ذُلًّا إِذَا غُلِبَ وَقُهِرَ بالبناء للمجهول فيهما. وقيل:وهم فارس والروم، والظاهر العموم.

﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ تَقْدِيمُ الْخَبَرِ لِلتَّخْصِيصِ، أَيْ: بِيَدِكَ الْخَيْرُ لَا بِيَدِ غَيْرِكَ، وَذَكَرَ الْخَيْرَ دُونَ الشَّرِّ لِأَنَّ الْخَيْرَ بِفَضْلٍ مَحْضٍ، بِخِلَافِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ يَكُونُ جَزَاءً لِعَمَلٍ وُصِلَ إِلَيْهِ. وَقِيلَ: لِأَنَّ كُلَّ شَرٍّ مِنْ حَيْثُ كَوْنِهِ مِنْ قَضَائِهِ سُبْحَانَهُ هُوَ مُتَضَمِّنٌ لِلْخَيْرِ، فَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا خَيْرٌ، وَقِيلَ: إِنَّهُ حُذِفَ كَمَا حُذِفَ فِي قَوْلِهِ: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾، وَأَصْلُهُ: بِيَدِكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ. وَقِيلَ: خَصَّ الْخَيْرَ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ دُعَاءٍ.

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تَعْلِيلٌ لِمَا سَبَقَ وَتَحْقِيقٌ لَهُ. وفي "الكشاف": فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: أَنَا اللَّهُ مَلِكُ الْمُلُوكِ، وَقُلُوبُ الْمُلُوكِ وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِي، فَإِنِ الْعِبَاد أَطَاعُونِي جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِمْ رَحْمَةً، وَإِن الْعِبَاد عَصَوْنِي جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِمْ عُقُوبَةً، فَلَا تَشْتَغِلُوا بِسَبِّ الْمُلُوكِ، وَلَكِنْ تُوبُوا إِلَيَّ أَعْطِفْهُمْ عَلَيْكُمْ». وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَعْمَالُكُمْ عُمَّالُكُمْ، كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّى عَلَيْكُمْ» اهـ.

قَوْلُهُ: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أَيْ: تُدْخِلُ مَا نَقَصَ مِنْ أَحَدِهِمَا فِي الْآخَرِ، مِنَ الإِيلَاجِ وَهْوَ الإِدْخَالُ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى تُعَاقِبُ بَيْنَهُمَا، وَيَكُونُ زَوَالُ أَحَدِهِمَا وُلُوجًا فِي الْآخَرِ.

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ الآية قَالَ: مَا نَقَصَ مِنَ النَّهَارِ تَجْعَلُهُ فِي اللَّيْلِ، وَمَا نَقَصَ مِنَ اللَّيْلِ تَجْعَلُهُ فِي النَّهَارِ. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ السُّدِّيِّ نَحْوَهُ. وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ مُجَاهِدٍ نَحْوَهُ. وَأَخْرَجَ عَنِ الضَّحَّاكِ نَحْوَهُ أَيْضًا.

قَوْلُهُ: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، قِيلَ: الْمُرَادُ إِخْرَاجُ الْحَيَوَانِ وَهُوَ حَيٌّ مِنَ النُّطْفَةِ وَهِيَ مَيْتَةٌ، وَإِخْرَاجُ النُّطْفَةِ وَهِيَ مَيْتَةٌ مِنَ الْحَيَوَانِ وَهُوَ حَيٌّ.

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَأَبُو الشَّيْخِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ الْآيَةَ، قَالَ: تَأْخُذُ الصَّيْفَ مِنَ الشِّتَاءِ، وَتَأْخُذُ الشِّتَاءَ مِنَ الصَّيْفِ، ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ تُخْرِجُ الرَّجُلَ الْحَيَّ مِنَ النُّطْفَةِ الْمَيِّتَةِ، ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ تُخْرِجُ النُّطْفَةَ الْمَيِّتَةَ مِنَ الرَّجُلِ الحيّ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ قَالَ: تُخْرِجُ النُّطْفَةَ الْمَيِّتَةَ مِنَ الْحَيِّ، ثُمَّ تُخْرِجُ مِنَ النُّطْفَةِ بَشَرًا حَيًّا. وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مُجَاهِدٍ نَحْوَهُ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ إِخْرَاجُ الطَّائِرِ وَهُوَ حَيٌّ مِنَ الْبَيْضَةِ وَهِيَ مَيْتَةٌ، وَإِخْرَاجُ الْبَيْضَةِ وَهِيَ مَيْتَةٌ مِنَ الدَّجَاجَةِ وَهِيَ حَيَّةٌ. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَأَبُو الشَّيْخِ، عَنْ عِكْرِمَةَ: ﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ قَالَ: هِيَ الْبَيْضَةُ تَخْرُجُ مِنَ الْحَيِّ وَهِيَ مَيْتَةٌ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا الْحَيُّ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْهُ قَالَ: النَّخْلَةُ مِنَ النَّوَاةِ، وَالنَّوَاةُ مِنَ النَّخْلَةِ، وَالْحَبَّةُ مِنَ السُّنْبُلَةِ، وَالسُّنْبُلَةُ مِنَ الْحَبَّةِ. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَأَبُو الشَّيْخِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ مِثْلَهُ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ إِخْرَاجُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْكَافِرِ وَالْكَافِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِ. أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَأَبُو الشَّيْخِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ، وَالْكَافِرُ مِنَ الْمُؤْمِنِ. وَالْمُؤْمِنُ عَبْدٌ حَيُّ الْفُؤَادِ، وَالْكَافِرُ عَبْدٌ مَيِّتُ الْفُؤَادِ.

وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ نَحْوَهُ. وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْهُ مَرْفُوعًا نَحْوَهُ. وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا عَنْهُ، أَوْ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا.

وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَابْنُ سَعْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: «أَنَّ خَالِدَةَ بِنْتَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوث دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟، قِيلَ: خَالِدَةُ بِنْتُ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ. وَكَانَتِ امْرَأَةً صَالِحَةً وَكَانَ أَبُوهَا كَافِرًا». وأخرج ابن سعد عن عائشة مثله.

قَوْلُهُ: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أَيْ: بِغَيْرِ تَضْيِيقٍ وَلَا تَقْتِيرٍ، كَمَا تَقُولُ: فُلَانٌ يُعْطِي بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالْبَاءُ: مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ وَقَعَ حَالًا. اهـ "فتح القدير" بتصرُّفٍ.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: يَا رَبُّ يَا رَحْمَنُ يَا عَظِيمُ أَسْأَلُكَ تَجَلِّيًا يُذْهِبُ عَنِّي حُجُبَ النَّفْسِ الظُّلْمَانِيَّةِ):

لفظ الربّ قد قيل: أنه اسم الله الأعظم. قال ابن حجر: ذهب بعضهم إلى أن ربّ هو الاسم الأعظم. وقد أخرجه الحاكم من حديث أبي الدرداء وابن عباس: بلفظ اسم الله الأكبر رب رب، ووجه بعضهم: بأنه الكفيل بتربية ذوات الوجود، والمدر عليها أنواع الجود، لم يخرج عن امتنان هذا هذا الاسم، بر ولا فاجر ولا مؤمن ولا كافر، بل أدرّ الأرزاق وأسدى الإحسان، وعامَلَ باللطف والامتنان. اهـ كذا في "شرح المناوي على الجامع الصغير".

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، إِلَّا نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ». فَذُكِرَ لِلْحَسَنِ فَقَالَ: أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾[آل عمران: ١٩٣-١٩٥]. كذا في "فتح القدير".

وفي "الترغيب والترهيب" للحافظ المنذري ما نصه: وَرُوِيَ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: يَارَبِّ، يَارَبِّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَبَّيْكَ عَبْدِي سَلْ تُعْطَهْ». رَوَاهُ ابْن أَبي الدُّنْيَا

مَرْفُوعا وموقوفًا عن أنس. رواه الْحَاكِم وَغيره عَن أبي الدَّرْدَاء وَابْن عَبَّاس أَنَّهُمَا قَالَا: «اسْمُ اللهِ الْأَكْبَر: رَبِّ رَبِّ» اهـ.

وفي "الجوهر الشفاف" ما لفظه: وَعَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ: مَنْ حَزَّ بِهِ أَمْرٌ فَقَالَ خَمْسَ مَرَّاتٍ: رَبَّنَا، أَنْجَاهُ اللَّهُ مِمَّا يَخَافُ وَأَعْطَاهُ مَا أَرَادَ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ. وعن الحسن: حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا خَمْسَ مَرَّاتٍ: رَبَّنَا، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ اسْتَجَابَ لَهُمْ. إلا أنه أتبع ذلك رافع الدعاء، يعني العمل الصالح إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر: ١٠] اهـ. قال: وما يستجاب به، فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء اهـ.

والرحمن من أسمائه تعالى، معناه: ذو الرحمة، وهو إمّا بمعنى المنعم المحسن، أو مريد الإنعام والأحسان، على الخلاف هل اسم صفة أو صفة فعل.

قال الحافظ السيوطي في "تدريب الراوي شرح تقريب النواوي" في مصطلح الحديث": أَسْنَدَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَالَ: الرَّحْمَنُ اسْمٌ مَمْنُوعٌ، أَيْ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَتَسَمَّى بِهِ اهـ.

وفي "تفسير الكرماني المُسمَّى بالغرائب والعجائب": اللَّه والرحمن: اسمان ممنوعان لا يجوز لأحد من الخلق أنْ ينتحلهما، وهذا إجماع. قال الكسائي: الرحمن كان معروفًا عند العرب. وأنشد بيتًا جاهليًا:

أَلَا ضَرَبَتْ تِلْكَ الْفَتَاةُ هَجِينَهَا   أَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ مِنْهَا يَمِينَهَا اهـ

ومن أراد اللَّه تعالى به خيرًا حقّقهُ بالرحمة والشفقة والعطف على جميع العباد، «إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»، «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا»،

«وَمِنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ» «لَا يَرْحَمْهُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ» «لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ» كذا في الأخبار.

والأصح أنه اسم عربي.

قال في "مطالب أهل القرب" للسيد الأهدل "شرحه على دعاء ابن أبي حربة" ما نصه: اسمه تعالى الرحمن عربي عند أكثر العلماء. وعن ثعلب أنها لفظة عبرانية وكان أصله رخمانا -بالخاء المعجمة- فأُبدِّلت بالمهملة. واحتج لذلك بوجوه غير مقبولة، لمخالفة الكتاب والسنة ومشهور اللغة اهـ.

وأفاد العلّامة الشيخ محمد طاهر سنبل: أن الرحمن وإن كان ليس من صيغ المبالغة، فهو أكثر معنى من الرحيم، الذي هو من صيغ المبالغة، فدلالته على المبالغة من باب أولى، والمراد بالمبالغة هنا بالمبالغة بالمعنى اللغوي، يقال: بالغَ في الأمر إذا لم يقصر عنه، فهذا الوصفان -يعني الرحمن والرحيم- شاملان لجميع النعم، لم يدعا منهما شيئًا اهـ.

والعظيم: من أسمائه تعالى. قال في "تحفة الذاكرين": أن معناه: الَّذِي لَا يتصوّره عقل وَلَا يُحِيط بِهِ فهم اهـ. وفي "المواقف" و"شرحها": العظيم: من انتفت عنه صفات النقص، فمرجعه صفة سلبية، أو من انتفت عنه تلك الصفات وحصل له جميع صفات الكمال، فيرجع إلى الصفات السلبية والثبوتية معًا اهـ.

ويا -في الأسماء الثلاثة- : حرف نداء موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكمًا، وقد يُنادى به القريب توكيدًا، أو هي مشتركة بينهما، أو بينهما وبين

المتوسط، وهي أكثر حروف النداء استعمالاً، ولهذا لا يقدّر عند الحذف سواها، وعلى الأول فقول العبد: يا رب ونحوه، إنما هو استبعادٌ لنفسه عن الحضرة المقدسة، إذ أن الحق أقرب من حبل الوريد، كما نطق بذلك في القرآن المجيد.

وقوله: أسألك: من السؤال بمعنى الطلب، أَيْ: أطلبُ منك تجلِّيًا. التَّجلِّي: الانكشاف والظهور. قال في "التعريفات": التَّجَلِّي: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، وإنما جمع الغيوب باعتبار تعدُّد موارد التَّجلِّي، فإن لكل اسم إلهي بحسب نعوته ووجوهه تجَلِيَّات متنوعة.

ثم قال: التَّجَلِّي الذَّاتِيّ: ما يكون مبدؤه الذات من غير اعتبار صفة من الصفات معها، وإن كان لا يحصل ذلك إلا بواسطة الأسماء والصفات، إذ لا ينجلي الحق من حيث ذاته على الموجودات إلا من وراء حجاب من الحجب الأسمائية. التَّجَلِّي الصِّفَاتيّ: ما يكون مبدؤه صفة من الصفات من حيث تعينها وامتيازها عن الذات.

وفي "عوارف العوارف" للسهروردي: قال بعضهم: علامة تجَلِّي الحق للأسرار هو أن لا يشهد السر ما يتسلط عليه التعبير ويحويه الفهم، فمن عبَّر أو فهمَ فهو صاحب استدلالٌ لا ناظر إجلال. وقال بعضهم: التَّجَلِّي: رفع حجبة البشريَّة، لا أن يتلَّون ذات الحق عزَّ وجلَّ. والاستتار: أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب اهـ.

قَوْلُهُ: (يُذْهِبُ): مضارع أذهب من الإذهاب بمعنى الإزالة: أن يزيل ويمحو عني (حُجُب) ككُتُب: جمع حجاب ككتاب، والحاجب: المانع، أَيْ: موانع (النفس الظلمانية) أَيْ: الموصوفة بالظلمة ضد النور.

ووَصَف النفس بذلك إشارة إلى أن المُراد النفس الأمَّارة، إذ هي الظالمة المُظلمة بسبب ظلمها، والنفس الأمَّارة بالسوء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[يوسف: ٥٣].

قال في "التعريفات الجرجانية": النفس الأمَّارة: هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية، وتأمر باللذات والشهوات الحسية، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشرور، ومنبع الأخلاق الذميمة.

ثم قال: النفس اللوَّامة: هي التي تنوَّرت بنور القلب قدر ما تنبَّهت به عن سنة الغفلة كلما صدرت عنها سيئة، بحكم جبلتها الظلمانية، أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها.

ثم قال: النفس المُطمئنة: هي التي تمَّ تنويرها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة، وتخلَّقت بالأخلاق الحميدة اهـ.

وهي الصفات الثلاثة هي التي جاء القرآن بوصف النفس بها. وقالت السادة الصوفية: أن هناك صفة رابعة للنفس: وهي أن تكون روحانية. وأن هذه القسمة الرباعية بذكر الصفات الأربعة أنها للنفس بمنزلة العناصر الأربعة، ولعلها هي المُرادة في تعبير بعضهم بالنفس القدسية.

قال في "التعريفات": النفس القدسية: هي التي لها مَلَكة استحضار جميع ما يمكن للنوع أو قريبًا من ذلك على وجه يقيني، وهذا نهاية الحدس اهـ.

وفي "شرح اللب" لمؤلفه: أن النفس الروحانية هي التي تميل إلى المُباح كالتنزُّه، وسماع الصوت الحسن، والمأكل الطيب. قال: والأربعة ترجع إلى نفس واحدة، ولكنها تتشكل تارة مطمئنة وتارة أمَّارة وتارة لوَّامة وتارة روحانية، والحكم فيها للغالب كالعناصر الأربعة التي في الإنسان السوداء والصفراء والدم والبلغم اهـ.

وعندي: أن النفس الروحانية هي التي تجرَّدت عن شهواتها، ودامت في طاعة باريها مُراداتها، تشبيهًا لها بالملائكة الروحانيين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦]، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء: ٢٠]، والله أعلم.

(يَا فَرْدُ يَا أَحَدُ يَا نُورُ تَجَلَّ لِي بِالتَّجَلِّيَاتِ الصَّمَدَانِيَّةِ):

الفرد والواحد: لفظان مترادفان معناهما واحد، أيْ: المنفرد الذي لا ثاني له، وقد ورد عدَّهُ في الأسماء الحُسنى. أخرجه الحاكم في "المستدرك"، وأخرجه أبو الشيخ وابن مردويه معًا في "التفسير"، وأخرجه أبو نعيم في "الأسماء الحُسنى"، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

وأما اسمه تعالى الأحد: فقد اتفق العلماء على عدّه في الأسماء الحُسنى التسعة والتسعين التي أخرجها الترمذي وابن حبان والحاكم في

"المستدرك"، والبيهقي في "الشعب" عن أبي هريرة. كذا في "الجامع الصغير".

وزاد في "الجامع الكبير": أن من جملة المُخرِّجين لذلك ابن مردويه، قال الحافظ الربيع في "تيسير الأصول": ولم يفصل الأسماء، يعني: ممن خرّج حديثهما أو رواه غير الترمذي اهـ.

وأحد: اختُلِف في همزته، هل هي أصلية أو مبدلة؟، قال الإمام أبو البقاء: أنها أصل بنفسها ليست مبدلة ولا مقلوبة. وقال غيره: أنها مبدلة من الواو، وأن أصلها وحد قلب الواو همزة فصار أحد.

واختُلِف أيضًا هل هو مع الواحد مترادفان أم بينهما فرق؟، فقيل: أن معناهما واحد وأنه لا فرق بينهما، وقيل: بل بينهما فرق.

قال العلّامة السيد عبد الرحمن بن سليمان مقبول الأهدل في "المنهج السوي": الأحد هو المُتعال عن التجزيء والانقسام، ولهذا كانت الوحدانية عبارة عن انتفاء الكثرة عن ذاته، ويعبِّرُون عن ذلك بنفي الكم المتصل، وعن انتفاء النظير له تعالى في ذاته أو صفة من صفاته، ويعبِّرُون عنه بنفي الكم المنفصل، وفي معناه انفراده تعالى بإيجاد جميع الممكنات ذوات كانت أو أفعالاً، وعدم إسناد التأثير استقلالاً لغيره في شيء من الممكنات، وعن انتفاء مُماثلته للحوادث اللازم منه انتفاء ضده بالأولى.

قال المُحقِّق اللقاني في "عمدة المريد": فأن قلتَ: نطق القرآن بالواحد والأحد فقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[البقرة: ١٦٣]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فهل بينهما فرقٌ من جهة المعنى؟. قلتُ: من الناس من لم يفرّق

بينهما معنًى وهو الحق، ومنهم من قال: الوحدة راجعةٌ إلى الذات، والأحدية راجعةٌ إلى الصفات، أَيْ: واحدٌ في ذاته واحدٌ في صفاته، ومنهم من عكس، ومنهم من قال: الوحدة راجعة إلى نفي المثل، والأحدية إلى نفي الجزء، ومنهم من عكس. كذا قاله شيخ الإسلام زكريا في "شرح الرسالة القشيرية" اهـ المنقول من اللقاني.

وفي "الفتوحات الربانية" لابن علان: الأحد لم يقع في رواية الترمذي في تعداد الأسماء الحُسنى، ولا في "الدعوات الكبير" للبيهقي، نعم وقع ذلك عند ابن ماجه، وعليه فقيل: هو كالواحد ولكن في الأحد زيادة تأكيد في وصف الوحدانية. وقيل: بينهما فرق فهو الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، والأحد في وحدانيته فلا يقبل المُماثلة.

ويشهد له الفروق اللفظية في الاستعمال من ذلك أن الواحد فاتحة العدد وتلحقه التاء بخلاف الأحد، ومن ذلك أن الأحد في الأثبات إنما يذكر في وصفه سبحانه على سبيل التخصيص، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ولا يُقال: زيدٌ أحدٌ، بل وحيد وواحد، وسر ذلك أن أحد بيّن لنفي ما يذكر معه من العدد ونفيه يعم، ونفي الواحد قد لا يعم، ومن ثَمَّ صحَّ: ليس في الدار واحدٌ بل اثنان، ولا يصح ذلك في أحد، قال تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾[الأحزاب: ٣٢]، إذ لو قيل: لستُنّ كواحد لأوهم.

والمعنوية من ذلك أن أحدًا أبلغ بناءً كأنه من الصفات المشتملة التي بُنيت لمعنى الثبات والوحدة، يُراد بها عدم التجزيء تارة وعدم التثني أخرى، فالواحد يكثر إطلاقه بالمعنى الأول، والأحد يغلب استعماله في

المعنى الثاني، ومن ثَمَّ كانت الآحاد جمع واحد كأشهاد وشاهد لا جمع أحد، لأنه لا جمع له، ثم هما يرجعان إلى صفات التنزيه. اهـ كلام ابن علان.

وأما النُّور: ففي "القاموس": النُّورُ، بالضم: الضَّوْءُ أيًّا كانَ، أو شُعاعُهُ، جمعه أنوارٌ ونِيرانٌ، ونَارَ نَوْرًا وأنارَ واسْتَنَارَ ونَوَّرَ وتَنَوَّرَ، ومُحمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي يُبَيِّنُ الأشياءَ اهـ.

وقال الراغب: النُّور هو الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، وهو ضربان: مدرك بعين البصيرة: وهو ما انتشر من النور الإلهي كنور العقل والقرآن والنَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ومدرك بعين البصر: وهو ما كان منتشرًا من الأجسام كالقمر والشمس ونحوهما اهـ.

والأوَّل من الضربين معنوي، والثاني حسي كما هو ظاهرٌ.

والنُّور من أسمائه تعالى التسعة والتسعين، التي سردها الترمذي وغيره. ومعناه: الظاهر بنفسه المُظهِر لغيره، إذ هو الذي كسى الوجود خلعة الإيجاد، إذ أفاض عليهم من نوره نتيجة ذلك الإمداد والإسعاد.

والصمدانية: نسبة إلى اسمه تعالى الصمد، وهو بمعنى المصمود أَيْ: المقصود في جميع المطالب، والمؤمل في الرغائب والنوائب. ويُقال: الصمد الذي لا جوف له. وقد رُوي ذلك مرفوعًا، وسيأتي إن شاء اللَّه.

والصمد: من أسمائه تعالى التسعة والتسعين التي في الرواية المسرودة عند الترمذي. قال في "تحفة الذاكرين": والصمد الَّذِي يصمد إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِج جَمِيع خلقه ويلتجئون إليه اهـ.

والتجليات الصمدانية: قد أورد فيها المُصنِّف في "شرحه" عن العارف الإمام ابن العربي ما لا مزيد عليه، مما يشفي الغليل، ويروي الصادي العليل.

(يَا مُعْطِي يَا بَاسِطُ يَا وَاسِعُ اجْعَلْ قَلْبِي بَيْتًا مَمْلُوءًا بِالأَنْوَارِ الرَّحْمَانِيَّةِ):

المعطي: اسم فاعل أعطي من الإعطاء نقيض المنع، وهو من أسمائه جلَّ وعلا. معناه: الذي يعطي من يشاء ما شاء، والعطية: الهبة لا في مقابلة عِوَض.

والباسط: من أسمائه عزَّ وجلَّ، من البسط خلاف القبض. معناه: الذي يوسع لمن يشاء، ويبسط الرزق لمن يشاء.

والواسع: من أسمائه تبارك وتعالى من الوسع نقيض الضيق. معناه: الذي وسع غناه جميع ما يحتاجه مخلوقاته.

وفي الإتيان بهذه الأسماء ما يدل على طلب العطف من المسؤول بنيل المراد، وفيه إلزام بالتفضُّل تفضُّلاً لا لزومًا.

وقوله: (اجعل قلبي) إلخ: القلب مشتق من التقلُّب وهو المصدر سُمّي بذلك لفرط تقلُّبه. قال الشاعر:

مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلاّ مِنْ تَقَلُّبِهِ ... فَاحْذَرْ عَلَى القَلْبِ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيلِ

وقال الآخر:

كَانَ لِي قَلْبٌ أَعِيشُ بِهِ ... ضَاعَ مِنِّي فِي تَقلُّبِهِ

رَبِّ فَارْدُدْهُ عَلَيَّ فَقَدْ ... عِيلَ صَبْرِي فِي تَطَلُّبِهِ

وَأَغِثْ مَا دامَ بِي رَمَقٌ ... يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ بِهِ

وقال الآخر:

وَمَا سُمِّي الإنْسانُ إلاّ لِنَسْيِهِ   وَمَا القَلْبُ إلَّا أنَّه يَتَقَلَّبُ

أَوْ لِأَنَّهُ خَالِصُ مَا فِي الْبَدَنِ وَخَالِصُ كُلِّ شَيْءٍ قَلْبُهُ، أَوْ لِأَنَّهُ وُضِعَ فِي الْجَسَدِ مَقْلُوبًا.

وقد يطلق القلب على العقل مبالغة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[ق: ٣٧]، أَيْ: عقل فلقيامه به وعدم انفكاكه عند حتى كان هو وهي في اللغة صرف الشيء إلى عكسه، ومصدر قلبتُ الشيء ردَّدتهُ على بدنه، والإناء قلبته على وجهه، وقلبت الرجل عن رأيه صرفته عنه. ثم سُمِّي به المضغة اللحمة الصنوبرية الموضوعة تحت الثدي الأيسر كما قال الحُكماء.

وفي الحديث: عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ لِتَقَلُّبِهِ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ مِثْلُ رِيشَةٍ بِفَلَاةٍ، تَعَلَّقَتْ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ»، روراه الطبراني في "الكبير"، وذكره الحافظ السيوطي في "الجامع الصغير"، قال العلَّام المناوي: إسناده حسن.

وفي حديث: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ» الذي في آخره: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»، أخرجه الستة.

ثم القلب هو محل نظر الرب. ورُوِي عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «قَلْبُ الْمُؤْمِنِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ».

ولمّا كان القلب محل نظر الرب سأل المُصنِّف أن يكون قلبه مملوءًا بالأنوار الرحمانية. وفي الحديث ما يدل لذلك وهو قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»، أخرجه مسلم وابن ماجه.

قال الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى: قدق أبانَ هذا الحديثُ بأنَّ القلبَ موضعُ نظر الرَّبِّ، فيا عجبًا لمن يهتمُّ بوجهه الذي هو محلُّ نظر الخلق، فيغسِله وينظِّفه من القذر والدنس، ويزيّنه بما أمكنه لئلّا يطَّلع فيه المخلوق على عيب، ولا يهتمُّ بقلبه الذي هو محلُّ نظر الخالق، فيطهِّره ويزيّنه لئلّا يطَّلع ربه على دنس أو شين فيه اهـ.

وقال أيضًا في "الإحياء": الْقَلْبُ مِثْلُ قُبَّةٍ لَهَا أَبْوَابٌ تَنْصَبُّ إِلَيْهَا الْأَحْوَالُ مِنْ كُلِّ بَابٍ، أَوْ مِثْلُ هَدَفٍ تُرْمَى إِلَيْهِ السِّهَامُ، أَوْ مِثْلُ مِرْآةٍ مَنْصُوبَةٍ يَجْتَازُ عَلَيْهَا الْأَشْخَاصُ، فَتَتَرَاءَى فِيهَا صُورَةٌ بَعْدَ صُورَةٍ، أَوْ مِثْلُ حَوْضٍ تَنْصَبُّ إِلَيْهِ مِيَاهٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنْ أَنْهَارٍ مَفْتُوحَةٍ اهـ.

وفيه: قَالَ جَلَّ وَعَزَّ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيّ: «مَا وَسِعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي، وَلَكِنْ وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ».

وقال الصفي ابن حجر في "الفتح المبين": أن القلب محل الاعتقادات والعلوم والأفعال الاختيارية. قال: فلكونه محلًّا لهذه الخصوصية الإلهية التي تدرك بها الكليات والجزئيات، وفرقوا بها بين الواجب والجائز والمستحيل، وامتاز به الإنسان عن بقية أنواع الحيوان، لأنه وإن وجد لها شكله، وقام به ما تدرك به مصالحها ومنافعها، وتميّز به بين هذه ومفاسدها

ومضارها إلا أن هذا إدراكٌ جزئي طبيعي، وشتّان ما بينه وبين الإدراك الكلي العلمي الاختياري.

قال: ولهذا المعنى امتاز أيضًا عن بقية الأعضاء بكونه أشرفها، ومن ثَمَّ كانت مسخَّرةً ومطيعةً له، فما استقر فيه ظهر عليها وعملت بمقتضاه، إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًا. فشرٌّ، فكان صلاحها بصلاحه وفسادها بفساده.

قال: وبهذا ظهر أن الحواس معه كالحُجَّاب مع الملِك؛ لأنها تدرك المعلومات أولًا، ثم تؤديها إليه ليحكم عليها ويتصرَّف فيها، فهي آلاتٌ وخدَّامٌ له، وهي معه كملكٍ مع رعيته، إن صلح صلحوا وإن فسد فسدوا، ثم يعود صلاحهم وفسادهم إليه بزيادة المصالح أو المضار الراجعة منها إليه، ومن ثَمَّ لم يكن بين تبعيتها له وتأثُّره بأعمالها تنافٍ، لما بينهما من تمام الملازمة وشدة الارتباط اهـ.

قال الملوي "شرح سلم المنطق" للأخضري ما نصه: قال حجة الإسلام الغزالي: القلب لطيفة ربانية هي المخاطبة وهي التي تثاب وتعاقب، ولها تعلُّق بالقلب الجسماني الصنوبري الشكل تعلُّق العرض بالجوهر، ويُسمَّى روحًا ونفسًا اهـ.

وفي "بستان العارفين" للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي محمد الجوزي: أوحى اللَّه تعالى إلى موسى عليه السلام: أني خلقتُ بيتًا في جوف ابن آدم وسميته القلب، أرضه المعرفة وسماؤه الإيمان وشمسه الشوق وقمره المحبة، ونجومه القطرات، وترابه الهمة وجبله اليقين ورعده الخوف وبرقه الرجاء وسحابه التفضُّل ومطره الرحمة وشجره الطاعة

وورقه الوفاء وثمره العلم. له أربعة أركان: ركن من الأنس، وركن من التوكل، وركن من اليقين، وركن من الصدق. وله أربعة أبواب: باب من التفكُّر، وباب من الحلم، وباب من الرحمة، وباب من الخوف، وعليه قفلان: قفل من الشكر، وقفل من الشكر، لا يطلع على ذلك البيت إلا اللَّه تعالى رب العرش العظيم اهـ.

ثم اعلم أنك إذا تبيَّنَ لك أن القلب محل اطِّلاع الرب جلَّ وعلا، فينبغي لك تطهيره من جميع الأقذار، وتخليته من وساوس الأغيار، وتحليته بطاعة العزيز الغفَّار، لتنال بذلك القرب من اللَّه، وتحوز الفوز برضاه.

ففي "بستان العارفين" أيضًا: أوحى اللَّه تعالى إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا داود إني حرَّمتُ على القلوب أن يدخلها حبي وحبّ غيري اهـ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَقَمُ الْجَسَدِ بِالأَوْجَاعِ، وَسَقَمُ الْقُلُوبِ بِالذُّنُوبِ، فَكَمَا لَا يَجِدُ الْجَسَدُ لَذَّةَ الطَّعَامِ عِنْدَ سَقَمِهِ فَكَذَلِكَ الْقَلْبُ لَا يَجِدُ حَلاوَةَ الْعِبَادَةِ مَعَ الذُّنُوبِ اهـ.

ويدل لذلك ويشهد له ما رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين: ١٤]» اهـ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ شَاهِينَ فِي "التَّرْغِيبِ فِي الذِّكْرِ"، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ"، عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا: «لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ

اللَّهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي».

قوله: (مملوءًا): الملء: مقدار ما يملأ وسع الإناء، أَيْ: المظروف. والمملوء ضد الفارغ أَيْ: المشغول بمقدار ما يملأ. كذا أفاده السيد الحموي في "حاشية الأشباه" معنًى.

والأنوار: جمع نور. والنور قال السعد التفتازاني: أجود تعريفًا: كيفيةٌ تدركها الباصرة أولاً وبواسطتها سائر المبصرات.

(يَا حَفِيظُ يَا كَرِيمُ يَا وَهَّابُ هَبْ لِي مِنْ نَفْسِي فُرْقَانًا اهْتَدِي بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ الكَوْنِيَّةِ):

الحفيظ: من أسمائه التسعة والتسعين، فعيل بمعنى فاعل. معناه: الحافظ لجميع المخلوقات من جميع المضار والمحن وكافة المصائب والفتن، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[هود: ٥٧].

قال في "تحفة الذاكرين": الحفيظ: الحَافِظ لجَمِيع خلقه عَن المهالك اهـ. وفي "سلاح المؤمن": الحفيظ: هُوَ الْحَافِظ لجَمِيع الموجودات فِي ذواتها وصفاتها واختلافها وائتلافها اهـ.

والكريم: أيضًا من أسمائه تعالى. وقد ورد في بعض الروايات عدَّه في التسعة والتسعين. واختُلِف في معناه، ففي "البينات" للإمام النووي رحمه اللَّه تعالى: إن الكريم في صفات اللَّه تعالى معناه المفضل. وقيل: غير ذلك اهـ. وفي "نهاية ابن الأثير": الكريم هو الجامع لأنواع الخير والشرف

والفضائل اهـ. وقال بعضهم: الكريم بفتح الكاف أفصح من كسرها. قيل: معناه المنعم بكل محبوب.

وقال بعضهم: الكريم هو الذي إذا قدر عفى، وإذا وعد وفى، وَإِذا أعْطى زَاد على مُنْتَهى الرَّجَاء، وَلَا يُبَالِي كم أعْطى وَلمن أعْطى، وَإِذا رفعت حَاجَة لغَيره لَا يرضى، وَإِذا جفي عَاتب وَمَا استقصى، وَلَا يضيع من لَاذَ بِهِ والتجأ، ويغنيه عَن الوَسَائِل والشفعاء.

وفي "علم الهدى" للبوني: الكريم إذا قدر عفى، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى أغنى، ولم يتوقف بعطيته على قريب أو بعيد، وليس يجتمع ذلك إلا لله تعالى، فهو الكريم المطلق، وذلك أنه بسط رداء الكرم على الأكوان، وأظهره في الأفعال.

ولما كان الكرم صفة لذوي الطهارة لزم أن كل من تطهَّر من مجالسة الأدناس كان كريمًا، ولذلك وصف الحق تعالى الحفظة بالكرام فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[الانفطار: ١٠-١١].

ثم قال: التقرُّب إلى الله تعالى بهذا الاسمس اتِّخاذ الكرم طبعًا، وحسن المعاملة بالأخلاق، والقبول لعباد الله تعالى بالرحمة والكرم اهـ.

وفي "التعريفات الجرجانية": الكريم: من يوصل النفع بلا عِوَض، فالكرم هو إفادة ما ينبغي بلا غرض، فمن يهب المال لغرض جلبًا للنفع أو خلاصًا عن الذم فليس بكريم. ولهذا قال أصحابنا: يستحيل أن يفعل الله تعالى فعلاً لعِوَض، وإلا استفاد به أولوية، فيكون ناقصًا في ذاته مستكملًا بغيره، وهو محال اهـ.

فالكريم المطلق الذي كرمه ليس في مقابلة عوض هو الله تعالى.

والوهَّاب: أيضًا من أسمائه تعالى التسعة والتسعين، فعَّال أيْ: كثير الهبات والعطايا والخيرات، مانح جميع المخلوقات من هباته ما لا يدخل تحت الحصر والعد، ولا يحيط به من الموجودات أحد، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[النحل: ١٨].

قال في "تحفة الذاكرين": الوهَّاب كثير الإنعام. وفي "سلاح المؤمن": الْوَهَّاب هُوَ الَّذِي يجود بالعطاء ويمنح النعم وَالْهِبَة والتَّمْلِيك بِغَيْر عوض، فكل من وهب شَيْئًا لصَاحبه فَهُوَ واهب، وَلَا يسْتَحق أَن يُسمَّى وهابًا إِلَّا مَنْ تصرَّفت مواهبه فِي أَنْوَاع العطايا ودامت نوافله، والمخلوقون إِنَّمَا يهبون مَالًا أَو نوالًا فِي حَال دون حَال، وَلَا يملكُونَ أَن يهبوا شِفَاء لسقيم وَلَا هدى لضال وَلَا عَافِيَة لذِي بلَاء، وَاللَّه سُبْحَانَهُ يملك جَمِيع ذَلِك اهـ.

وقال الغزالي: الوَّهاب: الهبة العظيمة الخالية عن الأعواض والأغراض، وإذا كَثُرَتْ العطايا على الصفة يسمّى صاحبها جوادًا وَهَّابًا، ولم يتصوَّر الجود والهبة حقيقة إلا من اللَّه عزَّ وجلَّ، فإنه الذي يعطي كل مُحتَاج ما يحتاج إليه، لَا لعوض وَلَا لغَرَض عَاجل وَلَا آجل.

وفي الخبر: عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «ما سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ دُعَاءً إِلَّا اسْتَفْتَحَهُ: بِسُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ، الْأَعْلَى الْوَهَّابِ». رواه الحاكم في "المُستدرك" وقال: صحيح الإسناد اهـ. ذكره في "سلاح المؤمن" أيضًا.

وفي ذكر الوهَّاب إلزامٌ لإجابة الدعاء تفضُّلاً وتكرُّمًا لا لزومًا ووجوبًا.

وقوله: (هب لي من نفسي) إلخ: أَيْ: اجعل لي من نفسي، (فُرقانًا) أَيْ: فارقًا نورانيًّا أُفرّق به أَيْ: بسببه بين الحق والباطل، حتى أرى الحق حقًّا فاتبعه، وأرى الباطل باطلاً فاجتنبه. واجعل لي من نفسي واعظًا أتعظ به، فـ(اهتدي به) أيْ: بسببه أيْ: تحصل لي بسبب ذلك الهداية إلى سبيل العناية.

(في الظلمات الكونية) أيْ: حتى لا يتلبس عليَّ الباطل بالحق، لأن الكون في حيث ذاته ظُلمة، وإنما أناره وجود الحق فيه، كما أفاده غير واحد من السادة الصافية الصوفية.

والظُّلُمات: جمع ظُلمة وهي ضد النور. والكون: هو السماوات والأرض والموجودات كلها مطلقًا، والكون بمعنى المُكوَّن أيْ: المُحدَث أيْ: الذي كوَّنه اللَّه تعالى أيْ: أحدثه.

وإنما سأل المُصنِّف من اللَّه تعالى أن يجعل له من نفسه فُرقانًا يهتدي بسببه في الظلمات الكونية، لأن اللَّه إذا أراد بعبده خيرًا جعل له من نفسه واعظًا يدلّه له عليه، يذكّره إذا نسي أو غفل، ويوقظه إذا ذهل، ويرشده إلى الحق القويم والصراط المستقيم. فقد رُوِي: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا مِنْ قَلْبِهِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ» اهـ.

(وَارْزُقْنِي الاطْمِئْنَانَ ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨]، يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، وَهُوَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ):

الرزق لغةً: العطاءُ، ويطلق على الحظ المُعطى نحو ذِبْحٍ ورعي للمذبوح، والمَرْعِي. وقيل: هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وعليه جمع.

وفي العُرف: ما ينتفِعُ به الحيوان مطلقًا حلالاً كان أو حرامًا. وقالت المعتزلة: الرزقُ لا يتناول الحرام. وقد ردَّ كل من الفريقين على الآخر واستدل لكل بما يطول ذكره، ومحله كتب أصول الدين.

قال العلامة أبو السعود: والإنفاق والإنفاد أخوان، خلا أن في الثاني معنى الإذهاب التام دون الأول اهـ.

والاطمئنان: السُّكون كالطُّمأنينةُ، والمطمئِنُّ من الأرض: ما انْخَفَض. فكان في الاطمئنان معنى التواضع وخفض الجناح الذي أمر اللَّه به المؤمنين.

وقوله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ هو اقتباسٌ من قوله تعالى في سورةر الرعد: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، وهو جائزٌ على الأصح ما لم يكن في مجون أو فيما حرم أو يكره.

ومعنى ﴿تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أيْ: تسكن وتستقر، وتستأنس بذكر اللَّه سبحانه، بألسنتهم كتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتكبير والتوحيد، أو بسماع ذلك من الغير. وقد سمَّى اللَّه سبحانه وتعالى القرآن ذكرًا قال: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾[الأنبياء: ٥٠]، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾[الحجر: ٩].

وقال الزجاج: أَيْ: إذا ذُكِرَ اللَّه وحده آمنوا به غير شاكين، بخلاف من وصف بقوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾[الزمر: ٤٥].

أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَأَبُو الشَّيْخِ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾[الرعد: ٢٨]، قَالَ: هَشَّتْ إِلَيْهِ وَاسْتَأْنَسَتْ بِهِ. وَأَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ عَنِ السُّدِّيِّ فِي الْآيَةِ قَالَ: إِذَا حَلَفَ لَهُمْ بِاللَّهِ صَدَّقُوا ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، قَالَ: تَسْكُنُ.

وهذا يدل على قول من جملة ما قيل في تفسير الآية، فإن قيل: تطمئن القلوب أَيْ: بِالْحَلِفِ بِاللَّهِ، فَإِذَا حَلَفَ خَصْمُهُ بِاللَّهِ سَكَنَ قَلْبُهُ. وَقِيلَ: تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالذِّكْرِ هُنَا الطَّاعَةُ، وَقِيلَ: بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى. وَقِيلَ: بِذِكْرِ رَحْمَتِهِ.

وَقِيلَ: بِذِكْرِ دَلَائِلِهِ الدَّالَّةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، وَالنَّظَرُ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَبَدَائِعِ صُنْعِهِ، وَإِنْ كَانَ يُفِيدُ طُمَأْنِينَةً فِي الْجُمْلَةِ، لَكِنْ لَيْسَتْ كَهَذِهِ الطُّمَأْنِينَةِ، وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي الْمُعْجِزَاتِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يُطِيقُهَا الْبَشَرُ، فَلَيْسَ إِفَادَتُهَا لِلطُّمَأْنِينَةِ كَإِفَادَةِ ذِكْرِ اللَّهِ، فَهَذَا وَجْهُ مَا يُفِيدُهُ هَذَا التَّرْكِيبُ مِنَ الْقَصْرِ. أفاده العلامة الشوكاني في "فتح القدير".

وفيه أيضًا: وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَأَبُو الشَّيْخِ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي الْآيَةِ قَالَ: بِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ. وَأَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ

نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾: هَلْ تَدْرُونَ مَا مَعْنَى ذَلِكَ؟، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَحَبَّ أَصْحَابِي».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، قَالَ: ذَاكَ مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَأَحَبَّ أَهْلَ بَيْتِي صَادِقًا غَيْرَ كَاذِبٍ، وَأَحَبَّ الْمُؤْمِنِينَ شَاهِدًا وَغَائِبًا، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ يَتَحَابُّونَ» اهـ.

والسِّنَة والنوم قد تقدَّم الكلام عليهما. والسِّنة هو النعاس الذي يتقدَّم أمام النوم غالبًا. والنوم: هو الفترة الطبيعة التي تقف معها الحواس عن الحركة المعتادة حالة وجودها.

وقوله: (علَّام الغيوب): هو أيضًا اقتباسٌ من قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة: ١٠٩]، وقد علمت ما فيه. وعلَّام: فعَّال صيغة مبالغة، المراد بها في حقه تعالى تأكيد اطّلاعه على كل خفيات الأمور كليها وجزئها، وإحاطته بها مما لم يتمكن منه أحد من خلقه.

والغيوب: جمع غيب، كل ما غاب عنا، وإنما جُمع باعتبار تعدُّد أنواعه، إذ الأمور الغيبية أضراب شتَّى وأصناف مختلفة، على أن الإدراك على سبيل الإحاطة من جميع الجوانب لا يصل إليه فهم المخلوقين، فليس ذلك إلا لله تعالى.

وإذا كان لا يجوز إطلاق عالم الغيب على غيره تعالى كما قيل، فلأن لا يجوز إطلاق لفظ علّام الغيوب بصيغة المبالغة بطريق الأولى، والله أعلم.

(وَعَرِّفْنِي بِالعُلُومِ الكَمَالِيَّةِ حَتَّى أَكُونَ وَارِثًا لِلحَضْرَةِ الأَحْمَدِيَّةِ):

قوله: (وعرّفني) أَيْ: ارزقني معرفة العلوم الكمالية. والعلوم: جمع علم. والكمالية نسبة على الكمال، بمعنى التمام والنهاية، والعلوم الكمالية المُراد بها علوم الكتاب والسُّنَّة اللذين مَنْ تمسك بهما وعرفهما، كانا سببًا لنجاته، إذ لا عبرة بغيرهما ما لم يكن مقتبسًا من شكلة نورهما، وهما لا شك الصراط المستقيم، والذي أمر تعالى خلقه باتّباعه بقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام: ١٥٣]. وقد ورد في الحديث الصحيح تفسير الصراط بالأحكام.

وقوله: (حتى أكون) إلخ أَيْ: أصير، لأن كان هنا بمعنى صار.

والوارث في الأصل: من يملك مخلف الميت، ويقال: الباقي بعد الميت، يحوز ماله إن انفرد، وكان ممن يرث الكل، وإلا فبقدر ما فرضه الله تعالى. وفي أسمائه جلَّ وعلا والباقي بعد فناء الخلق، كما أفاده الشريف الجرجاني في "شرح المواقف". وفي "نهاية ابن الأثير": يرث الخلق ويبقى بعد فنائهم اهـ. وفي "تحفة الذاكرين": الوراث: الباقي بعد فناء العباد اهـ.

والحضرة تطلق لمعانٍ منها: حضرة الشيء كناية عن نفسه. وقال الشلبي في "حاشية المطول": حَضْرَةُ الرَّجُلِ قُرْبهُ وفِناؤه، وهي كناية عن نفس الرجل.

والأحمدية: نسبة إلى أحمد وهو النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإرثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هو العلم، كما ورد ذلك عنه.

ففي الصحيح كما في "البخاري" من طريق أنس: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، يُحِبُّهُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ إِذَا مَاتُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». وروى ابن عساكر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَكْرِمُوا الْعُلَمَاء فَإِنَّهُم وَرَثَة الْأَنْبِيَاء». ورواهُ ابن الخطيب في "التاريخ" وزاد عليه: «فَمن أكْرمهم فقد أكْرم اللَّه وَرَسُوله». وأخرج الديلمي من حديث أم هانيء عنه صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعِلْمُ مِيرَاثِي وَمِيرَاثُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي».

ولقد أحسن وأجاد العلَّامة الشهير والقطب الكبير والسراج المنير جمال الدين محمد بن إبراهيم الوزير حيث قال شعرًا:

الْعِلْمُ مِيرَاثُ النَّبِيِّ كَذَا أَتَى ... فِي النَّصِّ وَالْعُلَمَاءُ هُمْ وُرَّاثُهُ
مَا خَلَّفَ الْمُخْتَارُ غَيْرَ حَدِيثِهِ ... فِينَا فَذَاكَ مَتَاعُهُ وَأَثَاثُهُ
فَلَنَا الحَدِيثُ وِرَاثَةً نَبَوِيَّة ... وَلِكُلِّ مُحدِثٍ بِدْعَة إِحْدَاثُهُ

وورد: «الْعُلَمَاء هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ». قال الصفي ابن حجر الهيتمي في "المنح المكية" بعد إيراده: صحَّحه جماعة اهـ.

(سُبْحَانَكَ أَنْتَ الَّذِي تَعَزَّزْتَ بِالوَحْدَانِيَّةِ):

سُبحان: اسمٌ بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه، فهو اسم واقع موقع المصدر، ولا يكاد يستعمل إلا مضافًا، وقد يستعمل علمًا فينقطع عن الإضافة.

ويُمنع من الصرف كعُثمان للرجل، وانتصابه بفعل مضمر متروك الإظهار، تقديره: أسبح اللَّه سبحان، ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسدّه، ودلّ على التنزيه البليغ، لأن حذف العامل وإقامته مقامه للدلالة على أن المقصود بالذات هو المصدر، والفعل تابع، فيفيد الإخبار بسرعة وجود التنزيه. والتسبيح بما استأثر اللَّه سبحانه وتعالى به.

ولمَّا كَانَ الْمُسَمّى معنًى لَا عينًا وجنسًا لَا شخصًا، لم تكن إِضَافَته من قبيل مَا فِي زيد المعارك أَو حَاتِم طَيء.

وقال العلَّامة أبو السعود: وفيه ما لا يَخفْى من الدلالة على التنزيه البليغِ من حيث الاشتقاقُ من السبْح الذي هو الذهابُ والإبعادُ في الأرض، ومنه: فرسٌ سَبُوحٌ أَيْ: واسعُ الجري، ومن جهة النَّقلِ إلى التَّفعيلِ، ومن جهة العدولِ من المصدر إلى الاسمِ الموضوعِ له خاصة، لا سيما وهو علمٌ يشير إلى الحقيقةِ الحاضرةِ في الذهن، ومن جهة قيامِه مَقام المصدرِ مع الفعلِ.

وقيل: هو مصدرٌ كغُفرانٍ بمعنى التنزُّه، ففيه مبالغةٌ من حيث إضافةُ التنزُّه إلى ذاته المقدّسةِ، ومناسبةٌ تامة بين المحذوف وبين ما عُطِف عليه في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾[الأنعام: ١٠٠]، كأنه قيل: تنزَّه بذاته وتعالى.

وروى الحاكم: «أَنَّ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَفْسِيرِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، قَالَ: تَنْزِيهُ اللَّهِ عَنْ كُلِّ سُوءٍ».

وروى ابنُ أبي حاتم عَنْ عَلِيّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ: كَلِمَةٌ أَحَبَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ، وَرَضِيَهَا، وَأَحَبَّ أَنْ تُقَالَ لَهُ» اهـ.

وقوله: (تعزَّزت) أَيْ: قهرت وغلبت.

(بالوحدانية) نسبة للوحدة بزيادة الألف والنون لزيادة المبالغة، كما زيدتا في لِحْيانِيّ ورَقَبانِيّ، وكما زيدت ياء النسب في المنسوب، وكما زيدت التاء للتأنيث اللفظي. قال المُحقّق ابن عرفة المالكي: والحقُّ أنها -يعني الوحدة- : انفرادُ الشيء بمعنى عن غيره اهـ. كذا أفاده الفاضل المُحقّق الشيخ محمد المأمون بن محمد الحفصي في "شرح السنوسية".

وفي "شرحها" أيضًا للمصري ما نصه: أن الوحدانية في حقه تعالى تشتمل على ثلاثة أوجه: أحدها: نفي الكثرة في ذاته تعالى ويسمى الكم المتصل. الثاني: نفي النظير له تعالى في ذاته أو في صفة من صفاته ويسمى الكم المنفصل. الثالث: انفراده تعالى بالإيجاد والتدبير العام بلا واسطة ولا معالجة، في إثر ما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾[الأنعام: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[البقرة: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات: ٩٦] اهـ.

وَأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعًا: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَالَ اللَّهُ: أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يُنَزِّهُونَ أَسْمَاعَهُمْ، وَأَبْصَارَهُمْ عَنْ مَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ، مَيِّزُوهُمْ،

فَيُمَيَّزُونَ فِي كَثِيبِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: أَسْمِعُوهُمْ مِنْ تَسْبِيحِي وَتَحْمِيدِي وَتَهْلِيلِي، قَالَ: فَيُسَبِّحُونَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ يَسْمَعِ السَّامِعُونَ بِمِثْلِهَا قَطُّ» اهـ.

(لَكَ الحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِصِفَاتِكَ العَلِيَّةِ):

قوله (لك الحمد): تقديم المعمول وهو الصفة أَيْ: الخبر هنا على العامل وهو الموصوف أيْ: المبتدأ، لإفادة الاختصاص والقصر، أَيْ: الحمد بجميع أنواعه مختصّ بك.

(كما ينبغي) إلخ: أَيْ: كما يليق ويُطْلَب، وينبغي بمعنى الانبغاء بمعنى الطلب، وهو كلمةٌ تأتي للوجوب تارة وللاستحباب أخرى.

قال العلَّامة المُحقّق الفاضل البرهان ابن مطير في "الإتحاف" شرحه على "منهاج الإمام النووي" الذي يخص فيه تحفة العلّامة ابن حجر، مع بعض زيادات لطيفة، ونكت سامية ظريفة: قوله: وينبغي أَيْ يُطْلَب: ولذا كان الأغلب فيها استعمالها في المندوب تارة والوجوب أخرى، وقد تستعمل للجواز والترجيح، ولا ينبغي: قد تكون للتحريم أو الكراهة اهـ.

ونحو ذلك في "شرح المُحقّق السعيدي على السُّلم للفاضل الأخضري في المنطق".

قوله (لصفاتك) إلخ: الصفات: جمع صفة وهي معنى قائم بالغير، ويقال غرضٌ زائد على الذات، ومعنى زيادة الصفة على الذات: أنه لا يتعقّل ذات بدون صفة.

قال العلَّامة الربَّاني السيد الشريف الجرجاني في "شرح المواقف":
قال الآمدي: ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري وعامة الأصحاب إلى أن من الصفات ما هو عين الموصوف كالوجود، ومنها ما هو غيره وهي كل صفة أمكن مفارقتها عن الموصوف، كصفات الأفعال كونه تعالى خالقًا ورازقًا ونحوهما.

ومنها ما لا يقال أنه عين ولا غير وهو ما يمنع انفكاكه منه بوجهٍ، كالعلم والقدرة والإرادة، وغير ذلك من الصفات النفسية لله تعالى، بناءً على أن معنى التغايرين موجودان يجوز الانفكاك بينهما بوجه، فعلى هذا فتلك الصفات النفسانية لما امتنع انفكاك بعضها عن بعض لم يقل أن بعضها عين الصفة الأخرى أو غيرها اهـ. أفاده الفاضل المُحقّق الكردي في "قصد السبيل".

فائدة: قول العلَّامة الفخر الرازي رحمه اللّله تعالى في صفات اللَّه تعالى أنها مفتقرة إلى الذات، نظرًا منه إلى استحالة قيامها بأنفسها، لا يخفى ما فيه من إساءة الأدب، لما فيه من الإيهام والغفلة عما يُفهمه الفقر من الافتقار، فينبغي الاحتراز عن التعبير بمثل ذلك رعايةً لكمال الأدب.

وقوله (العلية): صفة للصفات من العلو وهو الارتفاع، والمُراد هنا الرفعة المعنويَّة إذ هي صفات للعلِيّ عزَّ وجلَّ.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الاسْتِقَامَةَ عَلَى قَدَمِ صَاحِبِ الْمُعْجِزَاتِ وَالْكَرَامَةِ جَزَى اللَّهُ عَنَّا نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هُوَ أَهْلُهُ ثَلَاثًا):

في "مطالع المسرات" ما نصه: اللَّهُمَّ: قال الشيخ الخروبي: هو توجُّهٌ للمطلوب، وطلب لحصول المرغوب بالتوسُّل بالاسم الأعظم، الذي إذا دُعِي به أجاب، وإذا سئل به أعطى. ولفَظ به بصيغة حذف فيها ياء النداء المتضمنة لوجود البينونية النفسانية، إذ حذفها يقتضي زوال ذلك.

قال: وتعويض الميم من حرف النداء في لفظ الجلالة يقتضي قوة الهمة في الطلب والجزم به، وإنما جعل هذا الاسم العظيم في أوائل الأدعية غالبًا، لأنه جامع لجميع معاني الأسماء الكريمة وهو أصلها. اهـ الغرض منه.

والرزق تقدَّم الكلام عليه.

والاستقامة لغة: ضد الاعوجاج فهي بمعنى الاعتدال والاستواء والصراط المستقيم.

وفي "التعريفات الجرجانية" ما لفظه: الاستقامة: هي كون الخط بحيث تنطبق أجزاؤه المفروضة بعضها على بعض. وفي اصطلاح الحقيقة: هي الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسُّط في كل الأمور، من الطعام والشراب واللباس، وفي كل أمر ديني ودنيوي، فذلك هو الصراط المستقيم في الآخرة، ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((شيبتني سورة هود)) إذ أنزلت فيها: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[هود: ١١٢] اهـ.

وقال بعض الكُمّل: حقيقة الاستقامة لا يطيقها إلا الأنبياء وأكابر الأولياء، لأنها الخروج عن المألوفات والمعهودات، ومفارقة الرسوم والعادات، والقيام بين يدي الحق على حقيقة الصدق، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا»، أَيْ: ولن تطيقوا الاستقامة التي أمرت بها. اهـ من "قلائد المرجان" للمقدسي.

قلتُ: ويزيده تأكيدًا وتسديدًا ما ذكره المُحقّق الفاضل الكردي في "مسلسلاته" في المسلسل بالزهاد، وفي أكثره عن عمر رضي اللَّه تعالى عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ صَلَّيْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْحَنَايَا، وَصُمْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْأَوْتَارِ، وَكَانَ الِاثْنَانِ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ الْوَاحِدِ، لَمْ تَبْلُغُوا الاسْتِقَامَةَ» اهـ.

وقال البيضاوي: الاستقامة اتّباع الحق والقيام بالعدل، ولزوم المنهج المستقيم، وذلك خطب جسيم، لا يحصل إلا لمن أشرق قلبه بالأنوا القدسية، وتخلّص من التكدُّرات البشرية والظلمات الأنسية الطبيعية، وأيّده اللَّه تعالى من عنده، وقليلٌ ما هم اهـ.

وقال ابن فورك: هي سؤال اللَّه أن يثبتهم على الدين. وقال بعض العارفين: هي توبة بلا إصرار، وعمل بلا فتور، وإخلاص بلا التفات، ويقين بلا تردد، وتفويض بلا تدبير، وتوكُّل بلا وهم، وهذا مقامٌ عزيز لا يحكمه إلا من تصفَّى كالإبريز.

وقيل: هي المتابعة للسنة المحمدية مع التخلُّق بالأخلاق المرضية.

وقيل: هي الاتباع مع ترك الابتداع. وهذا القول مرادف أو مقارب للقول

الأول. ولعل هو تعريفها عند كل مصنّف، ويدل على أن ذلك هو مقصود المُصنّف، وربما يرشد إليه قوله: على قدم صاحب المعجزات والكرامة.

وقال بعضهم: الاستقامة أصعب المقامات مطلقًا، وهي كمقام الشكر إذ هو صرف العبد جميع ما أنعم اللَّه تعالى به عليه، إلى ما خُلق لأجله من عبادة ربه، بما يطيق من جوارحه على الوجه الأقوم.

ومن ثَمَّ قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾: «مَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ القُرْآن آيَةٌ كَانَتْ هِيَ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ. وَلِذَلِك قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ قَالُوا لَهُ: لَقَدْ أَسْرَعَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا مِنَ المُفَصَّلِ».

وَأَخْرَجَهُ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي "نَوَادِرِ الْأُصُولِ"، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي "زَوَائِدِ الزُّهْدِ"، وَأَبُو يَعْلَى، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَأَبُو الشَّيْخِ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرَاكَ قَدْ شِبْتَ، قَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا».

وَأَخْرَجَ الدَّارِمِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي "مَرَاسِيلِهِ"، وَأَبُو الشَّيْخِ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَابْنُ عَسَاكِرَ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ" عَنْ كَعْبٍ رفعه: «اقْرَءُوا هُودَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَأَبُو الشَّيْخِ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَابْنُ عَسَاكِرَ مِنْ طَرِيقِ مَسْرُوقٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَسْرَعَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ، فَقَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ» الحَدِيث.

وَأَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ أَنَسٍ عَنْهُ مَرْفُوعًا بِلَفْظِ «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَجِلَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ، قَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ» الحَدِيث. وَأَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ عَجِلَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ، فَقَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا مِنَ الْمُفَصَّلِ». وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَابْنُ عَسَاكِرَ من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا وَمَا فُعِلَ بِالْأُمَمِ قَبْلُ». وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ مِنْ طَرِيقِ عَطَاءٍ عَنْهُ أَنَّ الصَّحَابَةَ قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَسْرَعَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ، قَالَ: أَجَلْ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا» الحَدِيث.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي "الدَّلَائِلِ" عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ قَالَ: «قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْرَعَ إِلَيْكَ الشَّيْبُ، قَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا» الحَدِيث.

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ مَرْفُوعًا: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا» الحَدِيث. وَأَخْرَجَا أَيْضًا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا شَيَّبَكَ؟، قَالَ: هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ». وَفِي إِسْنَادِهِ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ وَهُوَ مَتْرُوكٌ. وَأَخْرَجَا أَيْضًا بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ، قَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَأَخَوَاتُهَا».

وَأَخْرَجَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي "نَوَادِرِ الْأُصُولِ" إلخ.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ"، مِنْ طَرِيقِ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ، قَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ» الحَدِيث.

قال: وذكر هود لما فيها من لفظ ﴿فَاسْتَقِمْ﴾، والله أعلم.

وأخرج ابن أبي حاتم قال: لما نزلت هذه الآية شمَّر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَّمَ- فما رؤي ضاحكًا.

وقال الشبلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رأيتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَّمَ في المنام، فقلتُ له: رُوي عنك يا رسول الله، أنك قلتَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا»، فما الذي شيَّبك منها؟، قصص الأنبياء وهلاك الأمم؟، قال: لا، ولكن شيَّبتني منها قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ إلخ.

وقال أبُو عَلِيّ الدقاق يَقُول الاستقامة لَهَا ثلاثة مدارج: أولها: التقويم ثُمَّ الإقامة ثُمَّ الاستقامة، فالتقويم يكون من حيث تأديب النفوس، لأنه عبارة عن إصلاح الجوارح وتعديلها بميزان الخوف والرجاء لتسلم من المنهيات وتستقيم على فعل الطاعات. والإقامة تكون من حيث تهذيب القلوب أَيْ: تطهيرها من الآفات الذميمة. والاستقامة من حيث تقريب الأسرار من القلوب، بأن تكون أفعال العباد كلها موزونة بميزان الشرع تقويم ولا إقامة، فالمعنى الأول تمحيص، والثاني تحقيق، والثالث توفيق.

وقال القشيري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الاستقامة درجة بِهَا كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لَمْ يكن مستقيمًا ضاع سعيه وخاب جهده اهـ.

وقال بعضهم: ذرة الاستقامة خير من ألف كرامة.

وقال الغوث السني جد المُصنّف السيد عبد اللّٰه الميرغني في "حكمه": ذرة استقامة خير من كل كرامة اهـ.

وقلتُ: الاستقامة هي الكرامة. وقلتُ أيضًا: الاستقامة كرامة ليس فوقها كرامة. وقال بعضهم: الاستقامة أكبر كرامة اهـ.

وقوله: (على قدم صاحب المعجزات والكرامة): قدم الشخص يكنّى به عن ما هو عليه من الهدي والسمة، إما على دينه وملته وشريعته.

قال في "التعريفات": القدم: ما ثبت للعبد في علم الحق من باب السعادة والشقاوة، وإن اختص بالسعادة فقدم الصدق، أو بالشقاوة فقدم الجبار، فقدم الصدق وقدم الجبار هما منتهى رقائق أهل السعادة وأهل الشقاوة في عالم الحق، وهي مركز إحاطتَيْ الهادي والمضل اهـ.

والمعجزات: جمع معجزة اسم فاعل أعجزه: أدخله في حيز العجز، مأخوذة من العجز المقابل للقدرة. وهي أمرٌ خارقٌ للعادة يظهر على وفق مدعي النبوة زمن التكليف، مقرون بالتحدي في دعوة النبوة مع عدم المعارضة على جهته الابتداء متضمنًا لتصديقه.

ولهذا قيل: المعجزة يمتنع وقوعها على أيدي الكذّابين، لأن المعجزة ما دلَّ على الصدق، فيستحيل وجوده على أيدي الكذَّاب اهـ.

وقوله: في تعريف المعجزة أنها أمرٌ: إنما عدل عن تعبير بعضهم بقوله: أنها فعلٌ، لتناول الأمر للفعل، كانفجار الماء من بين أصابعه الشريفة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولعدمه كعدم إحراق النار إبراهيم عَلَيْهِ

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ومن اقتصر على الفعل جعل المعجزة ها هنا كون النار بردًا وسلامًا، وبقاء الجسم على ما كان عليه من غير احتراق.

وقوله: وفق مدعي النبوة: احترازًا عمّا كان واردًا خلاف ما يدعّي حصوله، كما وقع لمسليمة الكذّاب من أنه تفل في بئر ليكثر ماؤها فغارَ، فإن ذلك دالٌّ على تكذيبه لا على تصديقه، ومثله يسمى إهانة .. دلالةً.

وقوله: زمن التكليف: للاحتاز عما يقع في القيامة من الخوارق، فإنه ليس بمعجز، لأن الآخرة ليست دار تكليف. كذا قاله الأستاذ أبو إسحاق.

وقوله: مقرون بالتحدّي: احترازًا عن الخارق الواقع من دون تحدٍّ، فيُسمَّى كرامة، وكذا عن الخارق المتقدّم على التحدّي فيُسمَّى إرهاصًا، أَيْ: تأسيسًا للنبوة من أرهصت الحائط: إذا أسسته، وكذا الخارق المتأخر عنه فيُسمَّى كرامة.

والتحدِّي: هو دعوى النبوة. وقيل: طلب المعارضة لمشاهدة الدعوى، والراجح الأوّل. ولا يشترط في صدق الدعوى تعيين الخارق حتى لو قال: أنا آتي بخارقٍ لا يقدر عليه غيري كفى.

وقوله: عدم المعارضة: احترازًا عن نحو السحر والشعبذة، فإنه يمكن معارضتها بتعليمها.

ثم إن قيد التحدي لا بد منه، لكن يشترط وجوده عن كل معجزة، لأن أكثر معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدرت من دون تحدٍّ، بل قيل: أنه لم يتحدّ بغير القرآن وتمنِّي الموت.

وإنما يشترط وقوعها أيْ: المعجزة ممن أسبق منه دعوى التحدّي، فتأمل ذلك، فيندفع به ما طال به النقاش في تفسيره من إبطال اشتراط ذلك وتزييف.

ولا يرد ما سيقع على يد الدجَّال الممسوخ الكذَّاب من الخوارق العجيبة، كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة، لأنه يدعي الربوبية لا الرسالة، وقد دلَّت القواطع على كذبه، وإن ظهور ذلك على يديه إنما هو لمحض الفتنة لا غير.

فائدة: كانت معجزات الأمم السالفة حسيَّة تُشاهد بالأبصار لبلادتهم، وأما هذه الأمة فأكثر معجزاتها عقلية، وذلك لفرط ذكائهم وجودة أذهانهم وفهمهم، فإنها إنما تُشاهد بالبصيرة اهـ.

والكرامة: يؤخذ تعريفها من تعريف المعجزة، وإنها هي المعجزة إلا أنه يسقط منها التحدي، وتكون للأولياء، نفعنا الله تعالى ببركاتهم، والصحيح أنها تنتهي ولو إلى إحياء ميت ووجود ابن من غير أب، كما عليه جمع محققون. وهي حقٌّ ثابتٌ لا ينكرها جملة إلا معاند.

والكرامة الحقيقية من الولي العارف الحق أنها الاستقامة، فإنه لا كرامة لمن ليس له استقامة، فالكرامة كل الكرامة سلوك سبيل الاستقامة، فمن كان سائرًا على اتباع الرسول وواقفًا مع الشرع المقبول، فحصول الخارق منه كرامة.

وأما من خُرِقت له العوائد مع المخالفة، فذلك استدراجٌ به، نسأل اللَّه سبحانه السلامة في الدين، واتّباع سيد المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في كل وقت وحين.

قوله (جزى اللَّه عنا نبينا إلخ): أخرج الطبراني في "الكبير" و"الأوسط" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللَّه تعالى عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: جَزَى اللَّهُ عَنَّا مُحَمَّدًا بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، أَتْعَبَ سَبْعِينَ كَاتِبًا أَلْفَ صَبَاحٍ» اهـ.

وهذا كما ترى أنه يحصل لقائل ذلك، هذا الثواب بذكره مرة واحدة، ومن زاد ازداد من الثواب.

والجزاء: هو الثواب على العمل، وأحسن منه هو المكافأة على العمل خيرًا كان أو شرًّا، ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾[الأنعام: ١٣٩].

([نَبِيّنا]): اختُلِف في همزه وتركه، والترك هو الأكثر والأجود والأشهر، وعليه أكثر العرب والقُرَّاء، لأنه من النبوة بالواو وهو ما ارتفع من الأرض فسُمّي نبوة لارتفاعه وشرفه وعلو منزلته وقدره.

قال الشبلي في "حاشية المطول": النَّبِيّ إن كان من النبوة فيكون واويًا، وأصله نبيو، قلبت الواو لاجتماعها مع الياء، وسبقت إحداهما بالسكون، وأُدغمت إحدى الياءين في الأخرى اهـ. أَيْ: فصار نَبِيّ بالتشديد كما ترى.

وقيل: هو مهموز من النبإ بمعنى الخبر، أن اللَّه تعالى أطلعه على غيبه، فهو نبي بمعنى مُنبَّأ فعيل بمعنى مفعول. أو يكون مخبرًا عن ما بعثه اللَّه تعالى به، ومُنبَّأ بما أطلعه اللَّه تعالى عليه، فعيل بمعنى فاعل.

وقرأ نافع النبيء بالهمز في جميع القرآن إلا في موضعين في سورة الأحزاب قوله: ﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾[الأحزاب: ٥٠]، وقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾[الأحزاب: ٥٣]. فإنه لا يهمز فيهما كبقية القُرَّاء.

وفي "القاموس": وتَرْكُ الهمزِ المختارُ. ثم قال: وقولُ الأعرابِيِّ: يا نَبِيءَ اللَّه، بالهمز، أَيْ: المخرج من مَكَّةَ إلى المدينةِ، أنكره عليه، فقال: لا تَنْبِرْ باسْمِي، فإنما أنا نَبِيُّ اللَّه، أَيْ: بغير همز.

لكن النهي عن الإتيان بالمهموز، لأنه قد يرى بمعنى الطريق كان في صدر الإسلام مخافة سبق هذا المعنى إلى بعض الأذهان، فلما قوي الإسلام وتواترت به القرآن، نُسِخ النهي لزوال سببه.

والرسول: إنسان حر ذكر بالغ على الأصح، سالم مما ينفّر، أُوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، فإن أُمر بتبليغه نَبِيّ ورسول أيضًا، هذا هو الراجح.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۞ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۞ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[الروم: ١٧-١٩]):

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَلَفْظُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۞ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۞ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي: أَدْرَكَ مَا فَاتَهُ فِي لَيْلَتِهِ تِلْكَ» قاله في "تحفة الذاكرين".

وَأخرجه أَيْضًا من حَدِيثه الطَّبَرَانِيّ وَابْن السّني وَضعّف هَذَا الحَدِيث البُخَارِيّ فِي "تَارِيخه" وفِي "الضُّعَفَاء" لَهُ، وَفِي إِسْنَاد أبي دَاوُد مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن الْبَيْلَمَانِي وَهُوَ ضَعِيف اهـ. وأخرجه أيضًا ابن مردويه. وأفاد نحو هذا الحافظ عبد العظيم المنذري في "الترغيب والترهيب". وأفاد مثل ذلك غيره أيضًا.

قوله (﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ إلخ): المُراد بالتسبيح ههنا ظاهره الذي هو تنزيه اللَّه سبحانه من السوء، والثناء عليه بكل خير في هذه الأوقات، لما يتجدّد فيها من رحمة اللَّه تعالى الظاهرة ونعمه المتواترة.

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ قَالَ: تَنْزِيهُ اللَّهِ نَفْسَهُ عَنِ السُّوءِ. وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ"، عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ التَّسْبِيحِ، أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، قَالَ: بَرَّأَهُ اللَّهِ مِنَ السُّوءِ.

وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ طَلْحَةَ بن عبد اللَّهِ قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَفْسِيرِ ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾، فَقَالَ: هُوَ تَنْزِيهُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ. وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْهُ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى مَرْفُوعًا. اهـ "فتح القدير".

وقيل: أن المُراد بالتسبيح هنا الصلاة، وأنه إشارة إلى الصلوات الخمس، فأراد بقوله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ صلاة المغرب والعشاء، وبقوله: ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الفجر، وبقوله: ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاة العصر، وبقوله: ﴿تُظْهِرُونَ﴾ صلاة الظهر.

قال في "الثمرات": وقيل: أراد بالتسبيح الصلاة، لأن فيها تسبيحًا. وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وأبي يعلى وقوّاه الحاكم.

وَأَخْرَجَ الْفِرْيَابِيُّ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «كُلُّ تَسْبِيحٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ صَلَاةٌ». وَرُوِيَ أَنَّهُ سَأَلَ ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: «هَلْ تجِدُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْقُرْآنِ؟، قَالَ: نَعَمْ، فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَة، وَقَوْلَهُ: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ وَالعِشَاءِ، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ صَلَاةُ الفَجْرِ، ﴿وَعَشِيًّا﴾ صَلَاةُ الْعَصْرِ، وَ﴿تُظْهِرُونَ﴾ صَلَاةُ الظُّهْرِ».

وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَالْفِرْيَابِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ: جَاءَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: «هَلْ تَجِدُ» إلخ. إلا أنه قال: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ. ثم قال بعد قوله: ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ صَلَاةُ الظُّهْرِ. قال: وَقَرَأَ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْهُ: «جَمَعَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَوَاقِيتَ الصَّلَاةِ، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ قَالَ: الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ إلخ».

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ السُّنِّيِّ فِي "عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ"، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الدَّعَوَاتِ" عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَّى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ الَّذِي وَفَّى؟، لِأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ كُلَّمَا أَصْبَحَ وَأَمْسَى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾». وَفِي إِسْنَادِهِ ابْنُ لَهِيعَةَ. كذا في "فاتح القدير". وابن لهيعة ضعيف.

وإن كان كذلك فالأمر للوجوب، لكن الدلالة مجملة، وفي تلاوة هذه الآية فضيلة.

قال في "الكشَّاف": ورُوِيَ عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سرَّه أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الآيَة». يعني إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

(حين): بكسر الحاء المهملة وسكون الياء آخر الحروف بعدها نونًا، ظرف زمان وهو اسم لوقت مبهم غير مقدّر، يقع على كل زمان.

وقوله (﴿وَعَشِيًّا﴾): متصل بقوله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾.

وقوله ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: اعتراض بينهما أَيْ: فاصل ما قبله، وما بعده لتأكيد وجوب الحمد، ومعناه: أن على المُميّزين من أهل السماوات والأرض أن يحمدوه، فهو إخبار في معنى الأمر به على أبلغ وجه وآكده.

وتوسيطه بين أوقات التسبيح للاعتناء بشأنه، والإشعار بأن حقها إلى التسبيح والحمد أن يجمع بينهما، كما ينبي عنه قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾[البقرة: ٣٠]، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».

وَعَنْهُ أَيْضًا أن من قال ذلك: «لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ». وغير ذلك مما لا يحصى من الآيات والأخبار.

وتخصيصهما أَيْ: التسبيح والحمد بتلك الأوقات على أن ما يحدث فيها من آيات قدرته تعالى وأحكام رحمته ونعمته، شواهد ناطقة بتنزهه تعالى، واستحقاقه الحمد، وموجبة لتسبيحه وتحميده حتمًا.

قال العلَّامة أبو السعود: قوله ﴿وَعَشِيًّا﴾: عطفٌ على ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾، وتقديمُه على ﴿حِينَ تُظْهِرُونَ﴾، لمُراعاةِ الفواصلِ وتغييرُ الأسلوبِ، لِمَا أنَّه لا يجيءُ منه الفعلُ بمعنى الدُّخولِ في العشي كالمساء والصباحِ والظَّهيرة.

ولعلَّ السرَّ في ذلك أنَّه ليس من الأوقاتِ التي تختلفُ فيها أحوالُ النَّاس، وتتغيرُ تغيُّرًا ظاهرًا مصحِّحًا لوصفِهم بالخروجِ عمَّا قبلها، والدُّخولِ فيها كالأوقاتِ المذكورةِ فإنَّ كلاًّ منها وقتٌ تتغيّر فيه الأحوالُ تغيُّرًا ظاهرًا.

أمَّا في المساء والصَّباح فظاهرٌ، وأمَّا في الظَّهيرة فلأنَّها وقتٌ يعتاد فيه التَّجرُّدُ عن الثيابِ للقيلولةِ كما مرَّ في سورة النُّور. وقيل: المرادُ بالتَّسبيح والحمد الصَّلاة، لاشتمالِها عليهما. اهـ المُراد منه.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات: ١٨٠-١٨٢] ثَلَاثًا):

في "مسلسلات الكردي": رُوِيَ مرفوعًا: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى مِنَ الْأَجْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَقُلْ آخِرَ مَجْلِسِهِ حِينَ يُرِيدُ أَنْ يَقُومَ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾». قال: ومقتضى مكياله بالمكيال الأوفى أن يقوم من ذلك المجلس مغفورًا له اهـ.

ورُوِيَ أيضًا عَنْ عَلِيٍّ موقوفًا عليه، ولفظه كما في "جوهر الشفَّاف"، وأصله "الكشَّاف"، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى مِنَ الْأَجْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَكُنْ آخِرُ كَلَامِهِ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ إلخ السُّورَة». ونحوه في "العهد الأكيد" للديلمي، ونحو ذلك في "تفسير العلَّامة أبي السعود العمادي".

وفي "فتح القدير" للعلَّامة الشوكاني: أخرج الطبراني عن زيد بن أَرْقَمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَدِ اكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى مِنَ الْأَجْرِ». وَأَخْرَجَ حُمَيْدُ بْنُ زَنْجُوَيْهِ فِي "تَرْغِيبِهِ" مِنْ طَرِيقِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ نَحْوَهُ اهـ.

وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَأَبُو يَعْلَى، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عن أبي سعيد عن رسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُسَلِّمَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ إلخ السُّورَة».

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كُنَّا نَعْرِفُ انْصِرَافَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الصَّلَاةِ بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ إلخ السُّورَة». وَأَخْرَجَ الْخَطِيبُ نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبي سعيد.

قوله ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾: العزّة: الغلبة والقوة، والمُراد تنزيه الرب سبحانه وتعالى عن ما يصفه المشركون الجاحدون من كل ما لا يليق بجنابه الشريف.

ورب العزّة بدلٌ من ربك، وأُضيف الرب إلى العزّة لاختصاصه عزَّ وجلَّ بها، أو أنه أراد ما من عزّة لأحدٍ من الملوك أو غيرهم إلا وهو ربها.

ثم لمَّا ذكر جلَّ وعلا ما يدل على تنزيهه، عقّب ذلك بذكر ما يدل على تشريف رسله وتكريمهم فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ أيْ: الذين أرسلهم اللَّه إلى عباده وبلّغوا رسالاته. وهو من السلام بمعنى التحية. وقيل: معناه أمن لهم من المكاره.

وفي الحديث: عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا سَلَّمْتُمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ فَسَلِّمُوا عَلَيَّ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ». أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ، وَابْنُ مَرْدَوَيْه مِنْ طَرِيقِ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَس. وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْعَوَّامِ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا نَحْوَهُ بِأَطْوَلَ مِنْهُ.

وروى الطبراني بإسناد إلى ابن عباس: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلِيَّ فَصَلُّوا عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللهَ بَعَثَهُمْ كَمَا بَعَثَنِي». وذكر ابن إسحاق في "كتابه" مسندًا إلى أبي هريرة مرفوعًا: «صَلُّوا عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَهُمْ كَمَا بَعَثَنِي».

وقوله ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: هُوَ إِرْشَادٌ لِعِبَادِهِ عَلَى حَمْدِهِ وَعَلَى إِرْسَالِ رُسُلِهِ إِلَيْهِمْ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَتَعْلِيمٌ لَهُمْ كَيْفَ يَصْنَعُونَ عِنْدَ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ، وَبَيَانٌ لِمَا يُثْنُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ الْحَمْدُ عَلَى هَلَاكِ الْمُشْرِكِينَ وَنَصْرِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمْ.

قال العلَّامة الشوكاني في "فتح القدير": وَالْأَوْلَى أَنَّهُ حَمْدٌ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ، وَكَمَا يُفِيدُهُ حَذْفُ الْمَحْمُودِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ حَذْفَهُ مُشْعِرٌ بِالتَّعْمِيمِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي، وَالْحَمْدُ: هُوَ الثَّنَاءُ الْجَمِيلُ بِقَصْدِ التَّعْظِيمِ اهـ.

وفي "الكشَّاف": أن السورة لما اشتملت على ذكر ما قاله المشركون في اللَّه، ونسبوا إليه مما هو مُنزّهٌ عنه، وما عاناه المرسلون من جهتهم، وما خوَّلوه في العاقبة من النصرة عليهم، فختمها بجوامع ذلك من تنزيهِ ذاته عما وصفه به المشركون، والتسليم على المرسلين، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ على ما قيض لهم من حسن العواقب، والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد اهـ. أفاده عنه في "الجوهر الشفَّاف".

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ ثَلَاثًا):

عَنْ جُوَيْرِيَةَ زَوْج النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا ثُمَّ رَجعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ». رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي.

وفي روايةٍ لمسلم: «سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ». زاد النسائي: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَذَلِكَ». وفي روايةٍ له: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

ولفظ الترمذي: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَيْهَا وَهِيَ فِي مَسْجِدٍ، ثُمَّ مَرَّ بِهَا قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَقَالَ لَهَا: مَا زِلْتِ عَلَى حَالِكِ؟، فَقَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهَا: سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ خَلْقِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَذَكَرَ زِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا أَيْضًا». كذا في "الترغيب والترهيب" للحافظ المنذري.

قلتُ: وفي روايةٍ: «أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا» الْحَدِيث. وفي روايةٍ أُخرَى: «خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا حِينَ صَلَّى الصُّبْح وَهْيَ تُسَبِّح ثُمَّ رَجعَ إِلَيْهَا إلخ».

قوله (عَدَدَ خَلْقِهِ) إلخ: أيْ: مقدار ذلك، فهو وما بعده منصوبٌ على الظرفية.

قال الحافظ الجلال السيوطي في "مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود" ما لفظه: سُئلت قديمًا عن إعراب هذه الألفاظ ووجه النصب فيها، فأجبتُ: بأنّها منصوبة على الظّرف بتقدير قَدْر، وقد نصَّ سيبويه على أنَّ من المصادر التي تنصب على الظرف قوله: زنة الجبل ووزن الجبل اهـ. كذا أفاده الفاضل العلَّامة المُحقّق ابن علان الصديقي في "شرح أذكار الإمام محيي الدين النووي".

ثم قال: وألَّف فيه الجلال جُزءًا لطيفًا سمَّاه "رفع السنة عن نصب الزنة". وقيل: بل على المصدرية، وعليها فقدَّرهُ بعضهم أعدّ حمده بعدد خلقه وبمقدار ما يرضاه إلخ. وقدَّرهُ آخرون: أحمدهُ حمدًا يساوي خلقه عند التعداد، وزنة عرشه ومداد كلماته في المقدار ويوجب رضا نفسه. قال ابن حجر في "شرح المشكاة": والأوّل أصح اهـ.

قال المُحقّق ابن علان: وفيه أنه إنما يناسب القول بأن النصب على نزع الخافض الذي بدأ به في "المرقاة"، وقدّره الشيخ أكمل الدين في "شرح المشارق" عددًا كعدد خلقه اهـ. قال العاقولي: وذكر العدد مجاز للمبالغة لأنها لا تحصر بعد اهـ.

وقال العلَّامة الشوكاني في "تحفة الذاكرين": وَفِي الحَدِيث دَلِيلٌ على أَن من قَالَ: سُبْحَانَ اللَّه عدد كَذَا وَزِنة كَذَا، كُتِب لَهُ ذَلِك الْقدر، وذلك فضل اللَّه يمُنّ بِهِ على من يَشَاء من عباده، وَلَا يتَّجه هَاهُنَا أَن يُقَال أَن مشقة

من قَالَ هَكَذَا أخف من مشقة من كرَّر لفظ الذّكر حَتَّى يبلغ إِلَى مثل ذَلِك الْعدَد، فَإِن هَذَا بَابٌ منحه رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعباد اللَّه وأرشدهم ودلَّهم عَلَيْهِ، تَخْفِيفًا عَلَيْهِم وتكثيرًا لأجورهم من دون تَعب وَلَا نصب، ولله الْحَمد.

وَقد ورد مَا يُقَوّي هَذَا فِي كثير من الْأَحَادِيث. قال: وَمِمَّا يدل على مَا ذَكرْنَاهُ حَدِيث سعد بن أبي وَقَّاص: «أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهَا نَوًى أَوْ حَصًى، تُسَبِّحُ بِهِ، فَقَالَ: أَلَا أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا أَوْ أَفْضَلُ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الْأَرْضِ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِثْلُ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مِثْلُ ذَلِكَ». وَأخرجه أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَحسَّنه، والْحَاكِم وَابْن حبَان وصحَّحاه.

وَأخرج التِّرْمِذِيّ وَالْحَاكِم فِي "الْمُسْتَدْرك" وَابْن حبَان وصحَّحاه: عَنْ صَفِيَّةَ قَالَتْ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا، وَبَيْنَ يَدَيْهَا أَرْبَعَةُ آلَافِ نَوَاةٍ تُسَبِّحُ بِهِنَّ، فَقَالَ: يَا بِنْتَ حُيَيٍّ مَا هَذَا؟، قَالَتْ: أُسَبِّحُ بِهِنَّ، قَالَ: قَدْ سَبَّحْتُ مُنْذُ قُمْتُ عَلَى رَأْسِكِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، قَالَتْ: عَلِّمْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُولِي: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ مِنْ شَيْءٍ» اهـ. قلتُ: وفي روايةٍ: «قُولِي سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِ اللَّهِ». كما أفاده في "الترغيب والترهيب" للحافظ المنذري.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ المِيزَانِ وَمُنْتَهَى العِلْمِ وَمَبْلَغَ الرِّضَا وَعَدَدَ النِّعَمِ وَزِنَةَ العَرْشِ ثَلَاثًا):

روى الإمام السنوسي في "بعض تآليفه" قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ، وَيُنْصَرَ عَلَى عَدُوِّهِ، وَيُوسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِه، وَيُوقَى مِيتَةَ السُّوءِ، فَلْيَقُلْ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: سُبْحَانَ اللَّه مِلْءَ المِيزَانِ وَمُنْتَهَى العِلْمِ وَمَبْلَغَ الرِّضَا وَزِنَةَ الْعَرْشِ». كذا أفاده سيِّدِي الجد في "الإيضاح المُبين". وأفاد أيضًا أن ذلك من أسباب حسن الخاتمة، نسأل اللَّه ذلك آمين.

قوله (ملء الميزان): أَيْ: مقدار ما يشغل فراغ الميزان، وهو لغة: حسيَّة لها كفتان ولسان، يُعرف به مقادير الأشياء. وعُرفًا: المُراد به ما جاءت النصوص بإثباته، فهو من أمور الآخرة.

والراجح أيضًا أنه ميزان حسيّ له كفتان ولسان، وأنه واحد، ولعله جمعه باعتبار نوع الأعمال، يعرف به مقادير أعمال العباد خيرًا كان أو شرًّا، كل كفة منه كما بين المشرق والمغرب، كما وردت بذلك الأخبار، والصنجة يومئذٍ مثاقيل الذر والخردل، تحقيقًا للعدل.

ويوضعه بين الجنة والنار مقابل العرش، كفة الحسنات عن يمينه مقابل الجنة، وكفة السيئات عن يساره مقابل النار، يأخذ جبريل بعموده ناظرًا إلى لسانه، وميكائيل أمينٌ عليه، بحضرة الجِنَّة والناس، ووقته بعد الحساب، ويوزن به ما يشاء من أعمال ما يشاء.

والأصح أن الأعمال هي التي توزن، وقيل: صحفها، والمختار أن السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان.

قوله (ومنتهى العلم): أَيْ: مقدار نهاية العلم، وهذا أمرٌ لا يمكن حصره ولا الإحاطة به، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾.

قوله (ومبلغ الرضا): أَيْ: مقدار ما يبلغ به رضوان الله عزَّ وجلَّ. والرضا بالقصر: ضد السخط.

قوله (وزنة العرش): أَيْ: مقدار ما يزن العرش أَيْ: ما يعادله. وهو في اللغة: اسمٌ لكل ما علا، والمُراد عند العلماء: أنه مخلوق عظيم، هو أعظم المخلوقات، دلَّ على وجوده الكتاب والسُّنّة والإجماع، وهو فوق السماء السابعة، وهو سقف الجنة كما وردت بذلك الأخبار، خلقه اللَّه تعالى من جوهرة خضراء أو ياقوتة حمراء، لا يقطع بحقيقته.

وهو أول المخلوقات بعد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأصح، وليس هو كريًّا كما زعمه كثيرًا من أهل الهيئات وأرباب النجوم، بل هو قبة ذات قوائم، يحمله في الدنيا أربعة أملاك، وفي الآخرة ثمانية، وقد ورد في صفة عظمه أخبار كثيرة شهيرة، واللَّه أعلم.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: سُبْحَانَ الدَّائِمَ القَائِمِ سُبْحَانَ القَائِمِ الدَّائِمِ سُبْحَانَ الحَيِّ القَيُّومِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانُ المَلِكِ القُدُّوسِ سُبْحَانَ رَبِّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ ثَلَاثًا):

في "شرح المُصنِّف" ما نصّه: أَخْرَجَ الجَدُّ فِي "الجَوَاذِب" يَعْنِي "جَوَاذِبُ القُلُوبِ لِذِكْرِ عَلَّامِ الغُيُوبِ" -اسمُ كتاب لجدّ المُصنِّف السَّيِّد عَبْد اللَّهِ المِيرْغَنِيّ لَمْ يُنْسَج عَلَى منْوَالِهِ فِي جَمِيعِ الأَذْكَارِ الَّتِي عَلَيْهَا المَدَار-، قَالَ فِيهِ: عَنْ سَيِّدِي عَبْد الوَهَّاب الشَّعْرَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ سَيِّدِي عَليّ الخَوَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ سَيِّدِنَا دَاوُدَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْه الصَّلَاة وَالسَّلَام، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاث مَرَّاتٍ: سُبْحَان الدَّائِم القَائِم، سُبْحَانَ القَائِم الدَّائِم، سُبْحَان الْحَيّ القَيُّوم، سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّه العظَيْمَ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَان المَلِكِ القُدُّوس، سُبْحَان رَبّ المَلَائِكَةِ والرُّوح، فَإِنَّهُ يَمُوتُ عَىَ الإِسْلَامِ، مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا تَرَدُّدٍ وَلَا تَوَقُّفٍ» اهـ.

قوله (سبحان الدائم القائم): أَيْ: الباقي الذي لا يزول، والقائم على كل نفس بما كسبت، بل القائم بتدبير جميع المخلوقات. والحيّ القيّوم قد تقدَّم عليهما الكلام.

قوله (سبحان اللَّه وبحمده): أَيْ: أُسبِّحُ اللَّه حال كوني ملتبسًا بحمده أو غير ذلك. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمِهِ مِائَة، حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». أخرجه الشيخان.

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله تعالى عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ». رواه الترمذي وحسَّنه.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ؟، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَقَالَ: أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ». رواه مسلم والنسائي، والترمذي إلا أنه قال: «سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ». وقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وفي روايةٍ لمسلم: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟، قَالَ: مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». رواه مسلم والترمذي والنسائي.

وفي روايةٍ للنسائي: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ ذُنُوبَهُ، وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ». قال الحافظ المنذري: لم يقل في هذه: يوم، ولم يقل: مائة مرَّة، وإسنادهما مُتصل، ورواتهما ثقاة اهـ.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ هَالَهُ اللَّيْلُ أَنْ يُكَابِدَهُ، أَوْ بَخِلَ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، أَوْ جَبُنَ عَنِ الْعَدُوِّ أَنْ يُقَاتِلَهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ جَبَلِ ذَهَبٍ

يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ». رواه الفريابي والطبراني واللفظ له. قال الحافظ المنذري: وهو حديث غريب، ولا بأس بإسناده اهـ.

قوله (سبحان اللّه العظيم وبحمده): عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ». رواه الترمذي وحسَّنه واللفظ له، والنسائي إلا أنه قال: «غُرِسَتْ لَهُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ». وَابْن حبَان فِي "صَحِيحه"، وَالْحَاكِم فِي موضِعين بِإِسْنَادَيْنِ، قَالَ فِي أَحدهمَا: على شَرط مُسلم، وَقَالَ فِي الآخر: على شَرط البُخَارِيّ. كذا قاله الحافظ الترمذي في "الترغيب".

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ». رواه أحمد في "المسند"، والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه، وهو آخر حديث في "صحيح البخاري".

قوله (سبحان الملك القدوس) إلخ: هذه الكلمة جاء الخبر بإتيان النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، بعد فراغه من صلاة الوتر.

أخرج أبو داود والنسائي والدارقطني من حديث أُبي بْن كَعْب قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْوِتْرِ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ثَلَاث مَرَّاتٍ، يَمُدُّ صَوْتَهُ فِي الثَّالِثَةِ، وَيَرْفَعُ».

وَلَفظ الدَّارَقُطْنِيّ: «فَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ فِي الآخِرَة وَيَقُولُ: رَبُّ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوحِ».

وَأخرج هَذِه الزِّيَادَة -أَعنِي سُبْحَانَ الْملك القدوس ثلاثًا- أَحْمد وصحَّحها الْعِرَاقِيّ، وأخرجها أَيْضًا أَحْمد وَالنَّسَائِيّ من حَدِيث عبد الرَّحْمَن بن أَبْزَى، وَفِي آخِره: «فَرفع بهَا صَوته فِي الْآخِرَة»، وصحَّحها الْعِرَاقِيّ من حَدِيث عبد الرَّحْمَن، كَمَا صحَّحها من حَدِيث أبي بن كَعْب، وأخرجها أَيْضًا الْبَزَّار من حَدِيث ابْن أبي أوفى وَقَالَ: اخطأ فِيهِ هَاشم بن سعيد، لِأَن الثِّقَات يَرْوُوهُ عَن زبيد عَن سعيد بن عبد الرَّحْمَن بن أَبْزَى عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. اهـ كذا في "تحفة الذاكرين".

والملك والقدوس: اسمان من أسمائه تعالى الحُسنى، وفي القدوس لغتان: ضمّ القاف وفتحها.

والرُّوح يريد به جبرئل، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[الشعراء: ١٩٣]، وقد تطلق ويراد به ملك هو أكبر الملائكة، قيل: وهو المُراد بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾[الشورى: ٥٢]، قيل: وهو ملك يملأ الكون.

قيل: في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨]، من جملة أقوال: أن المُراد ملك يكون في المحشر وحده صفًا، وبقية الملائكة غيره صفًّا.

ويطلق ويراد به عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[النساء: ١٧١]. ويطلق لفظ

الروح ويُراد به الجوهر الذي هو أمر الله الذي ما دام في الحيوان كان حيًّا، فإذا فارقه مات.

والصحيح الوقف عن حقيقته، بل هو من أمر الله تعالى كما قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[الإسراء: ٨٥].

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِلَهًا وَاحِدًا أَحَدًا فَرْدًا صَمَدًا لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ):

وهذه الشهادة تستعمل في راتب الصبح فقط.

أخرج ابن عساكر عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهًا وَاحِدًا أَحَدًا فَرْدًا صَمَدًا، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا أَرْبَعِينَ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ». وأخرج مثله عن تميم الداري مرفوعًا.

وقيّده المُصنّف بما يُقال في الصباح آخذًا مما رُوِي في "مسند الفردوس": «مَنْ قَالَ بَعْدَ الصُّبْحِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إلخ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ» اهـ.

والصاحبة: الزوجة، سميّت بذلك من الصحبة بمعنى المُعاشرة.

والكفو: بالهمزة وبدونه: المماثل المساوي، أو الكفؤ والضد المقابل.

المُراد هنا الكفاءة التي في النكاح، تأكيدًا لنفي الصاحبة.

وفي "تحفة الذاكرين": أخرج أَحْمد وَابْن مَاجه وَلَفظ الحَدِيث عَن أبي عَيَّاش أَن رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ لَهُ عَدْل رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ بِهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ بِهَا عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ».

قَالَ: فِي حَدِيث حَمَّاد -وهو ابن بن سَلمَة- : «فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا عَيَّاشٍ يُحَدِّث عَنْك كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صَدَقَ أَبُو عَيَّاشٍ». هَذَا لفظ أبي دَاوُد.

وَقد ورد فِي "التَّرْغِيب" فِي هَذَا الذّكر غير مُقَيّد بِالصَّباح أَحَادِيث فَمِنْهَا مَا فِي "الصَّحِيحَيْنِ" وَغيرهمَا من حَدِيث أبي أَيُّوب الْأَنْصَارِيّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ».

وَفِي رِوَايَة لِأَحْمَد وَالطَّبَرَانِيّ من هَذَا الحَدِيث: «كُنَّ كَعِدْلِ عَشَرِ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ». وَمِنْهَا مَا أخرجه أَحْمد من حَدِيث الْبَراء بِإِسْنَاد رِجَاله رجال الصَّحِيح بِلَفْظ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَهُوَ كَعِتْقِ نَسَمَةٍ». وَأخرجه أَيْضًا التِّرْمِذِيّ وَقَالَ: حَدِيث حسن صَحِيح، وَصَحَّحهُ ابْن حبَان.

وَمِنْهَا مَا أخرجه الطَّبَرَانِيّ من حَدِيث أبي أُمَامَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِسْنَاد رِجَاله رجال الصَّحِيح: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَمْ يَسْبِقْهَا عَمِلٌ، وَلَمْ تَبْقَ مَعَهَا سَيِّئَةٌ». وَفِي الْبَاب أَحَادِيثٌ اهـ.

وعدل الشيء –بكسر المهملة وبفتحها- لغة: هو المثل، وقيل: هو بالكسر: ما عدل الشيء من جنسه، وبالفتح: ما عادله من غير جنسه اهـ.

وفي كتاب "البركة" للعلَّامة جمال الدين محمد بن عبد الرحمن الحبشي ما نصه: قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلاةِ الصُّبْحِ وَهُوَ ثَانٍ رِجْلَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كُتِبَ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَوْمُهُ ذَلِكَ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَحُرِسَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلا يَنْبَغِي لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلا الشِّرْكَ بِاللَّهِ تَعَالَى». رواه الترمذي وغيره وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ اهـ.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: رَضِيتُ بِاللَّهِ تَعَالَى رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَبِيًّا وَرَسُولاً ثَلاَثًا):

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِسَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفَعَلَ، ثُمَّ قَالَ: وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

وفي رواية أبي داود وإحدى روايات مُسلم: «مَنْ قَالَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»، كذا في "سلاح المؤمن" للحافظ تقي الدين محمد بن تاج الدين محمد بن همام، إمام جامع المصالح.

وفي كتابه "البركة" ما نصه: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى ثَلَاثًا: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رواه أبو داود والترمذي والنسائي، والحاكم في "المستدرك على الصحيحين"، وقال: حديثٌ صحيح الإسناد. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وفي روايةٍ: «وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا».

فينبغي الجمع بينهما فيقول: «نَبِيًّا وَرَسُولًا»، ذكره النووي. وفي "سنن أبي دواد": «مَنْ قَالَ ذَلِكَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» اهـ.

قلتُ: وفي "عدة الحصن الحصين" للحافظ الإمام الجزري: رواية: «وبمحمد رسولاً»، وعزاها لأرباب السنن والطبراني في "الكبير".

ورواية: «وبمحمد نبينا» وزيادة: «ثلاثًا». وعزاها لابن أبي شيبة في "المصنّف". فالأول عزاه إلى أهل السنن الأربع، والطبراني في "الكبير"، والثاني عزاه إلى "المصنف" لابن أبي شيبة.

وهو مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَامٍ خَادِمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ». وأخرجه أيضًا من حديثه أحمد، قال الهيثمي: ورجال أحمد والطبراني ثقاة. وزاد: «ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».

ومن حديثه أيضًا أخرجه الحاكم في "المستدرك"، وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضًا الترمذي من حديث ثوبان بلفظ: «رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا». وقال: حسن غريب. ورواه ابن شيبة وابن السني من حديث ابن أبي سعيد بلفظ: «رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا». وزاد: «ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».

وهذا أبو سلام قد ذكره ابن عبد البر في "الاستيعاب" وذكره هذا الحديث من حديثه، وقال: هَذَا هُوَ الصواب فِي إسناد هَذَا الحديث.

قوله في الرواية الأولى: «رَسُولاً» وفي الرواية الثانية: «نَبِيًّا». قَالَ النَّوَوِيّ: فَيُسْتَحَب أَن يجمع بَينهمَا فَيقُول: «نَبِيًّا ورَسُولًا»، وَلَو اقْتصر على أَحدهمَا لَكَانَ عَاملاً بِالْحَدِيثِ اهـ.

قلتُ: ونحو هذا ذُكِر في "الترغيب والترهيب" وفي "سلاح المؤمن" أيضًا. وفيه أيضًا ما لفظه: وَعَنْ أَبِي مُجَلِّزَ -وَاسْمُهُ لَاحِقُ بْنُ حُمَيْدٍ- قَالَ: «مَنْ خَافَ أَمِيرًا ظَالِمًا فَقَالَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَبِالْقُرْآنِ حُكْمًا وَإِمَامًا نَجَّاهُ اللَّهُ مِنْهُ». رواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" اهـ.

وفي الخبر: عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا». أخرجه أحمد في "المسند"، ومسلم، والترمذي.

والرضا بالله ربًّا: يتضمن الرضا بمعنى مقابلة جميع ما أقضى به في جميع مخلوقاته بالقبول.

والرضا بالإسلام دينًا: يتضمن القبول لجميع ما جاء به من الإحكام، والتسليم لذلك وارد ما اختلف فيه الأراء يقتضي التديُّن والانقياد به لله عزَّ وجلَّ، واختياره دون غيره من الأديان، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران: ٨٥].

والرضا بنبوة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورسالته إلى كتاب الله وسنة نبيه، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا

فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥]، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

قال جمهور سلف الأمة وعلماؤها: المُراد الرجوع فيما اختُلِف فيه إلى كتاب اللَّه تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه.

وأما لفظ السيادة فمن زيادة المُصنّف، بعد اختيار الجمع زيادةً في كمال التأدُّب مع خاتم المرسلين، ولا محذور في ذلك، إذ إطلاق لفظ السيد على غير اللَّه تعالى الأصح المختار عند جمهور العلماء الأخيار جوازه.

قال اللَّه تعالى في حقِّ سيدنا يحيى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا﴾[آل عمران: ٣٩]، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ للأنصار: «قُومُوا لِسَيِّدِكُمْ». وقد قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ».

وقد أطال المجال في ذلك بين العلماء الأبطال، واختلفت في ذلك عنهم الآراء والأقوال، ولكن ما ذكرته هو الصحيح، وعليه يدل النص الصريح.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِـكَ ثَلَاثًا):

في "سلاح المؤمن" ما لفظه: وَعَن شَهْر بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: «قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟، قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِأَكْثَرِ دُعَائِك يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟، قَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ. فَتَلَا مُعَاذٌ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[آل عمران: ٨]».

رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَقَالَ: حسن، وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ من حَدِيث عَائِشَة، وَابْن مَاجَه من حَدِيث أنس، وَالْحَاكِم من حَدِيث جَابر وَقَالَ: صَحِيح على شَرط مُسلم اهـ.

وأخرج البغوي في "المصابيح": عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ «قَالَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟، قَالَ: نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ» اهـ.

وورد في كثير من الأحاديث أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان كثيرًا ما يكون حلفه بقوله: «لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ».

أخرج مالك في "الموطأ"، والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَكْثَرُ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يَحْلِفُ: لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ». كذا أفاده ذلك العلَّامة الربَّاني وجيه الدين الحافظ عبد الرحمن الديبع الشيباني في كتابه "تيسير الوصول" مختصره لـ"جامع الأصول".

وفي "رياض الصالحين" للإمام النووي ما نصه: وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»، رواه مسلم اهـ. قلتُ: رُوِيَ عن مسلم أيضًا عن عبد اللَّه أيضًا بزيادة في أوَّله.

وفي "سلاح المؤمن": عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: «أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»، رواه مسلم والنسائي اهـ.

والتقليب: التحويل. والثبات: الدوام. والقلب قد سبق الكلام عليه.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: يَا وَلِيَّ الإِسْلامِ وَأَهْلِـهِ ثَبِّتْـنِي بِـهِ حَـتَّى أَلْقَاكَ ثَلَاثًا):

هذا الدعاء ذكره الجزري في كتابه "الحصن الحصين" في أواخره في الباب العاشر في ذكر ما صحَّ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يختص بوقت من الأوقات، وعزاه للطبراني في "الكبير" من حديث أنس مرفوعًا، وسكت عليه العلَّامة منلا علِيّ قارئ الحنفي في "شرحه".

قال المنلا علي: قوله (يا ولِيَّ الإسلام): يا متصرفه بتغير أحكامه، أو يا ناصر الإسلام. (وأهلِهِ): بالجر عطفًا على الإسلام، ولو روي بالنصب عطفًا على المضاف لكان له وجه، كما قيل في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾[المدثر: ٥٦] أَيْ: أهل الانقياد لحكمه ويطاع لأمره. (ثَبِّتني به): أَيْ: بقبوله والقيام بأحكامه (حتى ألقاك) اهـ بحروفه.

قلتُ: هذا الدعاء يتضمن سؤال الدوام على الإسلام إلى حين موافاة الحِمام، فهو متضمن لطلب حسن الختام، والله أعلم.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ -أَوْ مَا أَمْسَى- بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ ثَلَاثًا):

أخرج أبو داود والنسائي وابن حبان في "صحيحه" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَنَّامٍ الْبَيَاضِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ».

كذا ذكره من رواية هؤلاء الحافظ المنذري في "الترغيب والترهيب"، وأن اللفظ للنسائي، وذكره في كتاب "البركة" من رواية أبي داود فقط.

وذكره أيضًا في "سلاح المؤمن" وأن اللفظ لأبي داود، وأن رواية النسائي: «اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ» فقط. قال: وأخرجه ابن حبان في "صحيحه" بهذه الزيادة من حديث ابن عباس. ويعني بالزيادة ما ذُكِر من تمام الرواية إلى قوله: « فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ». ثم قال: وغَنَّام -بِفَتْح الْغَيْن الْمُعْجَمَة وَتَشْدِيد النُّون وَبفتحهَا- والبياضي مَنْسُوب إِلَى بياضة بطن من الْأَنْصَار اهـ.

وذكره ابن الجزري في "عدة الحصن الحصين" من رواية أبي داود وابن حبان، كما قال المصنّف، هو من حديث عبد الله بن غنام البياضي، وأخرجه أيضًا من حديثه النسائي، وصحَّحه ابن حبان، وجوَّد النووي إسناده ولفظه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ

يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ».

وأخرجه أيضًا ابن حبان في "صحيحه": «اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ إلخ». ورواه من حديث ابن عباس.

وفي الحديث فضيلة عظيمة ومنقبة كريمة، حيث يكون تأديته واجب الشكر بهذه الألفاظ اليسيرة القليلة، فإن قائلها صباحًا في أدَّى شكر يومه، وقائلها مساءً فقد أدى شكر ليلته، مع أن اللَّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[النحل: ١٨]، فإذا كانت النعم لا يمكن إحصاؤها فكيف يقدر العبد على شكرها!؟، فللَّه الحمد والشكر على هذه الفائدة الجليلة، المأخوذة من معدن العلم ومبلغه اهـ.

والنِّعمة –بكسر النون– : هي المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير. وفي "الصحاح": هي المنة واليد والصنيعة. وفي "مطالع المسرات": النِّعمة: –بكسر النون– : هي ما من شأنه أن يتحصَّل السرور به والسكون إليه من إحسان محسن، فمعنى الأسدي معتبرٌ فيها اهـ.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ –أَوْ أَمْسَيْتُ– مِنْكَ فِي نِعْمَةٍ وَعَافِيَةٍ وَسِتْرٍ فَأَتِمَّ نِعْمَتَكَ عَلَيَّ وَعَافِيَتَكَ وَسِتْرَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ثَلَاثًا):

في كتاب "البركة" ما لفظه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ مِنْكَ فِي نِعْمَةٍ وَعَافِيَةٍ وَسِتْرٍ، فَأَتِمَّ عَلَيَّ نِعْمَتَكَ وَعَافِيَتَكَ وَسِتْرَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُتِمَّ عَلَيْهِ نِعْمَتَهُ». رواه ابن السني، وأورده أيضًا بهذا اللفظ بدون عزو الأمام العامري في "بهجة المحافل"، وكذا ذكره من غير ذكر قوله: أصبحتُ إلخ.

أصبح: دخل في الصباح أَيْ: في وقته ومثله. أمسى أَيْ: دخل في المساء. والنِّعمة –بكسر النون– قال في "التعريفات": أنها ما قصد بها الإحسان والنفع. وقال غيره في تفسيرها: أنها الحالة الحسنة. وقيل: المنعقدة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير اهـ.

وأفاده في "التحفة": أَنَّهَا كُلّ مُلَائِمٍ تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ، وَمِنْ ثَمَّ قَالُوا لَا نِعْمَةَ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى كَافِرٍ، وَإِنَّمَا مَلَاذُهُ اسْتِدْرَاجٌ. فَإِنْ قُلْتَ: هَذَا لَا يُوَافِقُ تَفْسِيرَ النِّعْمَةِ لُغَةً مِنْ أَنَّهَا مُطْلَقُ الْمُلَائِمِ وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِلِاسْتِعْمَالِ فِي أَكْثَرِ النُّصُوصِ، فَمَا حِكْمَتُهُ؟. قُلْتُ: شَأْنُ الْمُصْطَلَحَاتِ الْعُرْفِيَّةِ مُخَالَفَتُهَا لِلْحَقَائِقِ اللُّغَوِيَّةِ وَكَوْنُهَا أَخَصَّ مِنْهَا كَالْحَمْدِ وَالصَّلَاةِ عُرْفًا اهـ.

فتبيَّن أن تفسير أهل اللغة اكتفوا بتفسير صورة النعمة لا حقيقتها، والله أعلم.

والعافية: هي بمعنى الصحة والسلامة من الآفات الحسية والمعنوية.

وفي "مطالع المسرات": إنها هي دفاع اللَّه عن العبد ووقايته إيّاه المكاره والأسواء اهـ.

وقد ورد في الحديث سؤالها من اللَّه عزَّ وجلَّ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْعَافِيَةَ»، وورد: «مَا سُئِلَ اللَّهُ شَيْئًا قَطُّ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». وقد سألها سيد المرسلين من ربه، و﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١].

والسِّتر –بكسر السين المهملة– : الساتر والتغطية، يُقال: سترَ الشيء: غطَّاهُ. وقد ورد في الأمر به والحضّ عليه، وفضله من الأخبار والآثار ما هو أشهر من أن يذكر، ويكفي: «مَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

قوله (فأَتِمَّ إلخ): أَيْ: أكمِلْ، وأتِمّ من التمام نقيض النقصان، وإنما سأل ذلك وكونه في الدارين الدنيا والآخرة، لأن العبد إذا حصل له ذلك فيهما فقد فاز، ولكل خير حصل وصارت.

الدنيا: سميت بذلك لتأخرها، وكونها عقب الدنيا، وفي تعريف الدنيا خلافٌ، وكذلك في أول أمر الآخرة ما هو وما أولها؟، ومحل بسط ذلك مطولات كتب أصول الدين، على أن أمرهما ظاهر وباللَّه التوفيق.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨] مَرَّةً وَاحِدَة ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[التوبة: ١٢٩] سَبْع مَرَّاتٍ):

عَن أم الدَّرْدَاء عَن أبي الدَّرْدَاء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: ﴿حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ سَبْعَ مَرَّاتٍ كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ، صَادِقًا كَانَ بِهَا أَوْ كَاذِبًا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد هَكَذَا مَوْقُوفًا، وَرَفعه ابْن السُّني وَغَيره، وَقد يُقَال إِن مثل هَذَا لَا يُقَال من قبل الرَّأْي وَالِاجْتِهَاد فسبيله سَبِيل الْمَرْفُوع اهـ. كذا في "الترغيب والترهيب" للحافظ المنذري. وَأخرجه أَيْضًا من حَدِيث أبي الدرداء الحافظ ابْن عَسَاكِر كما في "تحفة الذاكرين".

وفي رواية ابن السُّني عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ مَرْفُوعًا: أَنَّ مَنْ قَالَهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ: «كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، أخرجه ابن السُّني من حديثه.

وفي روايةٍ: «كفاه اللَّه ما أهمَّهُ من أمر آخرته ودنياه صادقًا كان أو كاذبًا». وفي روايةٍ: «لم يمت هدمًا وَلَا غرقًا وَلَا حرقًا وَلَا ضربًا بحديدة».

وأخرج ابن النجار في "تاريخه" عن الحُسَين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «من قال حين يصبح سبع مرَّات: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ إلخ لَمْ يصبهُ ذَلِك الْيَوْم وَلَا تِلْكَ اللَّيْلَة ولا سلب ولا غرق» اهـ.

وفي "فوائد الشرجي" ما نصه: وقال الإمام ابن السيف في كتابه "بلغة المساخر": يكفي من العبادات تلاوة القرآن وقول: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الصباح والمساء، لأن العبادات غير هذين يشترط فيها حضور القلب، وتلاوة القرآن قد جاء أنها أعظم القرب بفهم وبغير فهم، وقائل ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إلخ، أن الله يكفي ما أهمّهُ صادقًا أو كاذبًا اهـ.

وفي "الفوائد" أيضًا ما لفظه: الفائدة الحادية والأربعون في العطف ولوجهه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، هذه الآية أنها تعطف قلوب المعرضين على من أعرضوا عنه، وتدفع كيد الكائدين.

فمن قرأها ليلة الجمعة نصف الليل ثلاثين مرَّة، وقال في آخر كل مرَّة: اللَّهُمَّ أنت يا رب حسبي على فلان ابن فلانة، أو فلانة بن فلان، اعطف قلبها أو قلبها وذَلّلهُ لي أو ذَلّلها، فإن اللَّه يعطف قلبه عليه ويُذَلّله له اهـ.

وَأخرج أَبُو الشَّيْخ عَن مُحَمَّد بن كَعْب قَالَ: خرجت سَرِيَّة إِلَى أَرض الرّوم فَسقط رجل مِنْهُم فَانْكَسرت فَخذه، فَلم يستطيعوا أَن يحملوه فربطوا فرسه عِنْده، وَوَضعُوا عِنْده شَيْئًا من مَاء وَزَاد، فَلَمَّا ولّوا أَتَاهُ آتٍ فَقَالَ لَهُ: مَا لَك هَهُنَا؟، قَالَ: انْكَسَرت فَخذي فتركني أَصْحَابِي، فَقَالَ: ضع يدك حَيْثُ تَجِد الْأَلَم، وَقل: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، قَالَ: فَوضع يَده فَقَرَأَ هَذِه الْآيَة فصحّ مَكَانَهُ فَركب فرسه ولحق أَصْحَابه.

وفي حديثٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَسَرُوا ابْن لعوف بن مَالك الْأَشْجَعِيّ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِيهِ: أَنِ ائْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْلِمْهُ

مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الضِّيقِ وَالشِّدَّةِ، فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: اكْتُبْ إِلَيْهِ وَمُرْهُ بِالتَّقْوَى وَالتَّوَكُّلِ، وَأَنْ يَقُولَ عِنْدَ صَبَاحِهِ وَمَسَائِهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾[إلخ السُّورَة]، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ قَرَأَهُ فَأَطْلَقَ اللَّهُ وَثَاقَهُ، فَمَرَّ بِوَادِيهِمُ الَّذِي تَرْعَى فِيهِ إِبِلُهُمْ وَغَنَمُهُمْ وَاسْتَاقَهَا، وَجَاءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي اغْتَلْتُهُمْ بَعْدَ مَا أَطْلَقَ اللَّهُ وَثَاقِي فَحَلالٌ هِيَ أَمْ حَرَامٌ؟، قَالَ: بَلْ هِيَ حَلالٌ إِذَا نَحْنُ خَمَّسْنَا اهـ.

ونقل الشيخ أحمد السجاعي المصري في "شرحه على حزب الإمام النووي" عن الإمام اليافعي: أن من خواص ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾[إلخ السُّورَة] تعطيف القلوب ومنع كيد الكائدين. قال: والحاصل أن في الآية جمع الهم على الله تعالى، والاعتما عليه والثقة بوعده، والرضا باختياره.

قال ابن عطا: من ركن إلى غيره تعالى فقد ركن إلى من لا يضره ولا ينفعه اهـ.

قلتُ: مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[الأعراف: ١٨٨]، فإذا كان الإنسان لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا كان في حق غيره بطريق الأولى اهـ.

قوله (﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾): الرسولُ: إنسان ذكر حر بالغ، سالم مما ينفر شرعًا أو طبعًا، أُوحِي إليه بشرعٍ، أو أُومِر بتبليغه، فإن لم يؤمر بتبليغه فنبيٌّ فقط. وقيل: أن الرسول والنبي مترادفان. وعدّة الأنبياء

كما صحَّ في بعض الروايات: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر. عدّة قوم طالوت، وعدة أهل بدر أيضًا.

وقوله ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾: أَيْ: أنه بشر من جنسكم ليس ملكًا، هذا إن كان الخطاب عامًّا مُرادًا به جميع الناس، أو المُراد أنه من نسبكم إن كان الخطاب للعرب أو لقريش، لأنه له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في كل قبيلة من قبائل العرب نسبًا.

وقُرِئ:﴿أَنْفَسِكُمْ﴾ بفتح الفاء أَيْ: من أشرفكم وأفضلكم. قيل: وهي قراءة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقراءة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وأخرج الطبراني وأبو نعيم وابن عساكر: «خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ». «وَلَمْ يَزَلْ يَنْقِلُنِي اللَّهُ مِنَ الأَصْلابِ الطَّاهِرَةِ، مُصَفًّى مُهَذَّبًا، لَا تَنْشَعِبُ شُعْبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا».

زاد بن ابْن مرْدَوَيْه: «قَرَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفَسِكُمْ﴾ -بِفَتْح الْفَاءِ- وَقَالَ: أَنَا أَنْفَسكُم نسبًا وصهرًا وحسبًا، لَيْسَ فِي آبَائِي من لدن آدم سفاح كلنا نِكَاح».

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وابن عساكر عَنْ أَنَسٍ مرفوعًا قَالَ: «مَا افْتَرَقَ النَّاسُ فِرْقَتَيْنِ إِلَّا جَعَلَنِي اللَّهُ فِي خَيْرِهِمَا، فَأُخْرِجْتُ مِنْ بَيْنِ أَبَوَيَّ، فَلَمْ يُصِبْنِي شَيْءٌ مِنْ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَخَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي وَأُمِّي، فَأَنَا خَيْرُكُمْ نَفْسًا وَخَيْرُكُمْ أَبًا».

قوله ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: ما مصدرية أَيْ: شديدٌ عليه عنتكم أَيْ: مشقتكم ولقائكم ما يكره. والعنت في أصل اللغة: المشقة. قال في "مختار

الصحاح": العنت -بفتحتين- : الإثم، وبابه طرِبَ. ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾، فإنه يعني الفجور والزنا. والعنت أيضًا: الوقوع في أمر شاق، وبابه أيضًا طرِبَ. والمتعنت: طالب الزلة اهـ بحروفه.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أَيْ: من الحرص وهو شدة الرغبة في الشيء، أَيْ: شديد الرغبة أن تهتدوا وتؤمنوا. قال في "مطالع المسرات": الحرص شدة الرغبة في الشيء وقوة الطلب له.

وقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحرص شيء على هداية الخلق، فلقد كان يدعوهم إلى الله تعالى فرادى وجماعة في منازلهم ومواسمهم ومواضع اجتماعهم، ويجمعهم لذلك فيكذبونه ويضربونه، ويستهزؤن به ويسخرون منه، ويهمزونه ويلمزونه، ويحذرون منه ويحرضون عليه، ومع ذلك لا يبالي بذلك منهم، بل يعود لدعائهم ونصحهم، ويدعو لهم ويدعوهم ليلاً ونهارًا وسرًّا وجهرًا، ثم دعاهم إلى الإيمان والجنة بالسيف كرهًا، حتى أنجاهم وأسعدهم وأدخلهم الجنة وهم كارهون.

ثم ليعلم أن حرصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صلاح العباد وهداهم، إنما كان امتثالاً لأمر الله وابتغاء لمرضاته، وكما كان حرصه على هداهم بظاهر تام بالغ إلى الغاية موافقة لأمر الله وطلبًا لرضاه، كذلك تسليمه باطنًا لله في خلقه وحكمه وملكه إلى غاية لا انتهاء لها، فلا يرد إلا ما أراده سيده، ولا اختيار له معه.

قوله ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: الرءوف والرحيم قيل: معناهما واحد. وقيل: بينهما فرق، وأن الرأفة أشد من الرحمة. وقيل: أبلغ من الرحمة، وهما اسمان من أسمائه جلَّ وعلا الحُسنى التسعة والتسعين المُروية في رواية الترمذي المشهورة.

قال الحبر ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سمَّاه الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسمين من أسمائه اهـ.

وفي "كشاف الزمخشري": قيل: لم يجمع الله عزَّ وجلَّ اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: ﴿رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ اهـ. وفي "العهد الأكيد" نحوه ولفظه: ولم يجمع الله اسمين من أسمائه لغير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: ﴿رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ اهـ.

وقال الحافظ السيوطي في "أنموذج اللبيب": أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمي من أسماء الله تعالى وتبارك بنحو سبعين اسمًا.

ونظمه العلَّامة السيد أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل في "نظمه الأنموذج" فقال: وأنه سمي من أسمائه بالنحو من سبعين لاعتد به ... اهـ.

والتولِّي: الإعراض. ومعنى ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾: أن يكفيني. والتوكُّل: الثقة بالله دون غيره. والعرش تقدَّم الكلام عليه.

وأخرج ابن أبي حاتم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّمَا سُمِّيَ الْعَرْشُ عَرْشًا لارْتِفَاعُهُ اهـ. وقيل: هذه الآية آخر آية نزلت. رواه الحاكم عن أبي بن كعب.

وكذا رواه عنه أيضًا ابن أبي شيبَة وَإِسْحَاق بن رَاهَوَيْه وَابْن منيع وَابْن جرير وَابْن الْمُنْذر وَأَبُو الشَّيْخ وَابْن مرْدَوَيْه وَالْبَيْهَقِيّ فِي "الدَّلَائِل" من

طَرِيق يُوسُف بن مهْرَان عَن ابْن عَبَّاس عَن أبيّ بن كَعْب: آخر آيَة نزلت على رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَفِي لفظ: إِن آخر مَا نزل من الْقُرْآن: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إلخ. وباللَّه التوفيق.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: يَا اللَّهُ يَا وَدُودُ يَا حَقُّ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مَرَّة):

اختار المُصنّف كون العدد وترًا، لخبر: «إن الله تعالى وتر يحب الوتر» اختار هذه الأسماء إشارةً إلى اعترافه للّٰه بالألوهية، وأنه ممن يودّ الحق، واللَّه قد تقدَّم الكلام فيه.

ولفظ الودود إما بمعنى اسم الفاعل أَيْ: الودود، ومعناه الموادّ أَيْ: المُحب لمن أطاعه، أو هو بمعنى اسم المفعول بمعنى المودود أَيْ: المحبوب. والوُدُّ –بالضم– : الحُب وزنًا ومعنى، ومعنى الوديد كفعيل: الصديق وزنًا ومعنىً أيضًا.

والحقُّ: قيل: معناه الواجب الوجود لذاته، وقيل: معناه المحق، ويطلق لفظ الحق على مقابل الباطل. وفي "تحفة الذاكرين": الودود الْمُحب لأوليائه.

وهما من أسمائه التسعة والتسعين. قال الغزالي: الودود هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم وينعم إليهم. إلى أن قال: والودود من عباد اللَّه من يريد لخلق اللَّه ما يريد لنفسه، وأعلا من ذلك من يؤثرهم على نفسه.

وقال الغزالي أيضًا: الحق في مقابلة الباطل، والأشياء تستبان بأضدادها، وكلما يخبر عنه إما بالباطل مطلقًا، والواجب ذاته هو الحق مطلقًا، والممكن بذاته الواجب بغيره، وهو حق من وجه باطل من وجه. إلى أن قال: إن الحق المطلق هو الوجود الحقيقي بذاته الذي منه يوجد كل حقيقة.

إلى أن قال: وأحق الأشياء بأن يكون حقًّا هو الذي يكون وجوده ثابتًا لذاته أزلً وأبدًا، ومعرفته حقًّا أزلاً وأبدًا، والشهادة له حقًّا أزلاً وأبدًا، وكل ذلك لذات الوجود الحقيقي لا لغيره.

تنبيه: حق العبد من هذا الاسم أن يرى نفسه باطلاً، ولا يرى غير اللَّه حقًّا، والعبد وإن كان حقًّا فليس هو حقًّا لنفسه بل هو حق لغيره، وهو اللَّه فإنه موجود به لا بذاته، بل هو بذاته باطل لولا وجود الحق له اهـ.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِ اللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي مَلأَ أَرْكَانَ عَرْشِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَقَامَتْ بِهِ عَوَالِمُ اللَّهِ الْعَظِيمِ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ ذِي الْقَدْرِ الْعَظِيمِ وَعَلَى آلِ نَبِيِّ اللَّهِ الْعَظِيمِ بِقَدْرِ عَظَمَةِ ذَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمِ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَدَ مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ الْعَظِيمِ صَلاَةً دَائِمَةً بِدَوَامِ اللَّهِ الْعَظِيمِ تَعْظِيمًا لِحَقِّكَ يَا مَوْلاَنَا يَا مُحَمَّدُ يَا ذَا الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَمَا جَمَعْتَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا يَقَظَةً وَمَنَامًا وَاجْعَلْهُ يَا رَبِّ رُوحًا لِذَاتِي مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ يَا عَظِيمُ):

هذه الصلاة للإمام الكبير والقطب الشهير شيخ المُصنّف صاحب السر النفيس، العارف بالله السيد أحمد بن إدريس، روَّح الله وروحه ونوَّر ضريحه، ونفعنا بهما وببركاته جميع المقرّبين والصالحين، أرحم الراحمين ربنا ورب العالمين.

قوله (نور وجه الله العظيم): لا يقدر قدره إلا الله تعالى، والوجه يعبَّر به عن الذات، أو نعتقد أن له وجهًا كما قال، وتنزِّههُ عما لا يليق به، وتفوِّض ذلك إليه.

والعظيم تقدَّم الكلام عليه. وهو هنا يحتمل أن يكون وصفًا لوجه، وأن يكون لله، كل محتمل أن يكون صفة لعرش أو لله تعالى.

قوله (وقامت) إلخ: أَيْ: استقلت وتثبتت به العوالم، والجمع باعتبار اختلاف أنواعها، إذ قِوام الشيء -بالكسر- : نظام الأمر وعماده وملاكه.

(أن تصلّي) إلخ: هذا هو المسؤول، والقدر: المنزلة والجاه.

قوله (وعلى نبي اللَّه العظيم): إنما عقب الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصلاة على آله، لما وردَ من النهي عن الصلاة البتراء، وفُسِّرت بأنها الصلاة عليه دون آله.

قال المنصور باللَّه القاسم بن محمد بن سلام: الصلاة عليهم نصف الصلاة على أبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومذهب أهل البيت وجوبها، واستدل المنصور ومن رأى رأيه على ذلك، بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[الطور: ٢١] ، قالوا: فقد ألحقهم اللَّه بهم في هذه الآية.

وفي "شفاء الأورام" -بصيغة الجزم- عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا صليتم عليَّ فصلُّوا على آلي معي، فإن اللَّه لا يقبّل الصلاة عليَّ إلا مع آلي».

وقال أيضًا: وقال القاضي عياض في "الشفا" ما لفظه: وَفِي حَدِيثِ أَبِي جَعْفَرٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يُصَلِّ فِيهَا عَلَيَّ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِي لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ» اهـ.

وآله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مقام الدعاء: كل من أجاب دعوته كما اختاره النووي واتّبعه الأكثرون.

(بقدر عظمة ذات الله) إلخ: أي بمقدار عظمته أَيْ: جلال الله العظيم، ولا يقدر قدر ذلك غيره، سبحانه من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته.

(في كل لمحة ونَفَس): اللمح: النظر بسرعة. وفي "القاموس": أنه اختلاس النظر. والنَّفَس -بالتحريك- : التنفس وهو معروف، وكونه عدد ما في علم الله فإنه لا يقدر قدر ذلك إلا هو.

(صلاة دائمة): أَيْ: باقية بدوام الله أَيْ: ببقائه سبحانه.

(تعظيمً لحقك) إلخ: أَيْ: أداءً لقدرك وما يجب لك ويليق بك.

قال السخاوي في "القول البديع" ما نصه: عَنْ أَنَسٍ رضي الله تعالى عنه عن النَّبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً تَعْظِيمًا لِحَقِّي جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ مَلَكًا، جَنَاحٌ لَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَجَنَاحٌ لَهُ فِي الْمَغْرِبِ، وَرِجْلَاهُ فِي تُخُومِ الْأَرْضِ، وَعُنُقُهُ ملْتوٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: صَلِّ عَلَى عَبْدِي كَمَا صَلَّى عَلَى نَبِيِّي، فَيُصَلِّي عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رواه ابن شاهين في "الترغيب"، والديلمي في "مسند الفردوس". وابن بشكوال ولفظه: «ما من عبد يصلي عليَّ صلاة تعظيمًا لحقي، إلا خلق الله تعالى من ذلك القول ملكاً له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، ويقول له: صَلِّ عَلَى عَبْدِي كَمَا صَلَّى عَلَى نَبِيِّي، فَهُوَ يُصَلِّي عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وهو حديث منكر.

ويُروى عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مما لم أقف على سنده" «أن لله ملكًا له جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب، فإذا صلّى العبد عليَّ حبًّا

انغمس في الماء ثم ينتفض، فيخلق الله من كل قطرة تقطر منه ملكًا يستغفر لذلك المصلي عليَّ إلى يوم القيامة».

وذكر صاحب "شرف المصطفى": عن مقاتل بن سليمان قال: «إن لله تعالى ملكًا تحت العرش، على رأسه ذؤابة قد أحاطت بالعرش، ما من شعره على رأسه إلا مكتوب عليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإذا صلَّى العبد على النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تبق شعره منه إلا استغفرت لصاحبها، يعني قائلها». قال السخاوي: قلتُ: وفي صحتها نظر اهـ.

قوله (يا مولانا يا محمد يا ذا الخلق العظيم): كما قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]. الخُلُق -بضم الخاء المعجمة واللام وقد تسكّن.

قال في "النهاية": الخُلُقُ- بِضَمِّ اللَّامِ وسُكونها-: الدِّين والطَّبْع والسَّجِيَّة، وحقيقتُه أَنَّهُ لِصُورة الإنسانِ الْبَاطِنَةِ وَهِيَ نفْسُه وأوْصافُها ومَعانِيها المُخْتَصَّة بِمَنْزِلَةِ الخَلْق لِصُورته الظَّاهِرَةِ وأوْصافِها ومَعانيها، وَهِي أَوْصَافٌ حَسَنة وقَبيحة، والثَّواب والعِقاب لا يَتَعَلَّقان بِأَوْصَافِ الصُّورة الْظَّاهِرة.

وَلِهَذَا تكَرَّرَتِ الْأَحَادِيثُ فِي مَدْح حُسْن الخُلُق فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، كَقَوْلِهِ: «أكْثرُ مَا يُدْخِلُ الناسَ الجنةَ تَقْوَى اللَّهِ وحُسْنُ الخُلُقِ»، وَقَوْلِهِ: «أكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أحْسنُهم خُلُقًا»، وَقَوْلِهِ: «إِنَّ العَبْد ليُدْرِك بحُسْن خُلُقِهِ درجةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»، وَقَوْلِهِ: «بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ». وَأَحَادِيث مِنْ هَذَا النَّوْعِ كَثِيرَةٌ، وَجَاءَتْ فِي ذَمّ سُوء الْخُلُق أَحَادِيث كَثِيرَةٌ.

وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ: «كَانَ خُلُقُه القرآنَ»، أَيْ: كَانَ مُتمسّكاً بِآدَابِهِ وَأَوَامِرِهِ ونَواهيه وَمَا يَشْتَمل عَلَيْهِ مِنَ المَكارم والمَحاسن والأَلْطاف اهـ.

قال قتادة: قوله: ﴿لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هو ما كان يأمر به من أمر اللَّه، وينتهي عما نهى الله. وقال مجاهد: أَيْ: عَلَى دِينٍ عَظِيمٍ.

والدين مجموع الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة. قال السهروردي في "عوارف المعارف": وتقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ خُلُقُه القرآنَ» فيه رمز غامض وإيماء خفي إلى الأخلاق الربانية، فاحتشمت من الحضرة الإلهيَّة أن تقول: كان مُتخلّقًا بأخلاق الله، فعبَّرت المعنى بقولها: «كَانَ خُلُقُه القرآنَ» استحياءً من سبحات الجلال وسترًا للحال بلطف المقال، وهذا من وفور علمها وكمال أدبها اهـ.

قوله (وسلِّمْ عليه وعلى آله مثل ذلك) أَيْ: مثل ما تقدَّم.

قوله (واجمَعْ بيني وبينه): أَيْ: اجمع بيني وبينه اجتماعًا مثل جمعك بين الروح والنَّفْس. وهل هما شيءٌ واحدٌ أو مختلفان؟، خلافٌ. والظاهر أن المُراد بالنَّفْس هنا الذات.

وقوله (ظاهرًا): أَيْ: فيما يظهر ويبدو، (وباطنًا): أَيْ: فيما يبطن ويخفى.

(يقظةً ومنامًا): الصحيح أنه يمكن الاجتماع به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظةً، وممّن صرَّح بأن ذلك من كرامات الأولياء حُجَّة الإسلام الغزالي والبارزي والتاج السبكي والعفيف اليافعي في "روضة الرياحين"، وهؤلاء الشافعية، وصرَّح بوقوع ذلك جماعةٌ منهم الحافظ السيوطي، والشيخ

أكمل الدين البابوني الحنفي في "شرح المشارق"، واختاره القرطبي وابن أبي جمرة من المالكية.

وعليه تدل الأحاديث الصحيحة والآثار الكثيرة الصريحة من ذلك حديث البخاري: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ». قال الصفي ابن حجر في "فتاواه الحديثية": أَيْ: بعين رأسه. وقيل: بعين قلبه، واحتمال إرادة القيامة بعيد من لفظ اليقظة، على أنه لا فائدة في التقييد حينئذ، لأن أمته كلهم يرونه يوم القيامة من رآه في المنام ومن لم يره اهـ المراد منه.

وهو وما في معناه من الأحاديث حجة على المنكرين، وقد وقع ذلك لجملة من الأولياء والصالحين وجماعة من أكابر العارفين، لا وجه لإنكار ذلك إلا لعنادٍ والخروج عند دائرة الاعتدال والسداد، نسأل الله السلامة والعافية من موجبات الندامة.

قوله (واجعله يا رب روحًا لذاتي): هو طلب الكمال للامتزاج والاتحاد به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وفي قوله (يا عظيم): تأكيدٌ لحصول ذلك منه عزَّ وجلَّ، وهذه الصلاة العظيمة يحتاج البسط عليها إلى مجلدات.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: صَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَلائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَجَمِيعِ خَلْقِهِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ثَلاثًا):

عن علِيّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: «مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهؤلاءِ الكَلِمَاتِ في كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاث مَرَّاتٍ، ويومِ الجُمُعَةِ مَائَةَ مَرَّةٍ وهي: صَلواتُ اللَّه وملائكتِهِ وأنبيائِهِ ورُسُلِه، وجميعِ خَلْقِهِ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ، وعلى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَلَيه وَعَلَيْهِم السَّلامُ ورحمةُ الله وبركاتُهُ، فَقْدَ صَلَّى عليه وسَلَّم بِصَلاةِ جَمِيعِ الخَلائِقِ، وحُشِرَ يَوْمَ القيامَةِ في زُمْرَتِهِ، وَأَخَذَ بيده حَتَّى يدْخِلَهُ الجَنَّةَ». قال السخاوي في "القول البديع": أنه أخرجه أبو موسى المديني بسند باطل اهـ. قلتُ: ونُقِل عن السخاوي أنه قال: روي عن علِيّ موقوفًا ومرفوعًا اهـ.

ولا يخفاك عظم ثواب هذه الصلاة فإنها تضمَّنت طلب الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذا طلبها على آله الكرام، وذلك من الله جَلَّ جَلَالُهُ، ومن ملائكته الذين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦]، ومن أنبيائه ورسله الذين هم خواص أصفيائه من عباده، ثم عمَّم بطلب ذلك من جميع المخلوقات، ولا يبعد أن يكون المُراد كافة المخلوق ذي الأرواح وغيرهم، والطلب من كل منهم بحسب ما يقتضيه والله أعلم.

وقد ورد في فضل الملائكة وصفتهم وكثرتهم ودوام مراقبتهم وطاعتهم وعدم فترتهم ما هو أوضح من شمس الظهيرة، وكذلك ما ورد

في فضائل الأنبياء والمرسلين، وقد صحَّ أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، وأن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر كما في حديث أخرجه أحمد وابن حبان في "صحيحه" وعبد بن حميد والحكيم الترمذي في "نوادر الأصول"، وابن عساكر عن أبي ذر، وأخرجه أيضًا الحاكم في "صحيحه" من حديث أبي ذر أيضًا. وفي "مسند الطيالسي": وخمسة عشر. وابن أبي حاتم من حديث أبي أمامة مرفوعًا.

وأما الملائكة فالراجح اعتقاد كثرتهم البالغة، وأنهم عباد الله المكرمون، لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة، يسبّحون الليل والنهار لا يفترون، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، وأنهم خلقوا من نور، ولا يعلم عددهم وكثرتهم إلا الله، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] وبالله التوفيق اهـ.

ولو لم يكن إلا حديث عائشة مرفوعًا: «مَا فِي السَّمَاءِ مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ» الحديث، أخرجه محمد ناصر المروزي في كتاب الصلاة، وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه. وفي حديث آخر: «مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ» اهـ.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: اللَّهُـمَّ صَـلِّ وَسَـلِّمْ وَبَـارِكْ عَلَى سَـيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِقَدْرِ عَظَمَةِ ذَاتِكَ يَا أَحَدُ ثَلَاثًا):

هذه الصلاة الظاهر أنها للمُؤلِّف رضي اللَّه تعالى عنه ونفعنا به، ثم رأيت المُصنّف ذكر أنها لجده السيد عبد اللَّه الميرغني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجمع فيها بين الصلاة والسلام والتبريك رغبةً في مزيد الخير وطمعًا في كثرة الثواب من الكريم الوهَّاب.

وفيها سر عظيم، وقد حوت من التعظيم ما لا يقدر قدره أحد من المخلوقات، كيف والمطلوب منها مقدار بقدر عظمة ذات اللَّه، التي لا يعلمها إلا هو، ولا يقدر قدر ذلك غيره، إذ مقدار مبلغ عظمة ذات اللَّه لا يتصوَّر إدراكه لمخلوق ما مطلقًا، سبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته.

وقد جعلها المُصنِّف في كثير من مرتبات أوراده، فمنها ما هنا، ومنها أنه جعلها في "أساسه الصغير" ثلاثة عشر مرة، وهو يقرأ في كل يوم خمس مرات بعد كل فرض مرة، وجعلها أيضًا في "أساسه الكبير"، وهو في هو في كل يوم ثلاثة آلاف مرة، كلمة التوحيد ولفظ الجلالة ولفظ هو ولفظ حي قيُّوم، وجعلها فيه ثلاثًا وستين مرَّة، ويأمر باستعمالها خمسًا وستين وثلاثًا وستين، في كل يوم وعند النوم، ويأمر باستعمالها مع كلمة التوحيد، وباستعمالها بانفرادها، وباستعمالها بعدد معين، وبعدد غير معلوم، ويأمر بالإكثار منها.

وقد حصل لكثير ممن استعملها واغتنى بها كرامات عظيمة وأسرار جسيمة فخيمة، من أجلها وأعظمها أن بعضهم حصل له ببركة ذلك رؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاجتماع به والتمل بمشافهته، فما أعظم هذه النعمة وما أكبرها، نسأل الله تعالى الفوز بها وبكل ما يقربنا إليه زلفى، إنه ولي التوفيق.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى الرَّسُولِ الأَمِينِ الَّذِي قَالَ فِي حَقِّهِ المَلِكُ المُبِينُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ عَدَدَ مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ آمِينَ ثَلَاثًا):

هذه الصلاة للمُؤلِّف وسببها رؤية رآها المُؤلِّف وصنَّفها في نفس الرؤية، وقد رأيتُ ذلك بخطِّهِ إلا أنه لم يحضر في حال الكتابة كيفية الرؤية، ولم أتذكر شيئًا من ذلك.

والرسول: إنسان ذكر حر بالغ، سالم من منفرٍ شرعًا أو طبعًا، أُوحِي إليه بشرعٍ وأُمِر بتبليغه، فإن لم يؤمر بالتبليغ فنبي فقط، والأول رسول ونبي، لأن بينهما عمومًا وخصوصًا مطلقًا، فكل رسول نبي ولا عكس، وقيل: بترادفهما.

والأمين: فعيل بمعنى مفعول أَيْ: المأمون من الأمانة ضد ضد الخيانة، يوصف بها المُبالغ في اتّصافه بالأمانة. وفي "القاموس": الأمين القوي المؤتمن وصفة لله عَزَّ وجَلَّ اهـ.

وقال غيره: الأمين المعصوم من الخيانة ظاهرًا وباطنًا، وهو في النبي الصادق قبل النبوة وبعدها، وقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسمَّى بالأمين قبل البعثة اهـ.

وفي "إكمال الأعلام" لابن مالك: الأمين الموضع الذي لا خوف فيه والرجل المؤتمن، والمؤتمن أيضًا اهـ.

وكان يدعى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك قبل النبوة، لما جُمِع فيه من كمال المروءة، وحازه في غاية الصدق والفتوة، وكان مشهورًا بذلك حتى كان توضع عنده الودائع والأمانات، ويعتمدون عليه في جميع المهمات والمُلمات.

وروى ابن أبي شيبة في "مصنّفه" بسنده عن أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ وَأَمِينٌ فِي الْأَرْضِ». قال في "نسيم الرياض": يعني أنّه مشهور بذلك بين الملأ الأعلى وبين أهل الأرض، لأنه لا يتهم قط بكذب وجور في أحكامه. قال: وأعاد أمينًا أَيْ في قوله: «إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ وَأَمِينٌ فِي الْأَرْضِ» ولم يقل: لأمين في السماء والأرض واحدة فقط، لاختلف الأمانتين. قال: وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه، مؤكّدا بالقسم اهـ.

قال القاضي عياض في "الشفا": وَذُكِرَ أَنَّهُ وُجِدَ عَلَى الْحِجَارَةِ الْقَدِيمَةِ مَكْتُوبٌ: مُحَمَّدٌ تَقِيٌّ مُصْلِحٌ، وَسَيِّدٌ أَمِينٌ اهـ.

وفي "تخريج الكشّاف" للحافظ ابن حجر ما نصه: وفي "الطبقات" من حديث يعلى بن أمية: بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ

سَنَةً وَلَيْسَ لَهُ بِمَكَّةَ اسْمٌ إِلَّا الْأَمِينُ. وَرَوَاهُ أَيْضًا من حَدِيث عَلّي بن أبي طَالب.

وقد بسطتُ الكلام على ذلك في "شرحي على مولد المُصنِّف".

قوله (الذي قال في حقه) إلخ: أَيْ: قال جَلَّ وعَلَا مادحًا له مثنًا عليه في كتابه العزيز: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

قال سيدي العارف بالله تعالى المرسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خُلِقوا من الرحمة ونبيّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عين الرحمة، فهو عليه الصلاة والسلام المرحوم به العالم بنصِّ هذه الآية، وإن كل خير وبركة شاعت وظهرت في الوجود أو تظهر من أول الإيجاد إلى آخره إنما ذلك ببركته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اهـ.

وأعلم أنه عليه الصلاة والسلام هو عين الرحمة، كما وصفه الله عَزَّ وجَلَّ بذلك في كتابه المبين، ولعله المُراد بقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف: ١٥٦]، فإنه الرحمة العامة الشاملة لكل موجود، لأن الله تعالى خلق كل شيء من نوره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما وردت عنه عليه الصلاة والسلام قال: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي، وَخلَقَ مِنْ نُورِي كُلّ شَيْء».

فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُطلق الرحمة المنتفع بها في الدار الدنيا العامة للمؤمن وغيره، فإن من رحمته عدم تعجيل العقوبة عليهم في الدنيا.

وأما قوله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فهو إشارة إلى رحمة خاصّة، ينفردون بها.

قوله (عدد من أُرسِل إليهم) إلخ: أَيْ مقدار مَن أُرسِل إليهم، وهم كافة المخلوقات، فإنه عليه الصلاة والسلام مُرسلٌ إلى جميع المخلوقات. ففي الحديث الصحيح: «وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً».

وهذا يعني كونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبعوثًا إلى كل مخلوقٍ من الحيوانات والنباتات والجمادات، فإن لكل مخلوق دلَّت ظواهر الكتاب والسُّنَّة على أنه حيٌّ عالمٌ قادرٌ مريدٌ ناطقٌ، وإن تفاوتت مراتب حياتها وإدراكاتها وبغية كمالاتها.

فصحَّ أن يكلّف كل مخلوق تكليفًا بحسب عالمه وطوره ومرتبة كمالاته، ويشهد إلى أن الكل ناطق قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[الإسراء: ٤٤]، يعني بلسان المقال كما قاله غير واحد من أرباب الأحوال، وغيرهم من أهل الكمال اهـ.

وفي الخبر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مرفوعًا: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»، أخرجه الحاكم، وأخرجه سعيد والحكيم عن أبي مساعد مرسلاً، وأخرجه أيضًا من حديث أبي هريرة والبيهقي والدارمي، وأخرج البخاري في "تاريخه" عن أبي هريرة مرفوعًا: «إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ عَذَابًا» اهـ. أفادهما المُؤلّف في "شرحه". والحديث الأول أخرجه أيضًا البيهقي في "الدلائل" عن أبي هريرة مرفوعًا. وقد رُوِي معناه من طُرقٍ.

وفي "مُسلم": عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً».

وَأَخْرَجَ الطَّيَالِسِيُّ وَأَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي "الدَّلَائِلِ"، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ مرفوعًا: «أَنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَهُدًى لِلْمُتَّقِينَ». وقدْ رُوِيَ عن أَحْمَد وَالطَّبَرَانِيّ في حديث سَلْمَان مرفوعًا وفيه: «مَنْ سَبَبْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ، فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُونَ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» اهـ.

وقوله (برحمتك يا أرحم الراحمين) أخرج الحاكم في "المستدرك على الصحيحين" وصحَّحهُ من حديث أبي أُمامة: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِمَنْ يَقُولُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، فَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ الْمَلَكُ: إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ». زاد أحمد في "مسنده": «فَسَلْ»، كذا عزاه الإمام الجزري.

ففي "عدة الحصن الحصين"، وفي "سلاح المؤمن" ما لفظه: وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِمَنْ يَقُولُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، فَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ لَهُ الْمَلَكُ: إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَسَلْ».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَلْ فَقَدْ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْكَ» اهـ. ثم أفاده أنه رواهما الحاكم في "المستدرك".

قال في "تحفة الذاكرين": قَوْله (قد أقبل عَلَيْك) أَيْ: بِالرَّحْمَةِ والرأفة وَإِجَابَة مَا دَعَوْت بِهِ، قيل: وَالْمُرَاد أَن كل إِنْسَان يَقُول ذَلِك يُوكل بِهِ ملك مَخْصُوص، وَقيل: أَن الْملك الْمُوكل بِمن يَقُول ذَلِك هُوَ ملك وَاحِد،

وَالْأول أظهر لِكَثْرَة الْقَائِلين بِهَذِهِ الْمقَالة من خلق الله تعالى وتفرَّقهم فِي الأقطار اهـ.

وقوله (يا رب العالمين): فيه إيذانٌ بالاستجابة لتضمّنه الاعتراف بأنه ممن هو في حجر تربيته مقرَّبًا فأفضته جوده وإحسانه عليه.

وقوله (آمين): أتى به لما ورد أنه بمنزلة الطابع على الدعاء والله أعلم.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ بِعَدَدِ كُلِّ ذَرَّةٍ أَلْفَ أَلْفِ كَرَّةٍ (ثَلَاثًا):

هذه الصلاة لجدّ المُصنِّف أبي والده الغوث الشهير والقطب الكبير الحبر السني السيد عبد الله الميرغني، فإن المُصنِّف والده السيد محمد أبو بكر ابن عبد الله المذكور، كان من كُمَّل العارفين، أخبر المُصنِّف أنه تولَّى الغوثية، وكراماته ومناقبه بلغت من الكثرة والشهرة ما لا مزيد عليه، جمعَ بين علمَيْ الشريعة والحقيقة، وله من التآليف والتصانيف فيهما ما تنبيء عن بلوغه الغاية القصوى والدرجة العليا.

وجمعَ بين الصلاة والسلام والبركة رغبةً في زيادة الخير، وجمعَ في الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلاة على آله فرارًا من محذور النهي على الصلاة البتراء، وتقدَّم أنها الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط دون إدراج آله معه.

والذرَّة بالذال المعجمة: واحدة الذر وهي النملة الصغيرة الحمراء، أصغر ما يكون من النمل. وقال بعض أهل اللغة: أن الذر هو أن يضرب

الرجل بيده على الأرض فما علق من التراب فهو الذرَّة. وقيل: الذرَّة الجزء الذي يشاهد من الهباء من شعاع الشمس في نحو كوة.

وفي "شرح المؤلِّف" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الذرَّة هي التي تُرى في الهواء كالهباء اهـ. وفي "كشف الأسرار" للنيسابوري: سبعون ذرة تزن جناح بعوضة، وسبعون جناح بعوضة تزن حبة اهـ.

وقد نظم ذلك الحافظ السيوطي في "نظم الأجوبة المائة مسألة" فقال:

وَذَرَّةٍ إِنْ تَصِرْ سَبْعِينَ عِدَّتُهَا   لَهَا جَنَاحُ بَعُوضٍ قَدْرَ مَوْزُونِ

وقد ورد ذكر لفظ الذرَّة في غير ما آية من القرآن، وكذلك جاء هذا جاء هذا اللفظ في كثيرٍ من صحيح الأخبار والآثار: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[النساء: ٤٠]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[الزلزلة: ٧-٨]، ((يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ))، أَوْ ((مِنْ خَيْرٍ)).

وقوله (ألف ألف كَرَّة): أَيْ مقدار التضعيف أن يكون بقدر كل جزء مثل الذرَّة من الكون ألف ألف كرة، ولفظ ألف الأولى بفتح الفاء والثانية بكسر الفا. والتاء في لفظ الكَرَّة زيدت للمبالغة، إذ الأصل الكر بدون، ويمكن أن تكون زيادتها زيادتها لأجل التناسب بينه وبين ذرَّة، ولا مانع من إرادتهما معًا، إذ لا تزاحم ولا تنافي، والكل ممكن.

والكَرَّ -بفتح الكاف الكاف وتشديد الراء المهملة- : مائة لَكّ -باللام بعدها كاف- واللَّكُّ: مائة ألف، والألف معروف وهو عشرة من المائة كما

هو معلوم ظاهر، ولفظة اللّكّ والكَرّ الظاهر أنها بهذا المعنى اصطلاحية، ولا محذور في ذلك، إذ لا مشاحَّة في الاصطلاح.

قال المُؤلّف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فانظُرْ عظيم هذه الصلاة، وما أجلَّ أعدادها وإمدادها اهـ.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ثَلَاثًا):

هذا وصف المُصنِّف التامَّات بلفظ كلها، والذي وقفتُ عليه من الروايات فيما أطلعتُ عليه من الكتب كـ"سلاح المؤمن" و"عدة الحصن الحصين" و"حاشيته تحفة الذاكرين" و"الترغيب والترهيب" للمنذري وكتاب "البركة" للحبيشي، والمُعتمدات من نسخ "البهجة" للعامري، وبعض من غير ذلك، ليس في شيء منها لفظ كلها، وسأذكر من ذلك بعضًا إن شاء اللَّه تعالى.

ولعل المُصنِّف اطّلع في ذلك على روايةٍ، إذ الزيادة من الثقة مقبولة على أنه لو لم تصحّ في ذلك رواية فلا يلزم من ذلك محذور ولا الدخول في مكروه أو محظور.

ثم رأيتُ المُؤلِّف أورد في "شرحه" من حديث النسائي عن أبي هريرة مرفوعًا وفيه زيادة لفظ كلها اهـ. ورواه أيضًا بالزيادة المذكورة الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول".

وأخرج الطبراني في "الأوسط" والترمذي من حديث أبي هريرة، ورواه الطبراني من ثلاثة طرق، قال الطبراني: رِوَايَتَانِ مِنْهَا رجالهما ثِقَات. وَفِي بَعضهم خلاف.

وَلَفظ التِّرْمِذِيّ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي ثَلَاث مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ»، وَقَالَ: هَذَا حَدِيث حسن.

قال في "تحفة الذاكرين": وأصل الحَدِيث فِي "صَحِيح مُسلم" وَأهل السّنَن بِلَفْظ: «أَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُول اللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ عَقْرَبَةٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، فَقَالَ: أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ». وَظَاهره أنه يَقُولهَا مرّة وَاحِدَة اهـ.

وفي "الترغيب والترهيب" بعد ذكر هذه الرواية من حديث أبي هريرة مع لفظه: رَوَاهُ مَالك وَمُسلم وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ وَابْن مَاجَه وَالتِّرْمِذِيّ وَحسَّنه، وَلَفظه: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي ثَلَاث مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ». قَالَ سُهَيْلٌ: فَكَانَ أَهْلُنَا تَعَلَّمُوهَا فَكَانُوا يَقُولُونَهَا كُلَّ لَيْلَةٍ فَلُدِغَتْ جَارِيَةٌ مِنْهُمْ فَلَمْ تَجِدْ لَهَا وَجَعًا. رَوَاهُ ابْن حبَان فِي "صَحِيحه" بِنَحْوِ التِّرْمِذِيّ اهـ.

وفي كتاب "البركة" مرفوعًا: «إن من نزل منزلاً ثم قال ذلك لم يضره شيء حتى يرتحل عن منزله»، وعزاه إلى مُسلم في "صحيحه"، وقال وفي "كتاب ابن السني" يقول ذلك ثلاثًا اهـ.

وروي: أن من قال ذلك صباحًا حُفِظ إلى المساء، وبالعكس. وأنه يوكل به سبعون ألف ملك. وأنه إن مات مات شهيدًا. قال الهروي كلمات اللَّه هنا: القرآن اهـ. والتامّات: من التمام بمعنى الكمال ضد النقص، بمعنى الخاليات عن النقص والعيب أو النافعات الكافيات المُتكفّلات للمتعوّذ بهن من جميع ما يتعوّذ منه من غير تقييد، واللَّه أعلم.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاء وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثًا):

في "سلاح المؤمن" ما لفظه: عَنْ أَبَانَ عَنْ عُثْمَانَ بن عَفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ».

وَكَانَ أَبَانُ قَدْ أَصَابَهُ طَرَفُ فَالِجٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: مَا تَنْظُرُ؟، أَمَا إِنَّ الحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتُكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيُمْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ قَدَرَهُ».

رَوَاهُ الْأَرْبَعَة وَالْحَاكِم فِي "الْمُسْتَدْرك"، وَابْن حبَان فِي "صَحِيحه"، وَقَالَ التِّرْمِذِيّ وَاللَّفْظ لَهُ: حسن غَرِيب صَحِيح، وَقَالَ الْحَاكِم: صَحِيح الْإِسْنَاد اهـ.

ونحوه في "الترغيب والترهيب"، ونحو ذلك في "تحفة الذاكرين". قال في "تحفة الذاكرين": وَفِي الحَدِيث دَلِيل على أَن هَذِه الْكَلِمَات تدفع عَن

قَائِلهَا كل ضرّ كَائِنًا مَا كَانَ، وَأَنه لَا يصاب بِشَيْء فِي لَيْلِهِ وَلَا فِي نَهَاره، إذا قالها في الليل والنهار اهـ.

وفي "أذكار النووي": أن من قال ثلاثًا في الصباح والمساء: «بِسْمِ اللَّهِ الَّذي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم، لَمْ يَضُرَّه شَيْء، وَلَم يصِبْهُ فجأة بلاء» اهـ. وقال في "الأذكار" أيضًا: أن الترمذي قال: هذا حديث حسن صحيح، وأن زيادة قوله: «فجأة بلاء» من زيادة أبي داود فقط اهـ.

والضُّرُّ: ضد النفع وهو معروف: وهو التعدي بالإيذاء. وفي "شرح عقيدة حجة الإسلام الغزالي" للمُحقّق العارف ابن زرُّوق: الضُّرُّ حصول المؤلمات حالية كانت أو مآلية اهـ.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: بِسْمِ اللَّهِ عَلَى دِينِي وَنَفْسِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَمَالِي ثَلَاثًا):

أخرج المُصنِّف في "شرحه": قال ما لفظه: أخرج الجَدُّ في "الجواذب": عن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رجُلاً شَكَى إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَخَافُ فِي نَفْسِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَمَالِي، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ كلمَات إِذَا أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ: بِسْمِ اللَّهِ عَلَى دِينِي وَنَفْسِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَمَالِي، فَإِنَّهُ لَا يَذْهَبُ لَكَ شَيْءٌ، فَعَادَ الرَّجُلُ وَقَدْ ذَهَبَتْ عَنْهُ الْآفَاتُ» اهـ.

اعلم أنه ذُكِر في الحديث مع أورده المُصنّف بعينه، وإن كان السائل المشتكي لم يذكر الدين ولم يتعرَّض له، إلا أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قد ذكره وقدَّمه أيضًا، إيذانًا بأنه مما ينبغي للعبد الاهتمام بشأنه، وأنه أعظم الأمور المطلوبة، إذ بسلامة الدين حسن العاقبة.

والدِّين -بكسر الدال المهملة- : يطلق لمعانٍ، المُراد منها هنا ما يُدان اللَّه تعالى به أَيْ يُطاع به، وفي القرآن العزيز: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران: ١٩]، ويُسمَّى شريعة وملة.

والدِّينُ: وضعٌ إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى ما هو خيرٌ لهم بالذات المعنى، يضاف إلى اللَّه عَزَّ وجَلَّ فيقال: دين اللَّه لصدوره عنه، ويضاف إلى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقال دين النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لظهوره عنه، ويُضاف إلى الأُمَّة أيضًا لتديّنهم به وانقيادهم له. كذا أفاد معناه السعد في "شرح تلخيص الجامع".

والنَّفْس بمعنى" ذات الشيء وعينه وماهيته وحقيقته، ويجوز إطلاق لفظ النَّفْس على اللَّه تعالى على الأصحّ، ولو لغير المشاكلة، والراجح النَّفْس غير الروح.

والولد على المولود مُطلقًا ذكر كان أو أُنثى. وقيل: مختص بالذكر، والراجح عدم اختصاصه.

وأهل الرجل بمعنى: عشيرته وأقاربه، ويقال: أهل الرجل زوجته وهو مشهورٌ في العُرف وفي الفقه.

والمال: مأخوذٌ من الميل، لأن النفوس تميل إليه. وفي الحديث عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: : «نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ». وفي

الحديث أيضًا: «الحَسَبُ المَالُ، وَالكَرَمُ التَّقْوَى»، أخرجه أحمد في "المسند"، والترمذي وابن ماجه والحاكم.

وقال الأعصمي وتبعه الراغب: سُمِّي المال مالًا لأنه يميل من هذا إلى ذاك. وعلى هذا قول من قال: المال قحبة، يومًا تكون في بيت عطارٍ، ويومًا في دار بيطارٍ. وقد خطأهما كثير والأصح أنه ليست بخطأ، وأنه من الاشتقاق الأكبر، وقد فعلوا مثل ذلك كثيرًا، كما في لفظ الصلاة وغيرها. كما أفاده في "قيد الأوائد" نقلاً عن السمين.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ اللَّهِ سَبْعًا وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً):

اعلَمْ أن هذا التهليل بهذه الصيغة المشهورة أنه لشيخ المُصنّف العارف النفيس الغوث السيد أحمد بن إدريس نفعنا الله بهما أجمعين ورزقنا بجاههما السلامة في الدين.

ثم هي كلمة التوحيد التي هي مدار الإسلام، وعليها مدار جميع الأحكام، وبها يعصم الإنسان نفسه وماله إلا بحق الإسلام، وحسابه على الملك العلَّام، «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». رواه الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة مرفوعًا، وهو حديث صحيح. وقال الحافظ السيوطي في "الجامع الصغير": وهو متواتر. قال العلَّامة المناوي في "شرحه" لأنه رواه خمسة عشر صحابيًا اهـ.

وهي كلمة الإخلاص إذ بها يتخلَّص قائلها من سخط الله تعالى عليه المستوجب دخول النار.

وهي كلمة التقوى إذ هي تفي قائلها غضب الله المقتضي الخلود في النار. وهي أفضل الأعمال والأذكار.

وقد ورد في فضلها من الأخبار والآثار ما لا يحصى كثرة، ولا يحيط به حد، ولا يدخل تحت الحصر والعد، من ذلك ما رُوِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِك يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَّا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْك، لَمَا رَأَيْتُ مِنَ حِرْصِك عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ» رواه البخاري.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ عَمَلٍ». زَادَ جُنَادَةَ: «مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ» رواه البخاري واللفظ له ومسلم.

وفي روايةٍ لمسلم والترمذي: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ».

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاثًا. قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟، قَالَ: إِذَنْ يَتَّكِلُوا. وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا». رَوَاهُ الْبُخَارِيّ وَمُسلم. قوله: تأثمًا أَيْ: تحرُّجًا من الْإِثْم، وخوفًا مِنْهُ أَن يلْحقهُ إِن كتمه.

ورُوِي عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قِيلَ: وَمَا إِخْلَاصُهَا؟، قَالَ: أَنْ تَحْجُزَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تعالى» رواه الطبراني في "الأوسط" و"الكبير" إلا أنه قال: «أَنْ تَحْجِزَهُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ».

وَعَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْكَدِيدِ -أَوْ بِالْقُدَيْدِ- ، فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَقَالَ خيرًا، وَقَالَ: أَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ لَا يَمُوتُ عَبْدٌ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سَلَكَ فِي الْجَنَّةِ» رَوَاهُ أَحْمد بِإِسْنَاد لَا بَأْس بِهِ. قال الحافظ المنذري: وَهُوَ قِطْعَة من حَدِيث اهـ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قَالَ عَبْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَطُّ مُخْلِصًا، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى يُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَقَالَ: حَدِيث حسن غَرِيب.

وَعنهُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ، نَفعَتْهُ يَوْمًا مِنْ دَهْرِهِ يُصِيبُهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ»، رَوَاهُ الْبَزَّار وَالطَّبَرَانِيّ وَرُوَاته رُوَاة الصَّحِيح.

وَعَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ، قَالَ: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ، قَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ»، رَوَاهُ النَّسَائِيّ وَابْن حبَان فِي "صَحِيحه"، وَالْحَاكِم، كلهم من طَرِيق دراج عَن أبي الْهَيْثَم عَنهُ، وَقَالَ الْحَاكِم: صَحِيح الْإِسْنَاد.

وَعَنْ يَعْلَى بْنُ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي شَدَّاد بْن أَوْس، وَعُبَادَة بْن الصَّامِت حَاضِرٌ فَصَدَّقَهُ قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ؟ -يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ- قُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللّهِ، فَأَمَرَ بِإِغْلَاقِ الْبَابِ ، وَقَالَ: ارْفَعُوا أَيْدِيكُمْ وَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ، فَرَفَعْنَا أَيْدِينَا وقُلْنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ، سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ، وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، ثُمَّ قَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ اللّهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ»، رَوَاهُ أَحْمد بِإِسْنَاد حسن وَالطَّبَرَانِيّ وَغيرهمَا.

وَعَن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جَدِّدُوا إِيمَانكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ كَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟، قَالَ:

أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، رَوَاهُ أَحْمد وَالطَّبَرَانِيّ، وَإِسْنَاد أَحْمد حسنٌ.

وَعَن عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾[الأنعام: ١٦٠] قَالَ: من جَاءَ بِلَا إِلَه إِلَّا اللَّه، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ قَالَ: من جَاءَ بالشرك»، رَوَاهُ الْحَاكِم مَوْقُوفًا، وَقَالَ: صَحِيح على شَرطهمَا.

وعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ فَيَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» رَوَاهُ الْحَاكِم، وَقَالَ: صَحِيح على شَرطهمَا ورويناه بِنَحْوِهِ.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثِرُوا مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَبلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا»، رواه أبو يعلى بإسناد جيد قوي.

وَرُوِيَ عَن معَاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَفَاتِيح الْجنَّة شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا اللَّه»، رَوَاهُ أَحْمد وَالْبَزَّار.

وَرُوِيَ عَن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْد قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا طَمَسَتْ مَا فِي الصَّحِيفَةِ مِنَ السَّيِّئَاتِ، حَتَّى تَسْكُنَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ»، رَوَاهُ أَبُو يعلى.

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَك وتَعَالَى عَمُودًا مِنْ نُورٍ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

اهْتَزَّ ذَلِكَ الْعَمُودُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: اسْكُنْ، فَيَقُولُ: كَيْفَ أَسْكُنُ وَلَمْ تَغْفِرْ لِقَائِلِهَا؟، فَيَقُولُ: إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، فَيَسْكُنُ عِنْدَ ذَلِكَ»، رَوَاهُ الْبَزَّار وَهُوَ غَرِيب.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ، وَلَا نَشْرِهِمْ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهُمْ يَنْفُضُونَ التُّرَابَ عَنْ رُءُوسِهِمْ، وَيَقُولُونَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْشَةٌ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَلَا عِنْدَ الْقَبْرِ»، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ وَالْبَيْهَقِيّ، كِلَاهُمَا من رِوَايَة يحيى بن عبد الحميد الْحماني وَفِي مَتنه نكَارَة.

وَعَن عبد اللَّه بن عمر أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِوَصِيَّةِ نُوحٍ ابْنَهُ؟، قَالُوا: بَلَى. قَالَ: أَوْصَى ابْنَهُ فَقَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ أُوصِيكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، أُوصِيكَ بِقَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّهَا لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ كَانَتْ حَلْقَةً لَقَصَمَتْهُنَّ حَتَّى تَخْلُصَ إِلَى اللَّهِ». فَذكر الحَدِيث رَوَاهُ الْبَزَّار. قال الحافظ المنذري: وَرُوَاته مُحْتَج بهم فِي الصَّحِيح إِلَّا ابْن إِسْحَاق، وَهُوَ فِي النَّسَائِيّ عَن صَالح بن سعيد رَفعه إِلَى سُلَيْمَان بن يسَار إِلَى رجل من الْأَنْصَار لم يسمه.

وَرَوَاهُ الْحَاكِم عَن عبد اللَّه، وَقَالَ: صَحِيح الْإِسْنَاد، وَلَفظه: قَالَ «وَآمُرُكُمَا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا، لَوْ وُضِعَتْ

فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى كَانَتْ أَرْجَحَ مِنْهُمَا، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا كَانَتْ حَلْقَةً، فَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِمَا لَقَصَمَتْهُمَا، وَآمُرُكُمَا بِسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ».

وروى التِّرمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «التَّسْبِيحُ نِصْفُ المِيزَانِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ يَمْلَؤُهُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اللَّهِ حِجَابٌ حَتَّى تَخْلُصَ إِلَيْهِ». وَقَالَ التِّرمِذِيّ: حَدِيث غَرِيب.

وَعَن عبد اللَّه بن عَمْرو بن العَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟، أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟!، فَقَالَ: فَإِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى شَيْءٌ». رَوَاهُ التِّرمِذِيّ وَقَالَ: حَدِيث حسن غَرِيب، وَابْن مَاجَه، وَابْن حبَان فِي "صَحِيحه"، وَالْحَاكِم، وَالْبَيْهَقِيّ، وَقَالَ الْحَاكِم: صَحِيح على شَرط مُسلم اهـ.

وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم: عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ)). وفي روايةٍ: ((أَفْضَلُ الحَسَنَاتِ)). وفي أُخْرَى: ((مَا مِنَ الذِّكْرِ أَفْضَلُ مِنْ "لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ)). وفي غيره: ((أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)).

وأخرج الترمذي وقال: غريب، عَنْ عَمْرِو بْنِ العَاص: ((خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)).

وروى الديلمي في "الفردوس" عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أَفْضَلُ العِلْمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الِاسْتِغْفَارُ)).

وروى أحمد والشيخان عن أبي ذر أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنْ زَنَى أَوْ سَرَقَ، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ)).

وروى أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً)).

وروى الديلمي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إذا قال العَبْدُ المسلمُ: لا إله إلا اللَّه، خَرقتِ السمواتِ حتى

تقفَ بينَ يَدي اللَّه فيقول: اسكني، فتقول: كيف اسْكنُ، ولـمْ تغفرْ لقائلي؟، فيقولُ: ما أجريتِك على لسانه إلا وقد غفرتُ لهُ».

وروى الخطيب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا قَالَ عَبْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، إِلَّا صَعِدَتْ لَا يَرُدُّهَا حِجَابٌ، فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَى اللَّهِ نَظَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قَائِلِهَا، وَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَلَّا يَنْظُرَ إِلَى مُوَحِّدٍ إِلَّا رَحِمَهُ».

وروى الحكيم عن زيد بن أرقم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَهِدَ إِلَيَّ أَلَّا يَأْتِيَنِي أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَخْلِطُ بِهَا شَيْئًا، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الَّذِي يُخْلَطُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟، قَالَ: حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا وَجَمْعًا لَهَا وَمَنْعًا لَهَا، يَقُولُونَ قَوْلَ الْأَنْبِيَاءِ وَيَعْمَلُونَ أَعْمَالَ الْجَبَابِرَةِ».

وروى أبو نعيم عَنْ عِيَاضٍ الْأَشْعَرِيّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةٌ كَرِيمَةٌ عَلَى اللَّهِ، وَلَهَا عِنْدَ اللَّهِ مَكَانَيْنِ: جَمَعَتْ وَسَلَبَتْ، مَنْ قَالَهَا صَادِقًا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهَا كَاذِبًا حَقَنَتْ دَمَهُ، وَأَحْرَزَتْ مَالَهُ، وَلَقِيَ اللَّهَ غَدًا يحاسبَهُ».

وروى ابن النجار عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا إله إلا اللَّه كلمةٌ عظيمةٌ كريمةٌ، من قالها مخلصًا استوجب الجنة، ومن قالها كاذبًا عصمت ماله ودمه، وكان مصيره إلى النار».

وروى الحكيم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَمْنَعُ الْعِبَادَ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى، مَا لَمْ يُؤْثِرُوا

صَفْقَةَ دُنْيَاهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، فَإِذَا آثَرُوا صَفْقَةَ دُنْيَاهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَقَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رُدَّتْ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَبْتُمْ».

وروى الديلمي في "الفردوس": أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَمَنُ الْجَنَّةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وَثَمَنُ النِّعْمَةِ الحمدُ لله».

وروى الشيخان عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى».

وروى مسلم وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

وروى أبو يعلى في "مسنده" بإسناد ضعيف عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عَلَيْكُمْ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالِاسْتِغْفَارِ، فَأَكْثِرُوا مِنْهُمَا، فَإِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ، وَأَهْلَكُونِي بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالِاسْتِغْفَارِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ أَهْلَكْتُهُمْ بِالْأَهْوَاءِ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ».

وأخرج الطبراني في "الكبير" بإسناد حسن أو ضعيف، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَلِمَتَانِ إِحْدَاهُمَا لَيْسَ لَهَا نَاهِيَةٌ دُونَ الْعَرْشِ، وَالْأُخْرَى تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ».

وروى الديلمي عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلا اللَّه نِصْفُ الْمِيزَانِ، وَالْحَمْدُ لله تَمْلَأُهُ».

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب "المحتضر"، والبيهقي في "الشعب"، عن أبي هريرة: «حَضَرَ مَلَكُ الْمَوْتِ رَجُلًا يَمُوتُ، فَشَقَّ أَعْضَاءَهُ فَلَمْ يَجِدْهُ على خَيْرٍ قَط، ثُمَّ شَقَّ قَلْبَهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ خَيْرًا قط، فَفَكَّ لَحْيَيْهِ فَوَجَدَ طَرَفَ لِسَانِهِ لَاصِقًا بِحَنَكِهِ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَغُفِرَ لَهُ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ».

وروى ابن عساكر عن علِّي كرَّم الله وجهه أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حَدَّثَنِي جِبْرِيلُ قالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي، فَمَنْ دَخَلَهُ أَمِنَ عَذَابِي».

وفي الخبر: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَدْخُلُنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ، إِلَّا مَنْ أَبَى وشَرَدَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى شِرَادَ الْبَعِيرِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ الَّذِي يَأْبَى؟، قَالَ: مَنْ لَمْ يَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَينَكُمْ وَبيْنَهَا، فإنها كلمة التوحيد، وهي كلمة الإخلاص، وهي كلمة التقوى، وهي كلمة طيبة، وهي دعوة الحق، وهي العروة الوثقى، وهي ثمن الجنة».

قال الإمام الرازي: لا إله إلا الله مُحمَّد رسول الله أربعة وعشرون حرفًا، وساعات الليل والنهار كذلك، فكأنه قيل: كل ذنب أذنبته في هذه الساعات الفاضلات، فهو مغفور بهذه الحروف.

ونقل المؤلف في "شرحه" عن جدِّهِ السيد عبد الله الميرغني أنه قال: وَأَنْفَاسُ الشَّخْصِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَرْبَعَةً وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَفَسٍ، فَإِذَا قَالَهَا مَرَّة عَادَتْ بَرَكَةُ كُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا عَلَى أَلْف نَفَسٍ، فَصَارَتْ كُلُّهَا مُبَارَكَةً،

وَكَانَ التَّوْحِيدُ مُتَجَدِدًا فِي كُلِّ نَفَسٍ مِنْهَا، وَهَكَذَا تَسْتَغْرِقُ العُمْر، إِذًا لَا يَخْلُو فَرْدٌ مِنْهَا عَادَةً، مِنْ مَرَّة فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ اهـ.

فائدة: ذكر الشبرخيتي في "شرح الأربعين النووية" ما أفاده: اعلم أنه لا يشترط في صحة الإيمان التلفُّظ بالشهادتين، ولا النفي والإثبات، بل يكفي أن يقول: الله وحده ومحمد رسول الله، وانظر هل لا بد في كفاية ذلك من الإتيان بلفظ الله وبلفظ محمد، فلو قال: الرحمن واحد وأحمد رسوله، أو قال: لا إله إلا الرحمن وأحمد رسوله، هل يكفي أم لا؟، وظاهر كلام الآية في "شرح جمع الجوامع" ... الاكتفاء بذلك.

وظاهر كلام الجمهور أنه لا يشترط الترتيب، وذهب القاضي أبو الطيب من الشافعية، وابن الطيب الشهير بالباقلاني من المالكية، إلى اشتراطه. قال الكمال ابن أبي شريف: ولم يتابعا مع أنه متجه عند التأمُّل، وظاهر ما في "الهداية" للأخفائي المالكي أنه يشترط الفور اهـ.

واعلم أنه اختُلِف أيما أفضل: الحمد أم التهليل؟، ذهب إلى الأول طائفة، لأنه جعل في الحديث في مقابلة التهليل كتابة عشرين حسنة ومحو عشرين سيئة، وفي مقابلة الحمد ثلاثين من كل منهما، وذهب آخر إلى تفضيل التهليل، ويشهد له خبر: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» الحديث.

(ثُمَّ تَضَعُ يَدَكَ عَلَى رَأْسِكَ وَتَقُولُ: وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثَلَاثًا. وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

أخرج الترمذي من حديث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الحَشْرِ، وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ المَنْزِلَةِ»، قال الترمذي بعد إخراجه: حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

وأخرجه أيضًا الدارمي وابن السني، قال النووي: بإسناد ضعيف اهـ. كذا في "تحفة الذاكرين"، وذكر نحوه المنذري في "الترغيب والترهيب". وفي "فتح القدير": أنه أخرجه أيضًا البيهقي في "الشعب"، والطبراني وابن الضُّرَيْسِ.

وذكر نحو ذلك الحبيشي في "كتاب البركة": أنه من رواية الترمذي وابن السني، ثم قال: وقال عليه الصلاة والسلام: «من قرأ آخر الحشر غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر».

«وَسُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِآخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ» قاله مرارًا، رواهما الثعلبي انتهى بلفظه.

وفي "الأعقم": رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ آخِرَ سُورَةِ الْحَشْرِ ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾[الحشر: ٢١] إِلَى آخِرِهِ، فَمَاتَ فِي لَيْلَتِهِ مَاتَ شَهِيدًا».

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ السُّنِّيُّ فِي "عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ"، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ أَنَسٍ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ رَجُلًا إِذَا آوَى إلى فراشِهِ أن يقرأ آخر سُورَةِ الْحَشْرِ، وَقَالَ: إِنْ مُتَّ مُتَّ شَهِيدًا».

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ: «مَنْ قَرَأَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْحَشْرِ، فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ فَقُبِضَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَوْ لَيْلِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ» اهـ. وفي "فتح القدير": أَنَّهُ أَخْرَجَهُ ابْنُ عَدِيٍّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالْخَطِيبُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ" عَنْ أَبِي أُمَامَةَ مَرْفُوعًا.

ورواية: أن آخر الحشر اسم اللَّه الأعظم، كما في "الثعالبي"، رواها أبو هريرة عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو السائل للنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أفاده في "العهد الأكيد".

قوله ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: أَيْ: لا مستحق للعبادة، ولا معبود بحق إلا هو وحده لا شريك له.

قوله ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أَيْ: عالم كل كلي وجزئي، مما غاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها، وما حضر له من الأجرام وأعراضها. وتقديم الغيب على الشهادة لتقدُّمه في الوجود، وتعلُّق العلم القديم به أو المعدوم والموجود، أو السر والعلانية.

والغيب نقيض الشهادة، وهو مصدر وُضِع موضع الاسم، يقال للغائب غيب، ومنه عالم الغيب: ما غاب عن الحاسة، أَيْ: خفِي، ويقال: غاب عني إذا اخفي عن الأبصار.

وذكر أبو علي: أن الغيب على ضربين، منه ما دليل عليه فلا يعلمه إلا اللَّه تعالى، ومنه ما عليه دليل فتعلمه، إلا أن عالم الغيب لا يطلق إلا على اللَّه تعالى، لأنه يوهم العلم بالجميع.

وذكر أبو هاشم: أن الغيب لا طريق إلى معرفته ضرورة واستدلالاً.

قوله ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: أَيْ: المُنعم بجلائل النعم ودقائقها.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كُرِّر لإظهار الاهتمام بشأن التوحيد.

﴿الْمَلِكُ﴾: أَيْ: ذو الملك، وهو القادر على إنشاء ما يشاء واختراع ما يريد. ﴿الْقُدُّوسُ﴾: بضم القاف، وقد تُفتح وهو لغة فيه، وبهما قريء، أَيْ: البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانًا ما.

﴿السَّلَامُ﴾: أَيْ: ذو السلامة من كل نقص وآفة، مصدر وُصف به للمبالغة. ﴿الْمُؤْمِنُ﴾: أَيْ: واهب الأمن المصدّق رسله، وقرأ بالفتح أَيْ: المُؤْمَن به على حذف الجار.

﴿الْمُهَيْمِنُ﴾: أَيْ: الرقيب المبالغ في المراقبة والحفظ. قيل: وأصل مُهَيْمِن مُوَيْمِن على وزن مُفَيْعِل من الأمانة، إلا أن الهاء أُبدِلت بالهمزة، كما قالوا: أرقت الماء وأهرقت الماء. ويقال: الْمُهَيْمِن: الشاهد.

﴿الْعَزِيزُ﴾: أَيْ: ذو العزة الغالب على غيره.

﴿الْجَبَّارُ﴾: من الجبر بمعنى القهر، أَيْ: الذي جبر قهره خلقه على ما يشاء، أَيْ: قهرهم، فيكون من صفات الجلال. على هذا والجبَّار بمعنى الإصلاح، أَيْ: المُصلِح أحوال عباده، يُقال: جبر الكسر الطبيب إذا أصلحه، فيكون من صفات الجمال.

﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾: أَيْ: الذي تكبَّر على كل ما يوجب حاجةً ونقصًا، أو البليغ الكبرياء والعظمة. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أَيْ: تنزيهًا له عمَّا يشركون به، أو عن إشراكهم.

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ﴾: أَيْ: المقدّر الأشياء حسب مقتضى حكمته.

﴿الْبَارِئُ﴾: أَيْ: المُوجِد للأشياء بريئة من التفاوت. وقيل: المُميّز بعضها عن بعضٍ بالأشكال المختلفة.

﴿الْمُصَوِّرُ﴾: أَيْ: الموجد تصوُّرها وكيفيتها على مقتضى مراده.

﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: لدلالتها على معاني شريعته هي أحسن المعاني. ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أَيْ: ينزهه ما فيهما تنزيهًا ظاهرًا من جميع النقائص.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب، ﴿الْحَكِيمُ﴾ أَيْ: الذي يضع الأشياء مواضعها.

(ثُمَّ تُرْسِلُ يَدَكَ وَتَقُولُ: وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۞ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ مَرَّتَيْنِ):

سُورَة الزلزلة قِيلَ: مَدَنِيَّةٌ وَهْوَ قَوْل ابْن عَبَّاسٍ، أَخْرَجَهُ عَنْهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَبِه قَالَ قَتَادَة أيضًا. وقيلَ: مَكِّيَّةٌ وهو قَوْل ابْن مَسْعُودٍ وَعَطَاءٍ وَجَابِرٍ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَالطَّبَرَانِيُّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ"، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ الرَّاءِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: كَبِرَ سِنِّي، وَاشْتَدَّ قَلْبِي، وَغَلُظَ لِسَانِي، قَالَ: اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنْ ذَوَاتِ حم، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ الْأُولَى، فَقَالَ: اقْرَأْ ثَلَاثًا مِنَ الْمُسَبِّحَاتِ، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ الْأُولى، وَقَالَ: وَلَكِنْ أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ سُورَةً جَامِعَةً، فَأَقْرَأَهُ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، قَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ، أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ».

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ عُدِلَتْ لَهُ بِنِصْفِ الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عُدِلَتْ لَهُ بِثُلُثِ القرآن، ومن قرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ عُدِلَتْ لَهُ بِرُبُعِ الْقُرْآنِ».

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ الضُّرَيْسِ وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَالْبَيْهَقِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعْدِلُ نصف القرآن، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تَعْدِلُ رُبُعَ الْقُرْآنِ»، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ يَمَانِ بْنِ الْمُغِيرَةِ.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: هَلْ تَزَوَّجْتَ يَا فُلَانُ؟، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا عِنْدِي مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؟، قَالَ: بَلَى، قَالَ: ثُلُثُ الْقُرْآنِ، قَالَ: أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟، قَالَ: بَلَى، قَالَ: رُبُعُ الْقُرْآنِ، قَالَ: أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: رُبُعُ الْقُرْآنِ، قَالَ: أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾؟، قَالَ: بَلَى، قَالَ: رُبُعُ الْقُرْآنِ، تَزَوَّجْ»، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ كَانَ لَهُ عِدْلُ نِصْفِ الْقُرْآنِ».

اهـ، أفاده في "فتح القدير".

قوله «تَعْدِلُ نِصْفِ الْقُرْآنِ»: لاشتمالها على أحوال الآخرة، وهي بالنسبة إلى أحوال الدنيا نصف، ولأن فيها ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

قال في "تحفة الذاكرين": والظاهر أن ذلك لسرٍّ لا نعلمه ولا كُلّفنا بعلمه اهـ.

قوله ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: أَيْ: حركّت حركة شديدة، لأن الزلزلة الحركة الشديدة، وجواب الشرط ﴿تُحَدِّثُ﴾، والمُراد حركتها عند قيام الساعة، فإنها تضطرب حتى ينكسر كل شيء، ويخرج كلما في جوفهما. قال مجاهد: هي النفخة الأولى لقوله تعالى: ﴿تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾[النازعات: ٦-٧].

وذكر المصدر للتأكيد، وقريء بفتح الزاي وكسرها، والثاني للجمهور. وقيل: وهما مصدران بمعنى. وقيل: المكسور بمصدر والمفتوح اسم. وقال القرطبي: الزلزال -بالفتح- : مصدر كالوسواس والقلقال اهـ.

قوله ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: أَيْ: ما في جوفها من الأموات والدفائن. والأثقال: جمع ثقل، وهو في الأصل المتاع. قال أبو عبيدة والأخفش: إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها.

قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿أَثْقَالَهَا﴾ مَوْتَاهَا تُخْرِجُهُمْ فِي النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ، وَقَدْ قِيلَ لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ الثَّقَلَانِ، وَإِظْهَارُ الْأَرْضِ فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ لِزِيَادَةِ التَّقْرِيرِ.

وَقَدْ أَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، قَالَ: تَحَرَّكَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ قَالَ: الْمَوْتَى.

قوله ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾: أَيْ: قَالَ كُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْإِنْسَانِ مَا لَهَا زُلْزِلَتْ؟، لِمَا يَدْهَمُهُ مِنْ أَمْرِهَا وَيَبْهَرُهُ مِنْ خَطْبِهَا. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بالإِنسان الكافر. وروي عن ابن عباس.

وَأَخْرَجَ مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا».

وقوله ﴿مَا لَهَا﴾: مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَفِيهِ مَعْنَى التَّعْجِيبِ، أَيْ: أَيُّ شَيْءٍ لَهَا، أَوْ لِأَيِّ شَيْءٍ زُلْزِلَتْ؟. وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بَدَلٌ مِنْ إِذَا، وَالْعَامِلُ فِيهِمَا قَوْلُهُ: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِي إِذَا مَحْذُوفًا وَالْعَامِلُ فِي يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ.

وَالْمَعْنَى واللَّهُ أَعْلَم: يَوْمَ إِذَا زُلْزِلَتْ وَأَخْرَجَتْ تُخْبِرُ بِأَخْبَارِهَا وَتُحَدِّثُهُمْ بِمَا عُمِلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَذَلِكَ إِمَّا بِلِسَانِ الْحَالِ حَيْثُ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ دَلَالَةً وَاضِحةً، أَوْ بِلِسَانِ الْمَقَالِ، بِأَنْ يُنْطِقَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ الذي أنطق كل شيء.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ"، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، فقال: أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ

أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنَّ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا، فَهَذَا أَخْبَارُهَا».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْأَرْضَ لتجيء يوم القيامة بكل عُمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾».

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عن ربيعة الحرشي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَحَفَّظُوا مِنَ الْأَرْضِ فَإِنَّهَا أُمُّكُمْ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ عَامِلٍ عَلَيْهَا خَيْرًا أَوْ شَرًّا إِلَّا وَهِيَ مُخْبِرَةٌ».

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَلَامٍ: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ بِمَا أَخْرَجَتْ مِنْ أَثْقَالِهَا، وَقِيلَ: تُحَدِّثُ بِقِيَامِ السَّاعَةِ، وَأَنَّهَا قَدْ أَتَتْ وَأَنَّ الدُّنْيَا قَدِ انْقَضَتْ، لأن الزلزلة على أشراط الساعة. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: تُبَيِّنُ أَخْبَارَهَا بِالرَّجْفَةِ وَالزَّلْزَلَةِ وَإِخْرَاجِ الْمَوْتَى.

قوله ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾: الْبَاءُ سَبَبِيَّةٌ، أَيْ: بِسَبَبِ أن اللَّهَ أوحى لَهَا، أَيْ: إيحائه إليها، وقيل: الباء صلة. قَالَ الْفَرَّاءُ: تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِوَحْيِ اللَّهِ وَإِذْنِهِ لَهَا، وَاللَّامُ فِي أَوْحَى لَهَا بِمَعْنَى إِلَى.

قال في "فتح القدير": وَإِنَّمَا أَثَّرَتْ -يعني اللام- عَلَى إِلَى لِمُوَافَقَةِ الْفَوَاصِلِ، وَالْعَرَبُ تَضَعُ لَامَ الصِّفَةِ مَوْضِعَ إِلَى، كَذَا قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ. وَقِيلَ: إِنَّ أَوْحَى يَتَعَدَّى بِاللَّامِ تَارَةً، وَبِإِلَى أُخْرَى، وَقِيلَ: إِنَّ اللَّامَ عَلَى بَابِهَا مِنْ

كَوْنِهَا لِلْعِلَّةِ، وَالْمُوحَى إِلَيْهِ مَحْذُوفٌ، وَهُوَ الْمَلَائِكَةُ، وَالتَّقْدِيرُ: أَوْحَى إِلَى الْمَلَائِكَةِ لِأَجْلِ الْأَرْضِ: أَيْ: لأجل ما يفعلون فيها، والأوّل أَوْلَى اهـ.

وعن ابن عباس قال: قال لها ربك قولي بأنك ربك أوحى لها يومئذ.

قوله ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾: الصدر: الرجوع وهو ضد الورود. والتشتيت: التفريق، أَيْ: يوم يرجع الناس من قبورهم إلى موقف الحساب متفرّقين. وقيل: يصدرون من موضع الحساب إلى الجنة والنار. وعن ابن عباس: في قوله ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ قال: من كل مكان من ههنا.

قال في "فتح القدير": وَالْمَعْنَى: أَنَّ بَعْضَهُمْ آمِنٌ وَبَعْضَهُمْ خَائِفٌ، وَبَعْضَهُمْ بِلَوْنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَهُوَ الْبَيَاضُ، وَبَعْضَهُمْ بِلَوْنِ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ السَّوَادُ، وبعضهم ينصرف إلى جهة الْيَمِينِ، وَبَعْضَهُمْ إِلَى جِهَةِ الشِّمَالِ، مَعَ تَفَرُّقِهِمْ فِي الْأَدْيَانِ وَاخْتِلَافِهِمْ فِي الْأَعْمَالِ.

﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿يَصْدُرُ﴾، أَيْ: يشاهدوها ويعاينوها مكتوبة ويحاسبوا عليها. وقيل: ليروا جزاء أعمالهم في الجنة أو النار.

قوله ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾إلخ السورة: مثقال الشيء: وزنه أَيْ: وزن ذرة وهي أصغر ما يكون من النمل. وقال بعض أهل اللغة: هو أن يضرب الرجل بيده على الأرض، فما علق من التراب فهو الذرة. وقيل: الذر: ما يُرى في شعاع الشمس من الهباء. ومنه قول امرئ القيس:

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ ... مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الْإِتْبِ مِنْهَا لَأَثَّرَا

وقيل: وزن الذرة ما يثقل عليها حمله.

قال مقاتل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾ في الدنيا ﴿يَرَهُ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي كتابه فيفرح به، ﴿وَ﴾ كذلك ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿شَرًّا يَرَهُ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَسُوؤُهُ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

﴿فَمَنْ﴾ الأولى عبارة عن فريق السعداء، ﴿وَمَنْ﴾ الثانية عبارة عن فريق الأشقيا. قال في "الكشاف": لأنه جاء بعد قوله: قوله ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ اهـ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ مِنْ خَيْرٍ مِنْ كَافِرٍ يرى ثَوَابَهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من شَرٍّ من مؤمن يرى عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ شَرٌّ. قَالَ فِي "فَتْح القَدِير": وَالْأَوَّلُ أَوْلَى.

قَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ كَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِيهِ السَّائِلُ فَيَسْتَقِلُّ أَنْ يُعْطِيَهُ التَّمْرَةَ وَالْكِسْرَةَ، وَكَانَ الْآخَرُ يَتَهَاوَنُ بِالذَّنْبِ الْيَسِيرِ وَيَقُولُ: إِنَّمَا أَوْعَدَ اللَّهُ النَّارَ عَلَى الْكَافِرِينَ اهـ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ"، وَالْحَاكِمُ فِي "تَارِيخِهِ"، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ"، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «بَيْنَمَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَأْكُلُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَرَاءٍ مَا عَمِلْتُ مِنْ

مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ شَرٍّ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَرَأَيْتَ مَا تَرى فِي الدُّنْيَا مِمَّا تَكْرَهُ فَبِمَثَاقِيلِ ذَرِّ الشَّرِّ وَيُدَّخَرُ لَكَ مَثَاقِيلُ ذَرِّ الْخَيْرِ حَتَّى تُوَفَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَأَخْرَجَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ قَالَ: «بينما أَبُو بَكْرٍ يَتَغَدَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، فَأَمْسَكَ أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَمِلْنَا مِنْ شَرٍّ رَأَيْنَاهُ، فَقَالَ: مَا تَرَوْنَ مِمَّا تَكْرَهُوه فَذَاكَ مِمَّا تُجْزَوْنَ، وَيُؤَخَّرُ الْخَيْرُ لِأَهْلِهِ فِي الْآخِرَةِ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَابْنُ جريرٍ وَالطَّبَرَانِيُّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ"، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: «أُنْزِلَتْ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَاعِدٌ فَبَكَى، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟، قَالَ: يُبْكِينِي هَذِهِ السُّورَةُ، فَقَالَ: لَوْلَا أَنَّكُمْ تُخْطِئُونَ وَتُذْنِبُونَ فيغفر لكم، لَخَلَقَ اللَّهُ قَوْمًا يُخْطِئُونَ وَيُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ» الْحَدِيثَ. وَقَالَ: «وَسُئِلَ عَنِ الْحُمُرِ فَقَالَ: مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَاذَّةُ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾». اهـ "فَتْح الْقَدِير".

(وأُقَـدِّمُ إِلَيْـكَ بَـيْنَ يَـدَيْ ذَلِـكَ كُلِّـهِ: بِسْمِ اللَّهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُـدُ ۞ لَكُـمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أَرْبَع مَرَّاتٍ):

اختُلِف فيهَا هل هِيَ مَكِّيَّةٌ أو مَدَنِيَّةٌ؟. قَالَ ابْن مَسْعُودٍ وَالْحَسَنِ وَعِكْرِمَةَ بالأَوَّلِ، وهو أحد قولَيْ ابن عبَّاس رواه عنه ابن مردويه، وقال بالثاني قَتَادَة وَالضَّحَّاك، رواه أيضًا ابن مردويه عن ابن عباس.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي "صَحِيح مُسْلِمٍ" مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ بِهَذِهِ السُّورَةِ، وَبِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي رَكْعَتَيِ الطَّوَافِ».

وَفِي "صَحِيح مُسْلِمٍ" أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ بِهِمَا فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ».

وأخرج ابن حبَّان وصحَّحهُ من حديث عَائِشَة قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: نِعْمَ السُّورَتَانِ، يُقْرَأُ بِهِمَا فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾».

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَابْنُ حِبَّانَ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ وَالرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِب بِضْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً، أَوْ بضع عشرة مَرَّة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾».

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، عَنْ أُبَيٍّ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوتر بِـ﴿سَبِّحِ﴾، وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾».

وَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ"، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تَعْدِلُ رُبُعَ الْقُرْآنِ، وَكَانَ يَقْرَأُ بِهِمَا فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ رُبُعِ الْقُرْآنِ».

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي "الصَّغِيرِ"، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ"، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ رُبُعَ الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». وَأَخْرَجَ نَحْوهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ، وَالطَّبَرَانِيُّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا.

قال العلامة السيد المقبلي في "الإتحاف": «وَكَانَ يَقْرَأُ بِهِمَا -يَعْنِي الكَافِرُون وَالإِخْلَاص- فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، وَقَالَ: هَاتَانِ الرَّكْعَتَانِ فِيهِمَا رَغَبُ الدَّهْرِ».

وفي كونها تعدل ربع القرآن روايات كثيرة، وكذلك أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقرأ بهما في ركعتي الفجر وركعتي المغرب، وقرأ بهما في ركعتي الطواف اهـ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ الضُّرَيْسِ وَالْبَغَوِيُّ، وَحُمَيْدُ بْنُ زَنْجَوَيْهِ فِي "تَرْغِيبِهِ"، عَنْ شَيْخٍ أَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سفرٍ، فمرّ برجلٍ يقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا

الْكَافِرُونَ﴾ فقال: أما هذا فقد برىء مِنَ الشِّرْكِ، وَإِذَا آخَرُ يَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِهَا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ غُفِرَ لَهُ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وابن الأنباري في "المصاحف"، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ"، عن فروة بن نوفل بن معاوية الأشجعي عن أبيه أنه قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي مَا أَقُولُ إِذَا أَوَيْتُ إِلَى فِرَاشِي قَالَ: اقْرَأْ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ». وَأَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَوْفَلٍ عَنْ أَبِيهِ مَرْفُوعًا مِثْلَهُ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَوْفَلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ لِلنَّوْمِ فاقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَهَا فَقَدْ بَرِئْتَ مِنَ الشِّرْكِ».

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ"، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ جَبَلَةَ، وَقَالَ الطَّبَرَانِيُّ: عَنْ جَبَلَةَ بن حارثة، وهو أخو زيد ابن حَارِثَةَ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَقُولُهُ عِنْدَ مَنَامِي قَالَ: إِذَا أَخَذْتَ مضجعك من الليل فاقرأ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ حَتَّى تَمُرَّ بِآخِرِهَا فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ».

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ" عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا معاذ اقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ عِنْدَ مَنَامِكَ فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ».

وَأَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى وَالطَّبَرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَلِمَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنَ الإِشراك باللَّه؟، تقرؤون ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ عِنْدَ مَنَامِكُمْ».

وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ خَبَّابٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَاقْرَأْ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَأْتِ فِرَاشَهُ قَطُّ إِلَّا قَرَأَ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ حَتَّى يَخْتِمَ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بسورتين فلا حساب عليه ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾». وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي "فَضَائِلِهِ"، وَابْنُ الضُّرَيْسِ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: «مَنْ قرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾فِي لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطَابَ». اهـ من "تحفة الذاكرين" و"فتح القدير".

قوله ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾: ال فيه لِلْجِنْسِ، إلا أنها كَانَتِ الْآيَةُ خِطَابًا لِمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ تعالى موته عَلَى كُفْرِهِ، كَانَ الْمُرَادُ بِهَذَا الْعُمُومِ خُصُوصَ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ مِنَ الْكُفَّارِ عِنْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ مَنْ أَسْلَمَ وَعَبَدَ اللهَ سُبْحَانَهُ.

وَسَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ: أَنَّ الْكُفَّارَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَعْبُدَ آلِهَتَهُمْ سَنَةً وَيَعْبُدُوا إِلَهَهُ سَنَةً، فَأَمَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أَيْ: لَا أَفْعَلُ مَا تَطْلُبُونَ مِنِّي مِنْ عِبَادَةِ مَا تَعْبُدُونَه غير اللَّه تعالى.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أَيْ: وَلَا أَنْتُمْ فَاعِلُونَ مَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ مِنْ عِبَادَةِ إِلَهِي، وهو اللَّه وحده لا شريك له. ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ أَيْ: وَلَا أَنَا قطُّ فِيمَا سَلَفَ أَيْ: تَقدَّم، عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ فِيهِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَمْ يُعْهَدْ مِنِّي ذَلِكَ.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أَيْ: وَمَا عَبَدْتُمْ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ مَا أَنَا عَلَى عِبَادَتِهِ، كذا قيل، وهذا على قول من يقُول: إِنَّهُ لَا تكْرَارَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لِأَنَّ الْجُمْلَتين لِنَفْيِ الْعِبَادَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

والجملتين الأخرتين لنفيهما في الحال، وقيل: بعكس هذا، وهو أن الجملتين الأولتين للحال والأخرتين للاستقبال.

وَكُلُّ هَذَا فِيهِ مِنَ التَّكَلُّفِ وَالتَّعَسُّفِ مَا لَا يَخْفَى عَلَى ذي لب سليم وعقل مستقيم، بل التحقيق أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ ولسانهم، وأنه من المعلوم من مَذَاهِبِهِم الَّتِي لَا تُنكَرُ، وَاسْتِعْمَالَاتِهِمُ الَّتِي لَا تُجحَدُ، أَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا التَّأْكِيدَ كَرَّرُوهُ، كَمَا إِذَا أَرَادُوا الِاخْتِصَارَ أَوْجَزُوا.

فالظاهر واللَّه أعلم أن التكرار هنا لغرض التأكيد، أَيْ: تأكيد نفي عبادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [لآلهتم، ومعبوده] هو اللَّه سبحانه، وأن من سبقت له الشقاوة لا يكون منه لاقتضاها، وكون المذكور هو المعروف من مذاهب العرب ولغتهم لا يحتاج إلى إقامة البرهان عليه، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى مَا فِيهِ خَفَاءٌ وَيُبَرْهَنُ عَلَى مَا هُوَ مُتَنَازَعٌ فِيهِ.

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ الْوُضُوحِ وَالظُّهُورِ وَالْجَلَاءِ والانكشاف بِحَيْثُ لَا يَشُكُّ فِيهِ شَاكٌّ، وَلَا يَرْتَابُ فِيهِ مُرْتَابٌ بلا خلاف، فَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ التَّطْوِيلِ، غَيْرُ

مُحْتَاجٍ إِلَى تَكْثِيرِ الْقَالِ وَالْقِيلِ، ولا يلزم عليه نصب دليل على أنه قد وقع في القرآن العزيز، من هذا كثير يتلوه كل من يتلو القرآن، وربما كثر في بعض السور كما في سورة الرحمن وسورة المرسلات، وفي أشعار العرب من هذا الأمر ما لا يتأتى عليه الحصر. ومن ذلك قول الشاعر:

يَـا لَبَكْـرٍ انْشُـرُوا لِـي كُلَيْبًـا   يَـا لَبَكْـرٍ أَيْـنَ أيـن الفـرار؟

وقول الآخر:

هـلّا سـألت جمـوع كنـدة   يَـوْمَ وَلَّـوْا أَيْـنَ أَيْنَـا

وَقَوْلُ الْآخَرِ:

هـلّا سـألت جمـوع كنـدة   يَـوْمَ وَلَّـوْا أَيْـنَ أَيْنَـا

وَقَوْلُ الْآخَرِ:

يَـا عَلْقَمَـةُ يَـا عَلْقَمَـةُ يَـا عَلْقَمَـةُ   خَيْـرُ تَمِـيمٍ كُلِّهَـا وَأَكْرَمُـهُ

وَقَوْلُ الْآخَرِ:

أَلَا يَا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلِمِي ثمَّتَ اسْلِمِي   ثَـلَاثَ تَحِيَّـاتٍ وَإِنْ لَـمْ تكلّـم

وَقَوْلُ الْآخَرِ:

أَتَاكَ أَتَاكَ اللَّاحِقُونَ احْبِسِ احْبِسِ

وقد ثبت عن الصادق المصدوق، وهو أفصح من نطق بلغة العرب أنه كان إذا تكلَّم بالكلمة أعادها ثلاث مرات، وإذا عُلِم هذا ففائدة ما وقع في السورة من التكرير القصد منه التأكيد هو قطع أطماع الكفار عن أن يجيبهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ما طلبوه من عبادة آلهتهم.

وإنما عبَّر سبحانه بـ{مَا} التي لغير العقلاء في المواضع الأربعة، لجواز ذلك، سُبْحَانَ مَا سَخَّرَكُنَّ لَنَا ونحوه.

والنكتة في ذلك أن يكون الكلام جاريًا على نمط واحد ونسق ولا يختلف. وقيل: أنه أراد الصفة، أَيْ: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق. وقيل: إن ما في المواضع الأربعة هي المصدرية لا الموصولة، أَيْ: لا أعبد عبادتكم، ولا أنتم عابدون عبادتي، إلخ.

وَجُمْلَةُ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ لِتَقْرِيرِ قَوْلِهِ: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾، كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ تَقْرِيرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ فِي الْمَوْضِعَيْنِ، أَيْ: إِنْ رَضِيتُمْ بِدِينِكُمْ فَقَدْ رَضِيتُ بِدِينِي، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ دِينَكُمُ الَّذِي هُوَ الْإِشْرَاكُ مَقْصُورٌ عَلَى الْحُصُولِ لَكُمْ لَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى الْحُصُولِ لِي كَمَا تَطْمَعُونَ، وَدِينِي الَّذِي هُوَ التَّوْحِيدُ مَقْصُورٌ عَلَى الْحُصُولِ لِي لَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى الْحُصُولِ لَكُمْ.

وَقِيلَ الْمَعْنَى: لَكُمْ جَزَاؤُكُمْ وَلِي جَزَائِي لِأَنَّ الدِّينَ يطلق على الْجَزَاء. قِيلَ: وَهَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ، وَقِيلَ: لَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ لِأَنَّهَا أَخْبَارٌ، وَالْأَخْبَارُ لَا يَدْخُلُهَا النَّسْخُ. اهـ ملخصًا كم "فتح القدير".

وفيه أيضًا: وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالطَّبَرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ قُرَيْشًا دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَنْ يُعْطُوهُ مَالًا فَيَكُونَ أَغْنَى رَجُلٍ بِمَكَّةَ، وَيُزَوِّجُوهُ مَا أَرَادَ مِنَ النِّسَاءِ، فَقَالُوا: هَذَا لَكَ يَا مُحَمَّدُ وَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا، وَلَا تَذْكُرْهَا بِسُوءٍ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَإِنَّا نَعْرِضُ

عَلَيْكَ خَصْلَةً وَاحِدَةً وَلَكَ فِيهَا صَلَاحٌ، قَالَ: مَا هِيَ؟، قَالُوا: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، قَالَ: حَتَّى أَنْظُرَ مَا يَأْتِينِي مِنْ رَبِّي، فَجَاءَ الْوَحْيُ مِنْ عند اللَّه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الزمر: ٦٤- ٦٦] » .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي "الْمَصَاحِفِ"، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مينا مولى أبي البختري قَالَ: «لَقِيَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ هَلُمَّ فَلْنَعْبُدْ مَا تَعْبُدُ وَتَعْبُدْ مَا نَعْبُدُ، وَنَشْتَرِكْ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي أَمْرِنَا كُلِّهِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ أَصَحَّ مِنَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حَظًّا، وَإِنْ كَانَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ أَصَحَّ مِنَ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ كُنَّا قَدْ أخذنا منه حظًّا، فأنزل اللَّه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ».

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ قُرَيْشًا قَالَتْ: لَوِ اسْتَلَمْتَ آلِهَتَنَا لعبدنا إلهك، فأنزل اللَّه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ السورة كلها» اهـ.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ثَلَاثًا):

اختُلِف في السورة فقيل: مَكِّيَّةٌ، وهو قَوْل ابْن مَسْعُود وَالْحَسَن وَعطَاء وَعِكْرِمَة وَجَابِر. وقيل: مَدَنِيَّةٌ وَهو قول قَتَادَة وَالضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ وأَحَد قَوْلَيْ ابْن عَبَّاسٍ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَالْبُخَارِيُّ فِي "تَارِيخِهِ"، وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ خُزَيْمَةَ، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي "السُّنَّةِ"، وَالْبَغَوِيُّ فِي "مُعْجَمِهِ"، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي "الْعَظَمَةِ"، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ"، عَنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مُحَمَّدُ انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلَّا سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلَّا سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمُوتُ وَلَا يُورَثُ، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا عَدْلٌ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ مُرْسَلًا وَلَمْ يَذْكُرْ أُبَيًّا، ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا أَصَحُّ.

وَأَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ"، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي "الْحِلْيَةِ"، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ» وَحَسَّنَ السُّيُوطِيُّ إِسْنَادَهُ.

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي "الْعَظَمَةِ"، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾».

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ عَدِيٍّ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ"، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ الْيَهُودَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَحُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ صِفْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي بَعَثَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ﴾ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْوَلَدُ، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فَيَخْرُجُ مِنْ شَيْءٍ».

وأخرج أبو عبيدة فِي "فَضَائِلِهِ"، وَأَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ فِي "الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ"، وَابْنُ مَنِيعٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالضِّيَاءُ فِي "الْمُخْتَارَةِ"، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ الضُّرَيْسِ وَالْبَزَّارُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ"، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِائَتَيْ مَرَّةٍ غَفَرَ لَهُ ذَنْبَ مِائَتَيْ سَنَةٍ». قَالَ الْبَزَّارُ: لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ أَنَسٍ إِلَّا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ وَالْأَغْلَبُ بْنُ تَمِيمٍ، وَهُمَا يَتَقَارَبَانِ فِي سُوءِ الْحِفْظِ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ الضُّرَيْسِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "سُنَنِهِ"، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ هَذِهِ السُّورَةَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ» .

وَأَخْرَجَ ابْنُ الضُّرَيْسِ وَأَبُو يَعْلَى، وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي "الْمَصَاحِفِ"، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((أَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي لَيْلَةٍ؟، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)) وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

وَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ وَأَبُو يَعْلَى عَنْ أَنَسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ خَمْسِينَ مَرَّةً غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُ خَمْسِينَ سَنَةً)) وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ عَدِيٍّ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ"، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مِنِ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِائَتَيْ مَرَّةٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفًا وَخَمْسِمِائَةِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ ذُنُوبَ خَمْسِينَ سَنَةً، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ دَيْنٌ)) وَفِي إِسْنَادِهِ حَاتِمُ بْنُ مَيْمُونٍ ضَعَّفَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَلَفْظُ التِّرْمِذِيِّ: ((مَنْ قَرَأَ فِي يَوْمٍ مِائَتَيْ مَرَّةٍ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، مُحِيَ عنه ذنوب خمسين سنة، إلا أن يكون عَلَيْهِ دَيْنٌ)) وَفِي إِسْنَادِهِ حَاتِمُ بْنُ مَيْمُونٍ الْمَذْكُورُ.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ وَأَبُو يَعْلَى وَابْنُ عَدِيٍّ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَامَ عَلَى فِرَاشِهِ مِنَ اللَّيْلِ فَنَامَ عَلَى يَمِينِهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِائَةَ مَرَّةٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: يَا عَبْدِي ادْخُلْ عَلَى يَمِينِكَ الْجَنَّةَ)) وَفِي إِسْنَادِهِ أَيْضًا حَاتِمُ بْنُ مَيْمُونٍ الْمَذْكُورُ. قَالَ التِّرْمِذِيُّ بَعْدَ إِخْرَاجِهِ: غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ ثَابِتٍ. وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ عَنْهُ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ سعد وَابْنُ الضُّرَيْسِ وَأَبُو يَعْلَى، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الدَّلَائِلِ"، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشَّامِ، -وَفِي لَفْظٍ: بِتَبُوكَ- فَهَبَطَ جبريل فقال: يا محمد إن معاوية ابن مُعَاوِيَةَ الْمُزَنِيَّ هَلَكَ، أَفَتُحِبُّ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟، قَالَ: نَعَمْ، فَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ الْأَرْضَ فَتَضَعْضَعَ لَهُ كل شيء ولزق بالأرض ورفع سَرِيرَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ أُوتِيَ مُعَاوِيَةُ هَذَا الْفَضْلَ، صَلَّى عَلَيْهِ صَفَّانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي كُلِّ صَفٍّ سِتَّةُ آلَافِ مَلَكٍ؟، قَالَ: بِقِرَاءَةِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، كَانَ يَقْرَؤُهَا قَائِمًا وَقَاعِدًا وَجَائِيًا وَذَاهِبًا وَنَائِمًا». وَفِي إِسْنَادِهِ الْعَلَاءُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيُّ، وَهُوَ مُتَّهَمٌ بِالْوَضْعِ، وَرُوِيَ عَنْهُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ بِأَطْوَلَ مِنْ هَذَا، وَفِي إِسْنَادِهِ هَذَا الْمُتَّهَمُ. وَفِي الْبَابِ أَحَادِيثُ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَغَيْرِهِ.

وَقَدْ رُوِيَ من غير وَجْهٍ أَنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَفِيهَا مَا هُوَ صَحِيحٌ وَفِيهَا مَا هُوَ حَسَنٌ.

فَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احْشُدُوا فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ القرآن، ثم خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إني سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا وَإِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ».

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ نَحْوَهُ. وَقَدْ رُوِيَ نَحْوُ هَذَا بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَحَدِيثِ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَرُوِيَ نَحْوُ هَذَا عَنْ غَيْرِ هَؤُلَاءِ بِأَسَانِيدَ بَعْضُهَا حَسَنٌ وَبَعْضُهَا ضَعِيفٌ.

وفي "الإتحاف" للمقبلي: أن الأحاديث الناصة على أنها يعني سورة الإخلاص كثيرًا جدًّا، تبلغ التواتر المعنوي.

وَلَوْ لَمْ يَرِدْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ إِلَّا حَدِيثُ عَائِشَةَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ والنسائي والبيهقي في "الأسماء والصفات" وَغَيْرِهِمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا فِي سَرِيَّةٍ، فَكَانَ يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ صَنَعَ ذَلِكَ؟، فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ: أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّهُ». هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً فَقَرَأَ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يَقْرَأُ به افتتح بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ

يَقْرَأُ أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تفتتح بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِالْأُخْرَى، فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى، قَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ فَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: يَا فُلَانُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ وَمَا حَمَلَكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ»؟، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا، قَالَ: حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ». وَقَدْ رُوِيَ بِهَذَا اللَّفْظِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عِنْدَ غَيْرِ الْبُخَارِيِّ. اهـ مِنْ "فَتْحِ القَدِيرِ".

وأخرج أبو داود والترمذي من حديث مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، ولفظ أبي داود: أَنَّهُ قَالَ: «خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ فَقَالَ: قُلْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا. ثُمَّ قَالَ: قُلْ، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا. ثُمَّ قَالَ: قُلْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَقُولُ؟، قَالَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ». وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وأخرجه أيضًا النسائي.

قال في "تحفة الذاكرين": وَفِي الحَدِيث دَلِيل على أَن تِلَاوَة هَذِه السُّور عِنْد الْمسَاء وَعند الصَّباح تكْفِي التَّالِي من كل شَيْء يخْشَى مِنْهُ كَائِنًا مَا كَانَ هـ.

قوله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: قَرَأَ الْجُمْهُورُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ بِإِثْبَاتِ قُلْ. وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَأُبَيٌّ بِدُونِ قُلْ. وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ {قُلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ}، وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ بِتَنْوِينِ أَحَدٌ، وَهُوَ الْأَصْلُ. وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَأَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ والحسن وأبو السّمّال وَأَبُو عَمْرٍو فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ بِحَذْفِ التَّنْوِينِ لِلْخِفَّةِ كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

عَمْرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

وَالضَّمِيرُ يَجُوزُ كونه عَائِدًا إِلَى مَا يُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ المتقدّم في بَيَانِ سَبَبِ النُّزُولِ، فَيَكُونُ مبتدأ، واللَّهُ مُبْتَدَأٌ ثَانٍ، وَأَحَدٌ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ الثَّانِي، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ الْأَوَّلِ، وَيَجُوزُ كون اللَّهُ بَدَلًا مِنْ هُوَ، وَالْخَبَرُ أَحَدٌ.

وَيَجُوزُ كون اللَّهُ خَبَرًا أَوَّلَ، وَأَحَدٌ خَبَرًا ثَانِيًا، وَيَجُوزُ كون أَحَدٌ خَبَرًا لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: هُوَ أَحَدٌ. وَيَجُوزُ كون هُوَ ضَمِيرَ شَأْنٍ لِأَنَّهُ مَوْضِعُ تَعْظِيمٍ، وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهُ مُفَسِّرَةٌ لَهُ وَخَبَرٌ عَنْهُ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى.

قَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالْمَعْنَى: إن سألتم بيان نسبته فهُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَهَمْزَةُ أَحَدٍ قِيلَ: بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ وَأَصْلُهُ وَاحِدٌ. وَقَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: هَمْزَتُهُ أَصْلٌ بِنَفْسِهَا غَيْرُ مَقْلُوبَةٍ، وَذَكَرَ أَنَّ أَحَدٌ يُفِيدُ الْعُمُومَ دُونَ وَاحِدٍ، وَمِمَّا يُفِيدُ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا مَا قَالَهُ الْأَزْهَرِيُّ: أَنَّهُ لا يوصف بالأحدية غير اللَّه تعالى، لا يُقَالُ: رَجُلٌ أَحَدٌ، وَالْأَحَدُ لَا يَدْخُلُ فِيهِ، فَإِذَا قُلْتَ: لَا يُقَاوِمُهُ وَاحِدٌ جَازَ أَنْ يُقَالَ لَكِنَّهُ يُقَاوِمُهُ اثْنَانِ بِخِلَافِ قَوْلِكَ لَا يُقَاوِمُهُ أَحَدٌ.

وَفَرَّق ثَعْلَبٌ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ الْوَاحِدَ يَدْخُلُ فِي الْعَدَدِ، وَأَحَدٌ لَا يَدْخُلُ فِيهِ. وَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو حَيَّانَ بِأَنَّهُ يُقَالُ: أَحَدٌ وَعِشْرُونَ وَنَحْوُهُ فَقَدْ دَخَلَهُ الْعَدَدُ، وَهَذَا كَمَا تَرَى. وَمِنْ جُمْلَةِ الْقَائِلِينَ بِالْقَلْبِ الْخَلِيلُ.

قوله ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: الِاسْمُ الكَرِيمُ مُبْتَدَأٌ، وَالصَّمَدُ خَبَرُهُ، وَالصَّمَدُ: هُوَ الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَاجَاتِ، أَيْ: يُقْصَدُ لِكَوْنِهِ قَادِرًا عَلَى قَضَائِهَا، فَهُوَ فَعَلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَالْقَبْضِ بِمَعْنَى الْمَقْبُوضِ لِأَنَّهُ مَصْمُودٌ إِلَيْهِ، أَيْ: مَقْصُودٌ إِلَيْهِ. قَال الزجاج: الصَّمَد: السّند الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ السُّؤْدُدُ، فَلَا سَيِّدَ فَوْقَهُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

أَلَا بَكَّرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدٍ   بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي "الْعَظَمَةِ"، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الصَّمَدُ: الَّذِي تَصْمُدُ إِلَيْهِ الْأَشْيَاءُ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ كُرْبَةٌ أَوْ بَلَاءٌ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي "الْعَظَمَةِ"، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ"، مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الصَّمَدُ: السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدُدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي شَرَفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَالْغَنِيُّ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي غِنَاهُ، وَالْجَبَّارُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي جَبَرُوتِهِ، وَالْعَالِمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ صِفَةٌ لَا تَنْبَغِي إلا لَهُ لَيْسَ لَهُ كُفُوٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

قال العارف البكري في "تفسيره الكبير": ويجمع ذلك أنه الجامع لصفات الجلال والإكرام اهـ.

وَقِيلَ: مَعْنَى الصَّمَدِ: الدَّائِمُ الْبَاقِي الَّذِي لَمْ يَزَلْ ولا يزول. وقيل: معنى الصمد ما ذكره بَعْدَهُ مِنْ أَنَّهُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَقِيلَ: هُوَ الْمُسْتَغْنِي عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَالْمُحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ أَحَدٍ. وَقِيلَ: هُوَ الْمَقْصُودُ فِي الرَّغَائِبِ، وَالْمُسْتَعَانُ بِهِ فِي الْمَصَائِبِ، وَهَذَانِ الْقَوْلَانِ يَرْجِعَانِ إِلَى مَعْنَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ. وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ. وَقِيلَ: هُوَ الْكَامِلُ الَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ وَعِكْرِمَةُ وَالضَّحَّاكُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَمُجَاهِدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ وَعَطَاءٌ وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ وَالسُّدِّيُّ: الصَّمَدُ: هُوَ الْمُصْمَتُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

شِهَابُ حُرُوبٍ لَا تَزَالُ جِيَادُهُ   عَوَابِسَ يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَ الْمُصَمَّدَا

ويدلّ له مَا أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالْمَحَامِلِيُّ فِي "أَمَالِيهِ"، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي "الْعَظَمَةِ"، عَنْ بريدة، لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا رَفَعَهُ. قَالَ: الصَّمَدُ: الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، وَلَا يَصِحُّ رَفْعُ هَذَا.

وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: الصَّمَدُ: الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، وَفِي لَفْظٍ: لَيْسَ لَهُ أَحْشَاءٌ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ"، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ. وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْهُ قَالَ: الصَّمَدُ: الّذي لا يطعم، وهو المصمت. وقال: أو ما سَمِعْتَ النَّائِحَةَ وَهِيَ تَقُولُ:

لَقَدْ بَكَّرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدٍ بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

وَكَانَ لَا يَطْعَمُ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَقَدْ روي عنه أن الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، وَأَنَّهُ أَنْشَدَ الْبَيْتَ، وَاسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَهُوَ أَظْهَرُ فِي الْمَدْحِ وَأَدْخَلُ فِي الشَّرَفِ، وَلَيْسَ لِوَصْفِهِ بِأَنَّهُ لَا يَطْعَمُ عِنْدَ الْقِتَالِ كَبِيرُ مَعْنًى.

قيل: وكون الصمد بمعنى المصمت الذي لا جوف له، لَا يُنَافِي الْقَوْلَ الْأَوَّلَ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَصْلَ مَعْنَى الصَّمَدِ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي السَّيِّدِ الْمَصْمُودِ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ.

قال في "فتح القدير": وَلِهَذَا أَطْبَقَ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ أَهْلُ اللُّغَةِ وَجُمْهُورُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

عَلَوْتُهُ بِحُسَامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ خُذْهَا حُذَيْفُ فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ

وَقَالَ الزِّبْرِقَانُ بْنُ بَدْرٍ:

سِيرُوا جَمِيعًا بِنِصْفِ اللَّيْلِ وَاعْتَمِدُوا وَلَا رَهِينَةَ إِلَّا سَيِّدٌ صَمَدٌ

وَتَكْرِيرُ الِاسْمِ الْجَلِيلِ لِلْإِشْعَارِ بِأَنَّ مَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِذَلِكَ فَهُوَ بِمَعْزِلٍ عَنِ اسْتِحْقَاقِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَحُذِفَ الْعَاطِفُ مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ لِأَنَّهَا كَالنَّتِيجَةِ لِلْجُمْلَةِ الْأُولَى.

وَقِيلَ: إِنَّ الصَّمَدَ صِفَةٌ لِلِاسْمِ الشَّرِيفِ وَالْخَبَرُ هُوَ مَا بَعْدَهُ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى لِأَنَّ السِّيَاقَ يَقْتَضِي اسْتِقْلَالَ كُلِّ جُمْلَةٍ اهـ.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ أَيْ: لَمْ يَصْدُرْ عَنْهُ وَلَدٌ، وَلَمْ يَصْدُرْ هُوَ عَنْ شَيْءٍ لِأَنَّهُ لَا يُجَانِسُهُ شيء، لاستحالة نسبة العدم إليه سابقًا ولاحقًا.

قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ مُشْرِكِي الْعَرَبِ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ. وَقَالَتِ الْيَهُودُ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ. وَقَالَتِ النَّصَارَى: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ فَقَالَ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

قَالَ الرَّازِيُّ: قُدِّمَ ذِكْرُ نَفْيِ الْوَلَدِ، مَعَ أَنَّ الْوَلَدَ مُقَدَّمٌ لِلِاهْتِمَامِ، لِأَجْلِ مَا كَانَ يَقُولُهُ الْكُفَّارُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، وَالْيَهُودُ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ، وَالنَّصَارَى: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَلَمْ يَدَّعِ أَحَدٌ أَنَّ لَهُ وَالِدًا.

فَلِهَذَا السَّبَبِ بَدَأَ بِالْأَهَمِّ فَقَالَ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْحُجَّةِ فَقَالَ: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، كَأَنَّهُ قِيلَ: الدَّلِيلُ عَلَى امْتِنَاعِ الْوَلَدِ اتِّفَاقُنَا عَلَى أَنَّهُ مَا كَانَ وَلَدًا لِغَيْرِهِ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ سُبْحَانَهُ بِمَا يُفِيدُ انْتِفَاءَ كَوْنِهِ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ فِي الْمَاضِي، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا يُفِيدُ انْتِفَاءَ كَوْنِهِ كَذَلِكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، لِأَنَّهُ وَرَدَ جَوَابًا عَنْ قَوْلِهِمْ: وَلَدَ اللَّهُ كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۞ وَلَدَ اللَّهُ﴾[الصافات: ١٥١-١٥٢].

فلما كان المقصود من هَذِهِ الْآيَةِ تَكْذِيبَ قَوْلِهِمْ، وَهُمْ إِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ بِلَفْظٍ يُفِيدُ النَّفْيَ فِيمَا مَضَى، وَرَدَّت الْآيَةُ لِدَفْعِ قَوْلِهِمْ هَذَا.

قوله ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُقَرِّرَةٌ لِمَضْمُونِ مَا قَبْلَهَا لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِذَا كَانَ مُتَّصِفًا بِالصِّفَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ كَانَ مُتَّصِفًا بِكَوْنِهِ لَمْ يُكَافِئْهُ أَحَدٌ، وَلَا يُمَاثِلُهُ، وَلَا يُشَارِكُهُ فِي شَيْءٍ، وَأُخِّرَ اسْمُ كَانَ لِرِعَايَةِ الْفَوَاصِلِ.

وَقَوْلُهُ {لَهُ} مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: {كُفُوًا}، قُدِّمَ عَلَيْهِ لِرِعَايَةِ الِاهْتِمَامِ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ نَفْيُ الْمُكَافَأَةِ عَنْ ذَاتِهِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْحَالِ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى.

وَقَدْ رَدَّ الْمُبَرِّدُ عَلَى سِيبَوَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ لِأَنَّ سِيبَوَيْهِ قَالَ: إِنَّهُ إِذَا تَقَدَّمَ الظَّرْفُ كَانَ هُوَ الْخَبَرَ، وَهَاهُنَا لَمْ يُجْعَلْ خَبَرًا مَعَ تَقَدُّمِهِ، وَقَدْ رُدَّ عَلَى الْمُبَرِّدِ بِوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ سِيبَوَيْهِ لَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ حَتْمًا بَلْ جَوَّزَهُ. وَالثَّانِي: أَنَّا لَا نُسَلِّمُ كَوْنَ الظَّرْفِ هُنَا لَيْسَ بِخَبَرٍ، بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا وَيَكُونُ كُفُوًا مُنْتَصِبًا عَلَى الْحَالِ.

وَحُكِيَ فِي "الْكَشَّافِ": عَنْ سِيبَوَيْهِ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ الْعَرَبِيَّ الْفَصِيحَ أَنَّ يُؤَخِّرَ الظَّرْفَ الَّذِي هُوَ لَغْوٌ غَيْرُ مُسْتَقِرٍّ، وَاقْتَصَرَ فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ عَلَى نَقْلِ أَوَّلِ كَلَامِ سِيبَوَيْهِ وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى آخِرِهِ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي آخِرِ كَلَامِهِ: وَالتَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ وَالْإِلْغَاءُ وَالِاسْتِقْرَارُ عَرَبِيٌّ جَيِّدٌ كثير. اهـ من "فتح القدير" ببعض تصرُّفٍ.

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ مَرَّةً وَاحِدَةً):

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ مَرَّةً وَاحِدَةً):

السورتان مَكِيَّتَان فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعِكْرِمَةَ وَعَطَاءٍ وَجَابِرٍ، وَمَدَنِيَّتَان فِي أَحَدِ قَوْلَيِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالْبَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ من طرق- قال السيوطي: صحيحة- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي الْمُصْحَفِ يَقُولُ: لَا تَخْلِطُوا الْقُرْآنَ بِمَا لَيْسَ مِنْهُ، إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، إِنَّمَا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُتَعَوَّذَ بِهِمَا، وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَا يَقْرَأُ بِهِمَا. قَالَ الْبَزَّارُ: لَمْ يُتَابِعِ ابْنَ مَسْعُودٍ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ. وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَرَأَ بِهِمَا فِي الصَّلَاةِ وَأُثْبِتَتَا فِي الْمُصْحَفِ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: «أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَبَا الْمُنْذِرِ إِنِّي رَأَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ لَا يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ، فَقَالَ: أَمَا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ لَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمَا، وَمَا سَأَلَنِي عَنْهُمَا

أَحَدٌ مُنْذُ سَأَلْتُهُ غَيْرُكَ، قَالَ: قِيلَ لِي: قُلْ، فَقُلْتُ: فَقُولُوا، فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ، فَقَالَ: قِيلَ لِي، فَقُلْتُ فَقُولُوا كَمَا قُلْتُ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ وَالنَّسَائِيُّ وَالْبَغَوِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي حَابِسٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أَبَا حَابِسٍ أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ هُمَا الْمُعَوِّذَتَانِ».

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْرَهُ عَشْرَ خِصَالٍ، وَمِنْهَا أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ الرُّقَى إِلَّا بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ».

وَأَخْرَجَ مَالِكٌ فِي "الْمُوَطَّأِ"، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ عَلَيْهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهِمَا».
وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي "صَحِيحَيْهِمَا"، مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ بِالْإِسْنَادِ الْمَذْكُورِ.

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي "مُسْنَدِهِ"، عَنِ زَيْدِ بن أرقم قالَ: «سحر النَّبِيّ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَاشْتَكَى، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَقَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ سَحَرَكَ، وَالسِّحْرُ فِي بِئْرِ فُلَانٍ، فَأَرْسَلَ عَلِيًّا، فَجَاءَ بِهِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَحُلَّ الْعُقَدَ، وَيَقْرَأَ آيَةً وَيَحُلَّ، حَتَّى قَامَ

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ». وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ مُطَوَّلًا، وكذلك أخرجه مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وفي "صحيح الإمام البخاري" نحو ذلك.

وبيان الساحر وهو لبيد بن الأعصم اليهودي، وبيان البئر وهي بئر ذَرْوَان.

وأخرج أبو داود والنسائي وابن الضريسي وابن الأنباري وابن مردويه والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: «كُنْتُ أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاقَتَهُ فِي السَّفَرِ، فَقَالَ لِي: يَا عُقْبَةُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا، فَعَلَّمَنِي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، قَالَ: فَلَمْ يَرَنِي سُرِرْتُ بِهِمَا جِدًّا، فَلَمَّا نَزَلَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ صَلَّى بِهِمَا صَلَاةَ الصُّبْحِ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا عُقْبَةُ، كَيْفَ رَأَيْتَ». وَفِي رِوَايَةٍ: أنه قَالَ: «يَا عُقْبَةُ تَعَوَّذْ بِهِمَا، فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا». وَأخرجه ابْن حبَان فِي "صَحِيحه"، وَالْحَاكِم بِنَحْوِ هَذَا، وَقَالَ: صَحِيح الْإِسْنَاد.

وأصل هَذَا الحَدِيث فِي "مُسلم" عَن عقبَة قَالَ قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾».

وَلَفظ الْحَاكِم: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُقْبَةُ اقْرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ سُورَةً أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَأَبْلَغَ مِنْهَا، فَإِذَا اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَفُوتَكَ فِي صَلَاةٍ فَافْعَلْ».

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ يَا جَابِرُ، فَقُلْتُ: مَا أَقْرَأُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟، قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فَقَرَأْتُهُمَا، فَقَالَ: اقْرَأْ، وَلَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا».

وَأخرج أَحْمد بِرِجَال ثِقَات من حَدِيث عقبَة قَالَ: «لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، أَلَا أُعَلِّمُكَ سُوَرًا مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ مِثْلُهُنَّ، لَا تَأْتِي لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتُ بِهِنَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾».

وَأخرج الطَّبَرَانِيّ فِي "الْأَوْسَط" بِإِسْنَاد رِجَاله ثِقَات من حَدِيث ابْن مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُنْزَلْ عَلَيَّ مِثْلُهُنَّ: الْمُعَوِّذَتَيْنِ».

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ الضُّرَيْسِ وَابْنُ الْأَنْبَارِيّ فِي "المَصَاحِف" عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَاتٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُنَّ قَطُّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ أَمِّ سَلَمَةَ مَرْفُوعًا: «مِنْ أَحَبِّ السُّوَرِ إِلَى اللَّهِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾». فَإِنَّهُمَا من أَحَبّ الْقُرْآن إِلَى اللَّه تعالى.

وأخرج ابْن أبي شيبَة فِي "مُصَنّفه" من حَدِيث عقبَة بن عَامر: «أَن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا عُقْبَةُ، اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ وَقُمْتَ، مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِمَا وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِمَا».

وأخرج التِّرمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ من حَدِيث أبي سعيد الْخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ وَمِنْ عَيْنِ الإِنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا».

قَالَ التِّرمِذِيّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَأخرجه ابْن ماجه من حَدِيثه. وأخرجه ابْن أبي شيبَة فِي "مُصَنفه" بلفظ: «اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ وَقُمْتَ»، فَهُوَ أحد أَلْفَاظ حَدِيث عقبَة بن عَامر الْمُتَقَدّم آنفًا. وَقد أخرجه بِهَذَا اللَّفْظ أَحْمَد وَالنَّسَائِيّ وَالْحَاكِم، وَصَحَّحهُ السُّيُوطِيّ.

وأخرجه أَحْمد وَرِجَال إِسْنَاده رجال الصَّحِيح: عَن يَزِيد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، وَالنَّاسُ يَعْتَقِبُونَ، وَفِي الظَّهْرِ قِلَّةٌ، فَحَانَتْ نَزْلَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَزْلَتِي، فَلَحِقَنِي مِنْ بَعْدِي فَضَرَبَ مَنْكِبِي، فَقَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَرَأْتُهَا مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَرَأْتُهَا مَعَهُ، فَقَالَ: إِذَا صَلَّيْتَ فَاقْرَأْ بِهِمَا».

وَأخرج الْبَزَّار بِإِسْنَادٍ رِجَاله رجال الصَّحِيح من حَدِيث عبد الله الْأَسْلَمِيّ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمْرَةٍ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَطْنِ وَاقِمٍ اسْتَقْبَلَتْنَا ضَبَابَةٌ فَأَضَلَّتْنَا الطَّرِيقَ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ عَدَلَ إِلَى كَثِيبٍ فَأَنَاخَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَامَ وَقَامَ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، فَمَا زَالَ يُصَلِّي حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ: قُلْ، قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟، قَالَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، حَتَّى فَرَغْتُ مِنْهَا. ثُمَّ قَالَ: قُلْ، قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟، قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، حَتَّى فَرَغْتُ مِنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَكَذَا فَتَعَوَّذْ، فَمَا تَعَوَّذَ الْعِبَادُ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ».

وَأخرج أَحْمد بن منيع فِي "مُسْنده": قَالَ" حَدَّثنا يُوسُف بن عَطِيَّة قَالَ: حَدَّثنَا هارون بن كثير عَن زيد بن أسلم عَن أَبِيه عَن أبي بن كَعْب قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قَرَأَ الْمُعَوِّذَات فَكَأَنَّمَا قَرَأَ جَمِيع مَا أنزل على مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». اهـ من "فتح القدير" ومن "تحفة الذاكرين".

وأخرج البيهقي في "شعب الإيمان" عن ابن مَسْعُود: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ الرُّقَى إِلَّا بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ».

وقال السيد المقبلي في "الإتحاف": والروايات كثيرة بنحو ما ذكرنا.

قوله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾: الْفَلَقِ الصُّبْحُ، يُقَالُ: هُوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَسُمِّيَ فَلَقًا لِانْفِلَاقِهِ عَنْ اللَّيْلِ، وَهُوَ فَعَلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ. قَالَ الزَّجَّاجُ: لِأَنَّ اللَّيْلَ يَنْفَلِقُ عَنْهُ الصُّبْحُ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، يُقَالُ: هُوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَمِنْ فَرَقِ الصُّبْحِ، وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُفَسِّرِينَ، وَمِنْهُ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ:

حَتَّى إِذَا مَا انْجَلَى عَنْ وجهه فلق   هاديه فِي أُخْرَيَاتِ اللَّيْلِ مُنْتَصِبُ

وَقَوْلُ الْآخَرِ:

يَا لَيْلَةً لَمْ أَنَمْهَا بِتُّ مُرْتَفِقًا   أَرْعَى النُّجُومَ إِلَى أَنْ نَوَّرَ الْفَلَقُ

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: الْفَلَقُ الصُّبْحُ. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ.

وَقِيلَ: الْفَلَقُ سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ، قالهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، أَخْرَجَهُ عنهُ ابْنُ جَرِيرٍ بهذا اللفظ وَهُوَ: الْفَلَقُ سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالدَّيْلَمِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، فَقَالَ: هُوَ سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ، يُحْبَسُ فِيهِ الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَتَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْهُ»

وَقِيلَ: الْفَلَقُ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ، أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلفظِ: «الْفَلَقُ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ»، وهكذا قال وهب، وأنه إذا فُتِح صَاحَ أهل النار من شدة حره.

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، فقَالَ: يَا ابْنَ عَبَسَةَ أَتَدْرِي مَا الْفَلَقُ؟، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: بِئْرٌ فِي جَهَنَّمَ». وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ غَيْرَ مَرْفُوعٍ.

وَقِيلَ: بَابٌ فِي جَهَنَّمَ، أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، هَلْ تَدْرِي مَا الفلق؟، باب في النار إذا فُتِح سُعِّرَتْ جَهَنَّمُ».

وَقِيلَ: هُوَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، قاله الْكَلْبِيُّ. وقِيلَ: هو اسم من أسماء جهنم. وقال الضحَّاك: الْفَلَقُ الْخَلْقُ كله. قال الزجاج: إذا تأملت الخلق بانَ لك أن أكثرهم عن انفلاق.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عبَّاسٍ قَالَ: الْفَلَقُ: الْخَلْقُ.

قال في "فتح القدير": هُوَ كُلُّ مَا انْفَلَقَ عَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ اللهُ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالصُّبْحِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى، وَكُلِّ شَيْءٍ مِنْ نَبَاتٍ وَغَيْرِهِ، قَالَهُ الْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: هَذَا الْقَوْلُ يَشْهَدُ لَهُ الِانْشِقَاقُ، فَإِنَّ الْفَلْقَ: الشَّقُّ، يُقالُ: فَلَقْتُ الشَّيْءَ فَلْقًا: شَقَقْتُهُ، وَالتَّفْلِيقُ مِثْلُهُ، يُقَالُ: فَلَقْتُهُ فَانْفَلَقَ وَتَفَلَّقَ، فَكُلُّ مَا انْفَلَقَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ حَيَوَانٍ وَصُبْحٍ وَحَبٍّ وَنَوًى وَمَاءٍ فَهُوَ فلق. قال الله سبحانه: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾[الأنعام: ٩٦]، وقال: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾[الأنعام: ٩٥] اهـ.

وَقِيلَ: الْفَلَقُ هُوَ الرَّحِمُ تَنْفَلِقُ بِالْحَيَوَانِ، وَقِيلَ: شَجَرَةٌ فِي النَّارِ، وَقِيلَ: هُوَ الْجِبَالُ وَالصُّخُورُ، لِأَنَّهَا تُفْلَقُ بِالْمِيَاهِ، أَيْ: تُشَقَّقُ، وَقِيلَ: هُوَ التَّفْلِيقُ بَيْنَ الْجِبَالِ لِأَنَّهَا تَنْشَقُّ مِنْ خشية اللهِ وَخَوْفِهِ. قَالَ النَّحَّاسُ: يُقَالُ لِكُلِّ مَا اطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ فَلَقٌ. وَمِنْهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ:

مَا زِلْتُ أَرْمُقُهُمْ حَتَّى إِذَا هَبَطَتْ   أيدي الرّكاب بهم من راكس فلقا

والركس: بطن الوادي، ومثله قول النابغة:

أَتـاني وَدُونـي رَاكِـسٌ فَالضَّـوَاجِعُ

فلق لعله.

قوله ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿أَعُوذُ﴾، أَيْ: استجيرُ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ فَيَعُمُّ جَمِيعَ الشُّرُورِ. وَقِيلَ: المُراد من شرِّ إِبْلِيس وَذُرِّيَّتُهُ، وَقِيلَ: من شَرِّ جهنَّم، وَلَا وَجْهَ لِهَذَا التَّخْصِيصِ، كَمَا أَنَّهُ لَا وَجْهَ لِتَخْصِيصِ مَنْ خَصَّصَ هَذَا الْعُمُومَ بِالْمَضَارِّ الْبَدَنِيَّةِ.

قوله ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: الْغَاسِقُ: اللَّيْلُ، وَالْغَسَقُ: الظُّلْمَةُ، يُقَالُ: غَسَقَ اللَّيْلُ يَغْسِقُ إِذَا أَظْلَمَ. قَالَ الْفَرَّاءُ: يُقَالُ: غَسَقَ اللَّيْلُ وَأَغْسَقَ إِذَا أَظْلَمَ، وَمِنْهُ قَوْلُ قَيْسُ بْنُ الرُّقَيَّاتِ:

إِنَّ هَذَا اللَّيْلَ قَدْ غَسَقَا وَاشْتَكَيْتُ الْهَمَّ وَالْأَرَقَا

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: قِيلَ لِلَّيْلِ: غَاسِقٌ لِأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ، وَالْغَاسِقُ الْبَارِدُ، وَالْغَسَقُ: الْبَرْدُ، وَلِأَنَّ فِي اللَّيْلِ تَخْرُجُ السِّبَاعُ مِنْ آجَامِهَا، وَالْهَوَامُّ مِنْ أماكنها، وينبعث أهل الشرّ على العيث وَالْفَسَادِ، كَذَا قَالَ قال في "فتح القدير": وَهُوَ قَوْلٌ بَارِدٌ، فَإِنَّ أَهْلَ اللُّغَةِ عَلَى خِلَافِهِ، وَكَذَا جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ. ووقبه: دُخُولُ ظَلَامِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَقَبَ الْعَذَابُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُمْ لَحِقَتْهُمْ نَارُ السَّمُومِ فَأُحْصِدُوا

أَيْ: دَخَلَ الْعَذَابُ عَلَيْهِمْ، وَيُقَالُ: وَقَبَتِ الشَّمْسُ إِذَا غَابَتْ، وَقِيلَ: الْغَاسِقُ: الثُّرَيَّا، وَذَلِكَ أَنَّهَا إِذَا سَقَطَتْ كَثُرَتِ الْأَسْقَامُ وَالطَّوَاعِينُ، وَإِذَا طَلَعَتِ ارْتَفَعَ ذَلِكَ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ.

قال في "فتح القدير": وَهَذَا مُحْتَاجٌ إِلَى نَقْلٍ عَنِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ يَصِفُونَ الثُّرَيَّا بِالْغُسُوقِ اهـ.

وفيه أيضًا ما لفظه: وَأَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَأَبُو الشَّيْخِ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، قال: النَّجْمُ: هُوَ الْغَاسِقُ، وَهُوَ الثُّرَيَّا. وَأَخْرَجَهُ ابْنُ جرير وابن أبي حاتم، ومن وَجْهٍ آخرَ عَنْهُ غَيْرَ مَرْفُوعٍ اهـ.

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: هُوَ الشَّمْسُ إِذَا غَرَبَتْ، وَكَأَنَّهُ لَاحَظَ مَعْنَى الْوُقُوبِ وَلَمْ يُلَاحِظْ مَعْنَى الْغُسُوقِ، وَقِيلَ: هُوَ الْقَمَرُ إِذَا خَسَفَ، ووقوبُهُ دخولُهُ في الكسوف واسوداده. وَقِيلَ: الْغَاسِقُ: الْقَمَر ووقوبُهُ امتلائه نورًا. قال في "العهد الأكيد"، ورُوِيَ مرفوعًا اهـ. وَقِيلَ: هُوَ القَمَرُ إِذَا غَابَ.

قال في "فتح القدير": وَبِهَذَا قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ، وَاسْتَدَلُّوا بِحَدِيثٍ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي "الْعَظَمَةِ"، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا إِلَى الْقَمَرِ لَمَّا طَلَعَ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». قَالَ التِّرْمِذِيُّ بَعْدَ إِخْرَاجِهِ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَهَذَا لَا يُنَافِي قَوْلَ الْجُمْهُورِ، لِأَنَّ الْقَمَرَ آيَةُ اللَّيْلِ وَلَا يُوجَدُ لَهُ سُلْطَانٌ إِلَّا فِيهِ، وَهَكَذَا يُقَالُ فِي جَوَابِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ الثُّرَيَّا.

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ: وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الرِّيَبِ يَتَحَيَّنُونَ وَجْبَةَ الْقَمَرِ اهـ.

وَقِيلَ: الْغَاسِقُ: هُوَ السَّائِلُ. وَفِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ: أَنَّ الْغَاسِقَ الذَّكَر إِذَا أَنْعَظَ. كذا في "العجائب والغرائب" للكرماني، ونسبه في "قيد الأوائد" لابن عباس.

والراجح من هذه التفاسير هو التفسير الْأَوَّلِ، وَوَجْهُ تَخْصِيصِهِ أَنَّ الشَّرَّ فِيهِ أَكْثَرُ، وَالتَّحَرُّزَ مِنَ الشُّرُورِ فِيهِ أَصْعَبُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ.

قوله ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾: قال في "فتح القدير": النَّفَّاثَاتُ: هُنَّ السَّوَاحِرُ، أَيْ: وَمِنْ شَرِّ النُّفُوسِ النَّفَّاثَاتِ، أَوِ النِّسَاءِ النَّفَّاثَاتِ اهـ. وَالنَّفْثُ: النَّفْخُ مَعَ رِيقٍ وَقِيلَ: من غير رِيقٍ، كَمَا يَفْعَلُ مَنْ يَرْقِي وَيَسْحَرُ. وَالْعُقَدُ: جَمْعُ عُقْدَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُنَّ كُنَّ يَنْفُثْنَ فِي عُقَدِ الْخُيُوطِ حِينَ يَسْحَرْنَ بِهَا، وَمِنْهُ قَوْلُ عَنْتَرَةَ:

فَإِنْ يَبْرَأْ فَلَمْ أَنْفِثْ عَلَيهِ ... وَإِنْ يُفقَدْ فَحُقَّ لَهُ الفُقُودُ

وقول مُتمّم بن نُوَيْرَة:

نفثت فِي الْخَيْطِ شَبِيهَ الرُّقَى ... مِنْ خَشْيَةِ الْجِنَّةِ وَالْحَاسِدِ

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: النَّفَّاثَاتُ هُنَّ بَنَاتُ لبيد الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيِّ، سَحَرْنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال في "فتح القدير": قَرَأَ الْجُمْهُورُ: النَّفَّاثَاتِ جَمْعُ: نَفَّاثَةٍ عَلَى المبالغة. وقرأ يعقوب وعبد الرّحمن بن سابط وعيسى بن عمر النَّفَّاثَاتِ جَمْعُ: نَافِثَةٍ. وَقَرَأَ أَبُو الرَّبِيعِ النَّفِثَاتُ بِدُونِ أَلِفٍ اهـ.

أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ قَالَ: السَّاحِرَاتُ. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْهُ ما نصّهُ فِي الْآيَةِ قَالَ: هُوَ مَا خَالَطَ السِّحْرَ مِنَ الرُّقَى.

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ» اهـ. "فتح القدير".

قوله﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: الْحَسَدُ: تَمَنِّي زَوَالِ النعمة التي أنعم اللَّه بها عَلَى الْمَحْسُودِ. ومعنى ﴿إِذَا حَسَدَ﴾: إذا أظهر ما في نفسه من الحسد، وعمل بما اقتضاه، وحمله على عَلَى إِيقَاعِ الشَّرِّ بِالْمَحْسُودِ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَمْ أَرَ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِالْمَظْلُومِ مِنْ حَاسِدٍ. وَقَدْ نَظَمَ الشَّاعِرُ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ:

قُلْ لِلْحَسُودِ إِذَا تَنَفَّسَ طَعْنَةً ... يَا ظَالِمًا وَكَأَنَّهُ مَظْلُومُ

كذا في "فتح القدير".

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن أنس مرفوعًا: «كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا، وَكَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَسْبِقَ الْقَدَرَ».

وفيه أيضًا: ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ إِرْشَادَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَخْلُوقَاتِهِ عَلَى الْعُمُومِ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَ الشُّرُورِ عَلَى الْخُصُوصِ مَعَ انْدِرَاجِهِ تَحْتَ الْعُمُومِ لِزِيَادَةِ شَرِّهِ وَمَزِيدِ ضُرِّهِ، وَهُوَ الْغَاسِقُ وَالنَّفَّاثَاتُ وَالْحَاسِدُ، فَكَأَنَّ هَؤُلَاءِ لِمَا فِيهِمْ مِنْ مَزِيدِ الشَّرِّ حَقِيقُونَ بِإِفْرَادِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِالذِّكْرِ اهـ.

وفي "العهد الأكيد": والعقدة والرقية جائزة مطلقًا، وقيل: لا مطلقًا، وقيل: يجوز بغير نفث في العقد، وقيل: ولا يجوز النفث، وقيل: يجوز في

الرقية من العين والحمة لا غير ذلك، وقيل: يجوز ذلك إن اعتقد أن النافع هو الله لا غيره، ولم يفعل ما لا يجوز اهـ.

قوله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾: قَرَأَ الْجُمْهُورُ: بِإِثْبَات الْهَمْزَةِ. وَقُرِئَ بِحَذْفِهَا وَنَقْلِ حَرَكَتِهَا إِلَى اللَّامِ، وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ بِتَرْكِ الْإِمَالَةِ فِي النَّاسِ، وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ بِالْإِمَالَةِ.

وَمَعْنَى ﴿رَبِّ النَّاسِ﴾: أَيْ: مَالِكُ جَمِيع أُمُورِهِمْ وَمُصْلِحُ كُلِّ أَحْوَالِهِمْ، والقائم بترتيبهم وما يصلح لهم ودفع ما يضرهم ويؤذيهم. وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿رَبِّ النَّاسِ﴾ مَعَ أَنَّهُ رَبُّ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شَرَفِهِمْ، وَلِمناسبة كَوْن الِاسْتِعَاذَة وَقَعَتْ مِنْ شَرِّ مَا يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾: عَطْفُ بَيَانٍ جِيءَ بِهِ لِبَيَانِ أَنْ رَبِّيَّتَهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَتْ كربية سائر الملاك لما تحت أيديهم ممن مَمَالِيكِهِمْ، بَلْ بِطَرِيقِ الْمُلْكِ الْكَامِلِ، وَالسُّلْطَانِ الْقَاهِرِ.

كذلك قوله ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾: هُوَ أَيْضًا عَطْفُ بَيَانٍ كَالَّذِي قَبْلَهُ، لِبَيَانِ أَنَّ رُبُوبِيَّتَهُ وَمُلْكَهُ لمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمورهم وسياستهم، والتولي لترتيب مبادئ حفظهم وحمايتهم.

بَلْ قَدِ انْضَمَّ إِلَيْهِمَا الْمَعْبُودِيَّةُ الْمُؤَسَّسَةُ عَلَى الْأُلُوهِيَّةِ، الْمُقْتَضِيَةِ لِلْقُدْرَةِ التَّامَّةِ عَلَى التَّصَرُّف الْكُلِّيِّ بِالِاتِّحَادِ وَالْإِعْدَامِ، وَأَيْضًا الرَّبُّ قَدْ يَكُونُ مَلِكًا، وَقَدْ لَا يَكُونُ مَلِكًا، كَمَا يُقَالُ رَبُّ الدَّارِ وَرَبُّ الْمَتَاعِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[التوبة: ٣١]، فَبَيَّنَ أَنَّهُ مَلِكُ النَّاسِ.

ثُمَّ الْمَلِكُ قَدْ يَكُونُ إِلَهًا، وَقَدْ لَا يَكُونُ، فَبَيَّنَ أَنَّهُ إِلَهٌ، لِأَنَّ اسْمَ الْإِلَهِ خَاصٌّ بِهِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ، وَأَيْضًا بَدَأَ بِاسْمِ الرَّبِّ وَهُوَ اسْمٌ خَاصٌّ لِمَنْ قَامَ بِتَدْبِيرِ الْمَرْبُوب وَإِصْلَاحِهِ مِنْ أَوَائِلِ عُمُرِهِ إِلَى أَنْ صَارَ عَاقِلًا كَامِلًا، بل القائم بإصلاح جميع شؤونه وأحواله، في جميع أطواره وحالاته.

فَحِينَئِذٍ عَرَف بِالدَّلِيلِ أَنَّهُ عَبْدٌ مَمْلُوكٌ فَذَكَرَ أَنَّهُ مَلِكُ النَّاسِ.

ثُمَّ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَازِمَةٌ لَهُ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ عَبْدٌ مَخْلُوقٌ وَأَنَّ إِلَهَهُ وَخَالِقَهُ إِلَهٌ مَعْبُودٌ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ إِلَهُ النَّاسِ، وَكَرَّرَ لَفْظَ النَّاسِ فِي الثَّلَاثَةِ الْمَوَاضِعِ لِأَنَّ عَطْفَ الْبَيَانِ يَحْتَاجُ إِلَى مزية الإظهار، ولأن التكرار يقتضي مزيد شَرَفِ النَّاسِ.

قال العلَّامة أبو السعود: وتخصيص الإِضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين فى سلك ربوبيته تعالى وملكوتيته وألوهيته للإرشاد إلى مناهج الاستعاذة المرضية عنده الحقيقة بالإِعاذة، فإن توسّل العائذ بربه وانتسابه إليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والعبودية فى ضمن جنس هو فرد من أفراده من دواعي مزيد الرحمة والرأفة، وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالإعاذة لا محالة، ولأن المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم فى سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز إلى إنجائهم من ملكة الشيطان وتسلُّطه عليهم حسبما ينطِق به قوله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[الحجر: ٤٢].

فمن جعل مدار تخصيص الإضافة لمجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر فى توفية المقام حقه، وأما جعل

المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله، وتكرير المضاف إليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالإضافة اهـ.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾: الْوَسْوَاس: قَالَ الْفَرَّاءُ: هُوَ بِفَتْحِ الْوَاوِ بِمَعْنَى الِاسْمِ، أَيِ: الْمُوَسْوِسِ، وَبِكَسْرِهَا الْمَصْدَرُ، أَيِ: الْوَسْوَسَةُ، وَهِيَ الصَّوْتُ الْخَفِيُّ كَالزِّلْزَالِ بِمَعْنَى الزَّلْزَلَةِ، وقيل: هو بالفتح اسم بمعنى الْوَسْوَسَةِ.

قال في "فتح القدير": وَالْوَسْوَسَةُ: هِيَ حَدِيثُ النَّفْسِ: يُقَالُ: وَسْوَسَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَسْوَسَةً، أَيْ: حَدَّثَتْهُ حَدِيثًا، وَأَصْلُهَا، الصَّوْتُ الْخَفِيُّ، وَمِنْهُ قِيلَ: لِأَصْوَاتِ الْحَلْيِ وَسْوَاسٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعْشَى:

تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْوَاسًا إِذَا انْصَرَفَتْ

قَالَ الزَّجَّاجُ: الْوَسْوَاسُ هُوَ الشَّيْطَانُ، أَيْ: ذِي الْوَسْوَاسِ، وَيُقَالُ: إِنَّ الْوَسْوَاسَ ابْنٌ لِإِبْلِيسَ اهـ.

ومعنى الْخَنَّاسِ: كثير الخنس وهو التأخُّر، أَيْ: الذي عادته ذلك، يُقَالُ: خَنَسَ يَخْنِسُ إِذَا تَأَخَّرَ، وَمِنْهُ قَوْلُ أبي العلاء الْحَضْرَمِيِّ يَمْدَحُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فَإِنْ دحسوا بِالشَّرِّ فَاعْفُ تَكَرُّمًا   وَإِنْ خَنَسُوا عِنْدَ الْحَدِيثِ فَلَا تَسَلْ

قَالَ مُجَاهِدٌ: إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ وَانْقَبَضَ، وَإِذَا لَمْ يُذْكَرِ انْبَسَطَ عَلَى الْقَلْبِ. وَوُصِفَ بِالْخَنَّاسِ لِأَنَّهُ كَثِيرُ الِاخْتِفَاءِ، وَمِنْهُ قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾[التكوير: ١٥]، يَعْنِي: النُّجُومَ لِاخْتِفَائِهَا بَعْدَ ظُهُورِهَا.

وَقِيلَ: الْخَنَّاسُ اسْمٌ لِابْنِ إِبْلِيسَ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْوَسْوَاسِ.

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، قَالَ: مَثَلُ الشَّيْطَانِ كَمَثَلِ ابْنِ عُرْسٍ وَاضِعٌ فَمَهُ عَلَى فَمِ الْقَلْبِ فَيُوَسْوِسُ إِلَيْهِ، فَإِنْ ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ، وَإِنْ سَكَتَ عَادَ إِلَيْهِ، فَهُوَ الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ.

وأخرج ابن أبي الدنيا في "مكائد الشَّيْطَانِ"، وَأَبُو يَعْلَى وَابْنُ شَاهِينَ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ"، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَهُ الْتَقَمَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ قَالَ: الشَّيْطَانُ جَاثٍ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالضِّيَاءُ فِي "الْمُخْتَارَةِ"، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْهُ قَالَ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى قَلْبِهِ الْوَسْوَاسُ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ اهـ.

وَأخرج ابْن مرْدَوَيْه عَن الحكم بن عُمَيْر الثمالِي عَن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْحذَرَ أَيُّهَا النَّاسُ، وإيَّاكُم والْوَسْوَاسَ الْخَنَاسَ، فَإِنَّمَا يَبْلُوْكُمْ؛ أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلاً» اهـ.

قوله ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعًا فِي مَحَلِّ جَرٍّ نَعْتًا لِلْوَسْوَاسِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى الذَّمِّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعًا عَلَى تَقْدِيرِ مُبْتَدَأٍ.

وَوَسْوَسَتُهُ إنما تكون حال الغفلة من ذكر الله تعالى كما مرَّ، أما في حالة الذكر فإنه يخنس.

وقوله ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾: الْجِنَّةُ: جَمْعُ جِنِّيٍّ، كَمَا أَنَّ الإِنْسَ جَمْع إِنْسِيّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾[الأنعام: ١١٢].

قَالَ الْحَسَنُ: أَمَّا شَيْطَانُ الْجِنِّ فَيُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الْإِنْسِ فَيَأْتِي عَلَانِيَةً. وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ مِنَ الْجِنِّ شَيَاطِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْإِنْسِ شَيَاطِينَ، فَتَعَوذُّوا بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ: «هَلْ تَعَوَّذْتَ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ».

فَقَالَ: وَهَلْ لِلْإِنْسِ شَيَاطِينُ؟، قَالَ: نَعَمْ، هُمّ أَضَرُّ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ.

وَعَنْ مَالِك بْن دِينَار: إِنَّ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ، لِأَنِّي إِذَا تَعَوَّذْتُ بِاللَّهِ ذَهَبَ شَيْطَانُ الْجِنِّ عَنِّي، وَشَيْطَانُ الْإِنْسِ يَجِيئُنِي فَيَجُرُّنِي إِلَى الْمَعَاصِي عِيَانًا.

ويجوز أن يكون قوله ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ متعلِّقٌ بقوله ﴿يُوَسْوِسُ﴾ أَيْ: يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ جِهَةِ الْجِنَّةِ وَمِنْ جِهَةِ النَّاسِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَيَانًا لِلنَّاسِ، على أنه يطلق على الجن أيضًا حسب إطلاق النفر والرجال عليهم.

قال العلَّامة أبو السعود: ولا تعويل عليه، وأقرب منه أن يراد بالناس الناسي، ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾[القمر: ٦]. ثم يبيّن بالجنة والناس فإن كلَّ فردٍ من أفراد الفريقين مبتلى بنسيان حق اللَّه تعالى إلا من تداركه شوافع عصمته وتناوله بواسع رحمته، عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره، ووفَّقنا لأداء حقوق شكره اهـ.

وفي "فتح القدير": وَقِيلَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنَ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ في صدور الناس ومن الجنة والناس، كَأَنَّهُ اسْتَعَاذَ رَبَّهُ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْطَانِ الْوَاحِدِ، ثُمَّ اسْتَعَاذَ بِرَبِّهِ مِنْ جَمِيعِ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ اهـ.

وفي "العجائب والغرائب" للكرماني ما مفاده: صرَّح بذلك الناس خمس مرَّات، والقياس الإضمار فيما عدا الأولى، قيل: لانفصال كل آية من الأخرى لعدم العاطف. وقيل: صرَّح به تعظيمًا له وتكرُّمه. وقيل: أُريد بكل واحد غير الأخرى، فالأول الأطفال ولفظ الرب المبين عن التربية يدل له، والثاني الشبَّان ولفظ المَلِك المبين عن السياسة يدل عليه، والثالث الشيوخ ولفظ الإله عن العبادة والتأله يدل عليه، والمراد من الجنة والناس الأشرار، وعطفه على المتعوَّذ منهم يدل عليه.

وفي "الإتحاف" للمقبلي: أخرج أبو بكر بن أبي داود في كتاب "ذم الوسوسة" عن معاوية بن أبي طلحة قال: «كَانَ من دُعَاءِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ اعمر قلبِي من وسواس ذكرك، واطرد عني وساوس الشَّيْطَان».

(وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ للَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَدَدَ خَلْقِ اللَّهِ وَرِضَا نَفْسِ اللَّهِ وَزِنَةَ عَرْشِ اللَّهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِ اللَّهِ مِائَة أَوْ خَمْسِين مَرَّة):

وأخرج مسلم من حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ». وأخرجه من حديثه أيضًا النسائي وابن ماجه والنسائي: «وَهُنَّ مِنَ الْقُرْآنِ».

وأخرج مسلم أيضًا والترمذي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ».

وأخرج النسائي أيضًا عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كُتِبَ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً، وَحَطَّ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ».

وأخرج الطبراني من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ». وأخرجه أيضًا من حديثه ابن أبي الدنيا قال: قال الحافظ المنذري: بإسنادٍ لا بأس به.

وأخرج الترمذي من حديث ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ». قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ اهـ.

وَأخرجه أيضًا الطَّبَرَانِيّ فِي "الصَّغِير" و"الأوسط" وَزَاد: «وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّه». وأخرجه بهذه الزيادة أيضًا ابن حبان في "صحيحه" من حديث أبي أيوب.

وأخرجه أيضًا الطبراني في "الكبير" من حديث سلمان الفارسي بإسنادٍ واهٍ ولفظه: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إن في الجنة قيعان فأكثروا من غراسها، قالوا: يا رسول الله وما غراسها؟، قال: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللهُ أَكْبَرُ». قال في "مجمع الزوائد": وَفِيهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عُلْوَانَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ.

وأخرج ابن ماجه والحاكم في "المستدرك" من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا الَّذِي تَغْرِس؟، قُلْتُ: غِرَاسًا، فَقَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذَا؟، سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، تُغْرَسُ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ». قال الحاكمُ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وحسَّن المنذري إسناد ابن ماجه.

وَأخرج الطَّبَرَانِيّ مِنْ حَدِيث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، غُرِسَ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ». قال المنذري: وإسناده حسن لَا بَأْس بِهِ فِي المتابعات.

وأخرج النسائي والحاكم في "المستدرك" والطبراني في "الأوسط" من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ؟، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ جُنَّتُكُمْ مِنَ النَّارِ، قُولُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجَنِّبَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ». قال الحاكمُ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. وزاد الطبراني في "الأوسط" من حديثه: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». وجوَّد الحافظ المنذري إسناده. وأخرجه من حديثه في "الصغير"، قال في "مجمع الزوائد": ورجاله في "الصغير" رجال الصحيح" اهـ. وأخرجه من حديثه البيهقي أيضًا، وأخرجه أيضًا من حديثه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه.

وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ منصور وأحمد وابن مردويه عن النعمان ابن بَشِيرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا وَإِنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ». وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا، وَزَادَ: التَّكْبِيرَ وَسَمَّاهُنَّ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا نَحْوَهُ، وَزَادَتْ «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ مَرْفُوعًا نَحْوَهُ. وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الضَّحَّاكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا فَذَكَرَ نَحْوَهُ دُونَ الْحَوْقَلَةِ.

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ سَعْدِ بْنِ جُنَادَةَ مَرْفُوعًا نَحْوَهُ. وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي "تَارِيخِهِ"، وَابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مِنْ قَوْلِهِ نَحْوَهُ. وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عن ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ قَوْلِهِ نَحْوَهُ. كذلك في "فتح القدير" للشوكاني.

وَقَوْله مُجَنِّبَات -بالجيم بعدها نون- أَيْ: مقدمات تقدمكم من أمامكم. وَقَوْله مُعَقِّبات -بضم الميم وتشديد القاف المكسورة- أَيْ: مؤخرات تعقبكم من ورائكم.

وفي رواية للحاكم: مُنْجِيَاتٌ -بتقديم النون على الجيم-، وهكذا رواه الطبراني في "الأوسط"، وجمع في "الصغير" بين اللفظين فقال: مُنْجِيَات وَمُجَنِّبَات.

وأخرج الطَّبَرَانِيُّ في "الكبير" من حديثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ، وَهُنَّ يَحْطُطْنَ الْخَطَايَا كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا، وَهُنَّ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ». وَفِي لفظٍ لهُ: «خُذْهُنَّ قَبلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُنَّ الْبَاقِيَاتِ» إلخ. قال في "مجمع

الزوائد": رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا عُمَرُ بْنُ رَاشِدٍ الْيَمَامِيُّ، وَقَدْ وُثِّقَ عَلَى ضَعْفِهِ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ اهـ.

وَقد وَردت عدّة أَحَادِيث فِي تَسْمِيَة هَذِه الْكَلِمَات بالباقيات الصَّالِحَات، مِنْهَا مَا أخرجه النَّسَائِيّ وَابْن حبان فِي "صَحِيحه" من حَدِيث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». وَأخرجه أَحْمد وَأَبُو يعلى بِإِسْنَادَيْنِ حسنَيْن. وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ أيضًا مرفوعًا بهذَا اللفظ.

وأخرجه الطبراني وابن شاهين وابن مردويه عن أبي الدرداء مرفوعًا بلفظ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، هُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ». ومنها ما أخرجه الطبراني في "الأوسط"، وفي إسناده بكير بن سليم وه وضعيف، وقد ذكره ابن حبان في الثقات والضعفاء. ومنها حديث أبي هريرة المتقدّم.

وأخرج ابن أبي شيبة في "مصنفه" من حديث ابْن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ أَعْرَابِي يَا رَسُول اللَّه، إِنِّي قد عَالَجت الْقُرْآن فَلم أستطعه فَعَلِّمْنِي شَيْئًا يُجْزِئُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبر، فَقَالَهَا وأمسكها بأصابعه، فَقَالَ: يَا رَسُول اللَّه هَذَا لِرَبي فَمَا لي؟، قَالَ: تقول: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي، وَأَحْسبهُ

قَالَ: واهدني، وَمضى الْأَعرَابِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذهب الْأَعرَابِي وَقد مَلأَ يَدَيْهِ خَيْرًا».

وَأخرجه ابْن أبي الدُّنْيَا من رِوَايَة الْحجَّاج بن أَرْطَاة وَهُوَ صَدُوق كثير الْخطَأ، عَن إِبْرَاهِيم السكْسكِي وَهُوَ صَدُوق ضَعِيف الْحِفْظ، عَن ابْن أبي أوفى.

وَأخرج هَذَا الحَدِيث من حَدِيثه أَيْضًا أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ بِهَذَا اللَّفْظ الَّذِي ذكرْنَاهُ، وَلم يذكرَا: «وَأَحْسبهُ قَالَ واهدني». وَقَالَ فِي آخِره: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ مَلأَ يَدَيْهِ مِنَ الْخيْر».

وأخرج النسائي والحاكم في "المستدرك" من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كُتِبَ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً، وَحُطَّتْ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، وَحُطَّتْ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً». قال الحاكم في "المستدرك": صحيح على شرط مسلم. وقال في "مجمع الزوائد": رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَزَّارُ. وزاد في آخره: «مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ».

وأخرج الْبَزَّار وَالطَّبَرَانِيّ فِي "الْكَبِير" من حَدِيث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْمَلَ

كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ أُحُدٍ عَمَلًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، قَالَ: كُلُّكُمْ يَسْتَطِيعُهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا؟، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ)).

وَأخرجه أَيْضًا ابْن أبي الدُّنْيَا من حَدِيثه، وَكلهم رَوَوْهُ عَن الْحسن الْبَصْرِيّ عَن عمرَان بن حُصَيْن، وَلم يسمع مِنْهُ، وَرِجَاله كلهم ثِقَات أَثْبَات لَوْلَا هَذَا الِانْقِطَاع بَين الْحسن وَعمْرَان، وَشَيخ النَّسَائِيّ عَمْرو بن مَنْصُور هُوَ ثِقَة أَيْضا.

وأخرج النَّسَائِيّ والْحَاكِم في "المستدرك" والطبراني في "الكبير" من حديث أُمِّ هَانِئٍ بنت أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ((مَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقُلْتُ: مُرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ وَأَنَا جَالِسَةٌ، قَالَ: سَبِّحِي اللَّهَ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ مِائَةَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاحْمِدِي اللَّهَ مِائَةَ تَحْمِيدَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ مِائَةَ فَرَسٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ، تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَبِّرِي مِائَةَ تَكْبِيرَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، وَهَلِّلِي اللَّهَ مِائَةَ تَهْلِيلَةٍ. قَالَ أَبُو خَلَفٍ رحمه الله تعالى: لَا أَحْسِبُهُ إِلَّا قَالَ: تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)). هذا لفظ النسائي، وقال الحاكمُ: صحيح الإسناد. وفي آخره: ((وَقَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تَتْرُكُ ذَنْبًا، وَلَا يُشْبِهُهَا عَمَلٌ)).

وأخرجه أحمد بن حنبل في "المسند" بإسناد حسن، وقال في آخره: ((قَالَ أَبُو خَلَفٍ: أَحْسِبُهُ قَالَ: تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَا يُرْفَعُ يَوْمَئِذٍ لِأَحَدٍ أَفْضَل مِمَّا يُرْفَعُ لَكِ إِلَّا أَنْ يَأْتِي بِمِثْلِ مَا أَتَيْت بِهِ)).

وأخرجه البيهقي بتمامه، وأخرجه ابن أبي الدُّنْيَا فجعل ثَوَاب الرِّقاب فِي التَّحْمِيد، ومِائَة فَرَس فِي التَّسْبِيح. وَقَالَ فِيهِ: وهللي مائة تَهْلِيلَة فَإِنَّهَا لَا تذر ذَنبًا وَلَا يسبقها عمل. وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ فِي "الْكَبِير" وَلم يقل أَحْسبهُ إلخ.

وَرَوَاهُ فِي "الْأَوْسَط" بِإِسْنَاد حسن إِلَّا أَنه قَالَ فِيهِ: قَالَتْ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَبُرَتْ سِنِيَّ وَرَقَّ عَظْمِي، فَدُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: بَخٍ بَخٍ، لَقَدْ سَأَلْتِ إلخ». وَقَالَ فِيهِ: «وَقُولِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِائَةَ مَرَّةٍ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكِ مِمَّا أَطْبَقَتْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، وَلَا يُرْفَعُ يَوْمَئِذٍ عَمَلٌ أَفْضَلُ مِمَّا يُرْفَعُ لَكِ، إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ مَا قُلْتِ، أَوْ زَادَ».

وَأخرج الطَّبَرَانِيّ فِي "الْكَبِير" من حَدِيث أبي أُمَامَة قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، كَانَ لَهُ مِثْلَ مِائَةِ بَدَنَة إِذَا قَالَهَا مِائَةَ مَرَّةٍ، وَمَنْ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَ عِدْلَ مِائَةِ فَرَسٍ، مُسَرَّجٍ مُلَجَّمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَ عِدْلَ مِائَةِ بَدَنَةٍ تُنْحَرُ بِمَكَّةَ».

قَالَ الحافظ الْمُنْذِرِيّ: رجال إِسْنَاده رُوَاة الصَّحِيح خلا سليم بن عُثْمَان الفوزي لم يكْشف حَاله، فَإِنَّهُ لَا يحضرني الْآن فِيهِ جرح وَلَا عَدَالَة اهـ. قال في "تحفة الذاكرين": قَالَ فِي الْمِيزَان سليم بن عُثْمَان الفوزي لَيْسَ بِثِقَة اهـ.

قلتُ: هو جرح مطلق كما ترى ليس فيه بيان علة قادحة، فلا يضر بذلك في مثل فضائل الأعمال، إذ هي يثبت بالضعيف الغير الشديد الضعف، فتأمَّلْ اهـ.

ورُوِي ابن أبي الدنيا والحاكم في "المستدرك" وقال: صحيح على شرط مسلم، وابن ماجه واللفظ له من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِذَا حَدَّثْتُكُمْ بِحَدِيثٍ أُنَبِّئُكُمْ بِتَصْدِيقِ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَتَبَارَكَ اللَّهُ، قَبَضَ عَلَيْهِنَّ مَلَكٌ، فَضَمَّهُنَّ تَحْتَ جَنَاحِهِ، وَصَعَدَ بِهِنَّ لَا يَمُرُّ عَلَى جَمْعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا اسْتَغْفَرُوا لِقَائِلِهِنَّ، حَتَّى يَجِيءَ بِهِنَّ وَجْهَ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ تَلَا عَبْدُ اللَّهِ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر: ١٠]». رَوَاهُ الحاكمُ وقال: صحيح الإسناد. قال الحافظ المنذري ما لفظه في "الترغيب والترهيب": قَالَ الْحَافِظ: كَذَا فِي نُسْخَتِي يحيا بِالْحَاء الْمُهْملَة وَتَشْدِيد الْمُثَنَّاة تحت. وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ فَقَالَ: حَتَّى يَجِيء -بِالْجِيم- وَلَعَلَّه الصَّوَاب اهـ.

وَعَن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ غُصْنًا فَنَفَضَهُ، فَلَمْ يَنْتَفِضْ، ثُمَّ نَفَضَهُ فَلَمْ يَنْتَفِضْ، ثُمَّ نَفَضَهُ فَانْتَفَضَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَاللَّهُ أَكْبَرُ، تَنْفُضُ الْخَطَايَا كَمَا تَنْفُضُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا». رَوَاهُ أَحْمد وَرِجَاله رجال الصَّحِيح.

وَرواهُ التِّرْمِذِيّ وَلَفظه: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِشَجَرَةٍ يَابِسَةِ الوَرَقِ فَضَرَبَهَا بِعَصَاهُ، فَتَنَاثَرَ الوَرَقُ، فَقَالَ: إِنَّ سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَتُسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ العَبْدِ كَمَا تَسَاقَطَ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ». وَقَالَ: حَدِيث غَرِيب وَلَا يعْرف للأعمش سَمَاعًا من أنس إِلَّا أَنه قد رَوَاه وَنظر إِلَيْهِ اهـ. وفي "الترغيب والترهيب": قَالَ الْحَافِظ: لم يروه أَحْمد من طَرِيق الْأَعْمَش اهـ.

وَرُوِيَ عَن أنس بن مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ رجل بدوي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمنِي خيرًا، قَالَ: قُل سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْد لله وَلَا إِلَه إِلَّا اللَّه وَاللَّه أكبر، ثمَّ رَجَعَ فَلَمَّا رَآهُ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبسم وَقَالَ: تَفكَّرَ البائس، فَقَالَ: يَا رَسُول اللَّه سُبْحَانَ اللَّه وَالْحَمْد لله وَلَا إِلَه إِلَّا اللَّه وَاللَّه أكبر، هَذَا كُله لله، فَمَا لي فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذا قلت سُبْحَانَ اللَّه قَالَ اللَّه: صدقت، وَإِذا قلت الْحَمد لله قَالَ اللَّه: صدقت، وَإِذا قلت لَا إِلَه إِلَّا اللَّه قَالَ اللَّه: صدقت، وَإِذا قلت اللَّه أكبر قَالَ اللَّه: صدقت، فَتَقول: اللَّهُمَّ اغْفِر لي، فَيَقُول اللَّه: قد فعلت، فَتَقول: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، فَيَقُول اللَّه: قد فعلت، فتقول: اللَّهُمَّ ارزقني، فَيَقُول اللَّه: قد فعلت، قَالَ: فعقد الْأَعرَابِي سبعًا فِي يَده». رَوَاهُ ابْن أبي الدُّنْيَا وَالْبَيْهَقِيّ وَهُوَ فِي "الْمسند"، وَ"سنَن النَّسَائِيّ" من حَدِيث أبي هُرَيْرَة بِمَعْنَاه.

وَعَنْ سَلْمَى أُمِّ بَنِي أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِكَلِمَاتٍ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ، قَالَ: قُولِي اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ عَشْرَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ اللهُ: هَذَا لِي، وَقُولِي: سُبْحَانَ اللَّهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ اللَّهُ: هَذَا لِي، وَقُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَقُولُ اللَّهُ: قَدْ فَعَلْتُ، فَتَقُولِينَ عَشْرَ مَرَّاتٍ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ: قَدْ فَعَلْتُ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ وَرُوَاته مُحْتَج بهم فِي الصَّحِيح.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّه -يَعْنِي ابْن مَسْعُود- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ يُؤْتِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُؤْتِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ أَحَبّ، فَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَتَاهُ الْإِيمَانَ، فَمَنْ ضَمِنَ بِالْمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ، وَهَابَ الْعَدُوَّ أَنْ يُجَاهِدَهُ، وَاللَّيْلَ أَنْ يُكَابِدَهُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ وَرُوَاته ثِقَات. قال الحافظ المنذري: وَلَيْسَ فِي أَصله رَفعه. وقوله ضن -بالضاد الْمُعْجَمَة- أَي بخل.

وَعَنْ أَبِي الْمُنْذِرِ الْجُهَنِيّ قَالَ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ، عَلِّمْنِي أَفْضَلَ الْكَلَامِ، قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مِائَةَ مَرَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَإِنَّكَ يَوْمَئِذٍ أَفْضَلُ النَّاسِ عَمَلًا إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ مَا قُلْتَ، وَأَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَر، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ، وَإِنَّهَا مِمْحَاةٌ لِلْخَطَايَا. أَحْسَبُهُ قَالَ: مُوجِبَةٌ لِلْجَنَّةِ». رَوَاهُ الْبَزَّارُ مِنْ رِوَايَةِ جابر الْجُعْفِيّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، قَالَ اللَّهُ: أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ». رَوَاهُ الْحَاكِم وَقَالَ: صَحِيح الْإِسْنَاد.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟، قَالَ: المَسَاجِدُ، قُلْتُ: وَمَا الرَّتْعُ؟، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَقَالَ: حَدِيث غَرِيب. قال في "الترهيب والترغيب" بعد إيراده ما لفظه: قَالَ الْحَافِظ وَهُوَ مَعَ غرابته حسَن الْإِسْنَاد اهـ.

وقوله (عدد خلق اللَّه) إلخ: قد ورد ما يدل على أن المثل ذلك فضلاً عظيمًا وثوابًا جزيلاً وأجرًا جسيمًا. أخرج النسائي وابن حبان والطبراني وأحمد من حديث أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيّ.

ولفظ النسائي: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ فَقَالَ: مَاذَا تَقُولُ يَا أَبَا أُمَامَةَ؟، قَالَ: أَذْكُرُ رَبِّي، قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَكْثَرَ وَأَفْضَلَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ وَالنَّهَارِ مَعَ اللَّيْلِ، أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ اللَّه، سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ اللَّه، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ،

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ». وأخرجه من هذا الوجه ابن حبان في "صحيحه"، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

ولفظ الطبراني في "الكبير": «تَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ اللَّه، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ اللَّه، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتُسَبِّحُ اللَّهَ مِثْلَهُنَّ. ثُمَّ قَالَ: قُلْهُنَّ وَعَلِّمْهُنَّ عَقِبَكَ مِنْ بَعْدَكَ». وَفِي إِسْنَاده لَيْث بن أبي سليم وَهُوَ ثِقَة مُدَلِّس.

وَأخرجه الطَّبَرَانِيّ فِي "الْكَبِير" أيضًا من حَدِيثه من وَجه آخر بِمثل هَذَا اللَّفْظ، وَقَالَ فِي آخِره: «وَتُسَبِّحُ مِثْلَ ذَلِكَ وَتُكَبِّرُ مِثْلَ ذَلِكَ». قَالَ فِي "مجمع الزَّوَائِد": رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ من طَرِيقين وَإِسْنَاد أَحدهمَا أحسن.

وَأخرجه الطَّبَرَانِيّ فِي "الْكَبِير" أَيْضًا من حَدِيثه من وَجه ثَالِث بِلَفْظ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ اللَّه، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ». وَفِي إِسْنَاده مُحَمَّد بن خَالِد الوَاسِطِيّ وَقد نسب إِلَى الْكَذِب، وَوَثَّقَهُ ابْن حبَان وَقَالَ: يُخطئ وَيُخَالف، وَبَقِيَّة رِجَاله رجال الصَّحِيح كَذَا فِي "مجمع الزَّوَائِد".

وَأما لفظ أَحْمد فَأخْرجهُ من طَرِيق سَالم بن أبي الْجَعْد عَن أَبِي أُمَامَةَ أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ لله، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِثْلَهَا، فَأَعْظِمْ ذَلِكَ». قَالَ فِي "مجمع الزَّوَائِد": رَوَاهُ أَحْمد وَرِجَاله رجال الصَّحِيح. كذا أفاد هذه الجملة العلَّامة الربَّاني القاضي محمد بن علي الشوكاني في "تحفة الذاكرين".

ثم قال: وَالْحَاصِل أَنه صحّح حَدِيث أبي أُمَامَة هَذَا بِاعْتِبَار الْبَعْض من طرقه ثَلَاثَة أَئِمَّة ابْن حبَان وَالْحَاكِم كَمَا تقدَّم، وَالثَّالِث ابْن خُزَيْمَة، وَحسَّن الْمُنْذِرِيّ إِسْنَادًا من أَسَانِيد الطَّبَرَانِيّ، وَكَذَا الهيثمي كَمَا تقدَّم وَقَالَ: إِن رجال أَحْمد رِجَال الصَّحِيح اهـ.

ثم اعلم أن الحديث يدل على كتب الأجر يكون بعدد ما أضاف الذاكر إليه الذكر من عدد أو وزن أو نحوهما، وهكذا سائر الأحاديث الواردة بنحو ذلك، وذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء.

وقد ورد في فضل التسبيح والتهليل والتحميد غير ذلك مما لا يحصيه إلا العليم الخبير.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: اللَّهُمَّ يَا دَائِمَ الْفَضْلِ عَلَى البَرِيَّةِ وَيَا بَاسِطَ اليَدَيْنِ بِالْعَطِيَّةِ وَيَا صَاحِبَ المَوَاهِبِ السَّنِيَّةِ صَلِّ عَلَى مَوْلَانَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الوَرَى بِالسَّجِيَّة وَاغْفِرْ لَنَا يَا ذَا العُلَا فِي هَذِهِ الْعَشِيَّةِ عَشْر مَرَّات. وَهَذِهِ اسْتِعْمَالهَا فِي رَاتِبِ عَشِيَةِ الجُمُعَةِ فَقَطْ):

ذكر السخاوي في "القول البديع": عن الحبر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن من قال ليلة الجمعة عشر مرَّات: اللَّهُمَّ يَا دَائِمَ الْفَضْلِ عَلَى البَرِيَّةِ وَيَا بَاسِطَ اليَدَيْنِ بِالْعَطِيَّةِ وَيَا صَاحِبَ المَوَاهِبِ السَّنِيَّةِ صَلِّ عَلَى مَوْلَانَا مُحَمّدٍ خَيْرِ الوَرَى بِالسَجِيَّة وَاغْفِرْ لَنَا يَا ذَا العُلَا فِي هَذِهِ الْعَشِيَّةِ، كتب اللَّه له عَزَّ وجَلَّ مائة ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع عنه ألف ألف درجة، فإذا كان يوم القيامة زاحم إبراهيم الخليل في قبته» اهـ. وذكر أنه أخرجه أبو موسى المديني، قال السخاوي: ولا يصح اهـ.

قوله (يا دائم الفضل على البرية): الدوام هنا بمعنى الاستمرار، والفضل لغة: الزيادة، والمراد هنا التفضُّل والإحسان. والبرية: المخلوقات. أَيْ: يا مستمر التفضُّل والإحسان على كافة المخلوقات.

قوله (يا باسط اليدين بالعطية): الباسط: من البسط عند القبض، واليدين من المتشابه، نؤمن به ونفوِّض أمره إلى اللَّه تعالى. والعطية: الهبة لا في مقابلة عِوَض.

وفي الحديث: عَنْ أَبِي مُوسَى عبد اللَّه بن قيس الْأَشْعَرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ

النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا». رواه مسلم.

قوله (يا صاحب المواهب السنية): المواهب: جمع موهبة، وهي قريبة من معنى العطية. والسنية: من السناء بالمد: الرفعة، كذا في "حاشية الشبلي على المطول"، ونحوه في "حاشية الشنواني على إتحاف المريد للقاني".

قوله (صل على مولانا محمد خير الورى بالسجية): المولى يطلق لمعانٍ منها هنا السيد والناصر. وخير الورى أَيْ: أفضلهم، والورى -بالقصر-: الخلق. والسجية: الطبع والخلق.

قوله (واغفر لنا يا ذا العلا في هذه العشية): اغفر لنا، الغفر: الستر والتغطية، ومن ذلك الغفر أو هي المحو. والعلا -بضم المهملة والقصر- أَيْ: العلو والرفعة.

والعشية: نسبة إلى العشي وهو من وقت الزول أَيْ: بعد زوال الشمس عن كبد السماء، وآخره ما نصف الليل الأول أو آخر الليل خلافٌ.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ. [مِائَة وَسَبْعَة مِنْهَا سَبْعَةٌ بِمَدِّ الصَّوتِ بِيَاءِ النِّدَاءِ وَسِتَةٌ وَسِتُّونَ بِيَاءِ النِّدَاءِ أَيْضًا بِخِفَّةٍ وَمَا تَبَقَّى بِغَيْرِ يَاءٍ وَهُوَ: حَيٌّ قَيُّومٌ ثُمَّ تَقُولُ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ]):

الحَيُّ القيُّومُ: اسمان من أسمائه عَزَّ وجَلَّ تقدَّم الكلام عليهما، واختار جماعةٌ أنهما الاسم الأعظم، الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب، وممن اختار ذلك وجنح إليه الإمام النووي والحافظ ابن الجزري والعلَّامة المجتهد ابن قيم الجوزية في "الهَدْي".

قال المُحقِّقون المختارون لذلك: لأنه لم يرد في القرآن العزيز إلا في ثلاث مواضع في البقرة وآل عمران وطه، وقد وردت فيما يدل على ذلك عدة أحاديث.

من جملتها ما أخرجه ابن ماجه والْحَاكِمُ فِي "الْمُسْتَدْرك" والطبراني في "الكبير" من حَدِيث أبي أمامة الباهلي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فِي الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ وَطَهَ». قال المناوي في "شرحه الكبير على الجامع": وفيه هشام بن عمار مُختلف فيه.

وقال في "المختصر": وإسناده حسن. وقيل: صحيح. قال أبو أسامة: فالتمستها فوجدت في البقرة في آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وفي آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[آل عمران: ٢]، وفي طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾[طه: ١١١].

وَمِنْهَا مَا أخرجه أَحْمد وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَه من حَدِيث أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٦٣]، وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿الم ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾».

قال في "تحفة الذاكرين" بعد إيراده ما لفظه: وَقد حسَّنهُ التِّرْمِذِيّ. قَالَ الْمَنَاوِيّ فِي "الْمُخْتَصر": وَصَحَّحهُ غَيره اهـ. وَفِي إِسْنَاده عبد الله ابْن أبي ذئاب القداح وَفِيه لين، وَضَعَّفه ابْن معِين، وَقَالَ أَبُو دَاوُد: فِي أَحَادِيثه مَنَاكِير اهـ.

واعلم أنه قد اختُلِف في الاسم الأعظم وفي تعيينه نحو من أربعين قولاً، وقد أفردها الحافظ الجلال السيوطي وغيره من التصنيف. وقد نظم ملخص ذلك الفاضل المُحقّق السجاعي.

قال الحافظ ابن حجر: وأرجحها من حيث السند: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ». وهذا الحَدِيث أخرجه أهل السّنَن الْأَرْبَع وَصَحَّحهُ ابْن حبَان من حَدِيث بُرَيْدَة، وَحسَّنه التِّرْمِذِيّ وَصَحَّحهُ ابْن حبَان.

وَأخرجه أَيْضًا من حَدِيثه الْحَاكِم وَقَالَ: صَحِيحٌ على شَرطهمَا. وَلَفظه عِنْده: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ». قَالَ الْمُنْذِرِيّ: قَالَ شَيخنَا أَبُو الْحُسَيْن الْمَقْدِسِي: وَإِسْنَاده لَا مطْعن فِيهِ، وَلم يرد فِي هَذَا الْبَاب حَدِيث أَجود إِسْنَادًا مِنْهُ. كذا في "تحفة الذاكرين".

وكَان ابْن عَبَّاسٍ يَقُولُ: أَعْظَمُ أَسْمَاءِ اللهِ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. وقد رجح الإمام الرازي في "لوامع البينات" قول من قال: الحي القيوم اسم الأعظم.

وقد أوصى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به أحب بناته إليه سيدتنا فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تقول في الصباح والمساء: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ.

وروى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَهَمَّهُ أَمْرٌ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ قَالَ: يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ».

وعنه أيضًا من حديثه «أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ».

قال في "المواهب" بعد إيراد ذلك في ذكر طه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فِي دَفْعِ هَذَا الدَّاءِ مُنَاسَبَةٌ بَدِيعَةٌ، فَإِنَّ صِفَةَ الْحَيَاةِ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ مُسْتَلْزِمَةٌ لَهَا، وَصِفَةُ الْقَيُّومِيَّةِ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ، وَلِهَذَا كَانَ اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى: هُوَ اسْمُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ.

وَالْحَيَاةُ التَّامَّةُ تُضَادُّ جَمِيعَ الْآلَامِ وَالْأَسْقَامِ، وَلِهَذَا لَمَّا كَمُلَتْ حَيَاةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَمْ يَلْحَقْهُمْ هَمٌّ وَلَا غَمٌّ، وَلَا حَزَنٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْآفَاتِ.

وَالتَّوَسُّلُ بِصِفَةِ الْحَيَاةِ وَالْقَيُّومِيَّةِ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي إِزَالَةِ مَا يُضَادُّ الْحَيَاةَ، وَيَضُرُّ بِالْأَفْعَالِ. فَلِهَذَا لِاسْمِ الْحَيِّ الْقَيُّوم تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي إِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ وَكَشْفِ الْكُرُبَاتِ. وَلِهَذَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ

قَالَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ» اهـ. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اجْتَهَدَ يَقُولُ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ».

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: الفَاتِحَةَ لِقُطْبِ أَهْلِ الوِصَالِ مَوْلَانَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ مِنَ الكَبِيرِ المُتْعَالِ وَتَقْرَؤُهَا سِرًّا):

القطبُ: ما يدور عليه غيره كالمركز. وفي "مطالع المسرات": القطب: ملاك الشيء والذي عليه المدار اهـ بيان القطب.

وسُمّي غوثًا باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر اللَّه تعالى في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو سرُّهُ في الكون، وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد بيده، فسطاط الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق الأعم، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة، فهو يقتضي روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل.

وهو على قلب إسرافيل من حيث ملائكته الحاملة مادة الحياة والإحساس، لا من حيث إنسانيته، وحكم جبريل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل كحكم القوة الحادية فيها، وحكم عزرائيل كحكم القوة الدافعة فيها القطبية الكبرى، هي مرتبة قطب الأقطاب، وهو باطن نبوة مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا تكون إلا لذريته لاختصاصه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالأكملية. فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلا على باطن النبوة.

والوِصال -بكسر الواو- والمُراد به هنا االوصول، والمولى هنا بمعنى السيد. وأفضل الصلاة والسلام أيْ: أشرفها وأعلاها. والمُتعال: من أسمائه تعالى الحُسنى التسعة وتسعين المشهورة، معناه المُتعاظم المُتنزّه الرفيع المكانة.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: الفَاتِحَةَ لِسَائِرِ قَادَاتِنَا أَهْلِ النِّيَابَةِ وَجَمِيعِ سَادَاتِنَا الأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ وَتَقْرَؤُهَا سِرًّا):

القادات: جمع قادة جمع قائد: وهو كل رئيس مُتقدِّم على جماعة.

والنيابة: القيام مقام المنوب عنه.

اعلم أن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١]، ما يرشد إلا أن كافة النبيين المُتقدّم بعثهم على بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم بمنزلة النوّاب عنه، كما أشار إلى ذلك جمعٌ من السادة الصوفيَّة وغيرهم.

قال سيد العارفين بالله تعالى مُحمَّد وفا:

فأنت رسولُ الله أعظمُ كائنٍ ... وأنت لكل الخلقِ بالحَقِّ مُرْسل

وقال سيد العارفين بالله تعالى السيد سالم شيخان العلوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لك ذات العلوم والأسماء ... يا نبِيًّا نوّابه الأنبياءُ

وقال سيدي عبد الغني النابلسي نفع الله تعالى به:

كل النبيين والرسل الكرام أتوا ... نيابة عنه في تبليغ دعواه

فهو الرسول إلى الخلائق في كل الدهور ونابت عنه أفواه

وفي "الفتوحات المكية" للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونفع به ما صورته: مستمد جميع الأنبياء والمرسلين من روح مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ هو قطب الأقطاب، فهو مُمدّ لجميع الناس أولاً وآخرًا، فهو مُمدّ لكل نبِيّ ووَلِيّ، سابق على ظهوره حال كونه في الغيب، ومُمدّ أيضًا لكل ولِيّ لاحق به، فيوصله بذلك إلى مرتبة كماله في حال كونه موجودًا في عالم الشهادة، وفي حال كونه متنقلاً إلى الغيب، الذي هو البرزخ والدار الآخرة، فإن أنوار رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير منقطعة عن المُتقدّمين والمُتأخرين. ثم قال: وكل نبي تقدَّم على زمان ظهور فهو نائبٌ عنه في بعثته بتلك الشريعة اهـ. أفاده العارف السيد العيدروسي في "شرح صلاة العارف السيد البدوي العلوي".

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: الفَاتِحَةَ لِجُمْلَةِ أَئِمَّتِنَا الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ سَادَاتِنَا وَمَوَالِينَا أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ أَهْلِ الصَّفَا وَالوَفَا وَتَقْرَؤُهَا سِـرًّا):

الخلفاء: جمع خليفة، وهو الذي يخلف غيره في أمر من الأمور ويقوم مقامه ويسد سد خلفه يخلفه بالضم خلافة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾[يونس: ١٤]، وقال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

ثم جعل الخليفة اسمًا لمن جعل خلف غيره في الملك، والقافية للنقل من الوصفية للاسمية، أو هي للتأنيث بتقدير الموصوف مؤنثًا. أَيْ: نفس خليفة. ثم الخليفة اسم يصلح للمفرد والجمع، كما يصلح للمذكر والمؤنث.

قال الشبلي في "حاشية المطول": في "الصحاح": الْخَلِيفَةُ: السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ. وَجَمْعُهَا خَلَائِفُ جارِيًا عَلَى الْأَصْلِ كَكَرِيمَةٍ وَكَرَائِمَ، وَجَمْعُهَا خُلَفَاءُ فَجَمَعُوهُ عَلَى إِسْقَاطِ الْهَاءِ على أنه لا يقع إلا على مذكر، لِأَنَّ فَعِيلَةً بِالتَّاءِ لَا تُجْمَعُ عَلَى فُعَلَاءَ اهـ.

واعلم أنهم ذكروا في سبب تسمية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيفَةً وَجْهَيْنِ: أحدهما: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا نَفَى الْجِنَّ مِنَ الْأَرْضِ كَانَ آدَمُ عليه السلام خَلِيفَةً لِأُولَئِكَ الْجِنِّ الَّذِينَ تَقَدَّمُوهُ، يُرْوَى ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. والوَجْه الثَّانِي وهو الرَّاجِح: إِنَّمَا سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى خَلِيفَةً لِأَنَّهُ يَخْلُفُ اللَّهَ تَعَالَى فِي الْحُكْمِ بَيْنَ خَلْقِهِ.

وَهُوَ مَرْوِيٌّ أَيضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَالسُّدِّيّ مِمَّا يُؤَكِّد ذلك قَوْل تَعالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[ص: ٢٦].

ورُوِي: أنَّ رجلاً سأل طلحة والزُّبير وكعبًا وسلمان: ما الخليفة وما الملك؟، فقال طلحة والزُّبير: ما ندري، وقال سلمان: إن الخليفة هو الذي يعدل في رعيته ويقسم بينهم بالسوية، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله والوالد على ولده، ويقضي بكتاب اللّٰه عَزَّ وجَلَّ. فقال كعب: ما كنت أحسب أن أحدًا يفرِّق الخليفة من الملك غيري، ولكنّ اللّٰه تعالى ملأ سلمان علمًا وحلمًا وعدلاً اهـ.

قلتُ: ويؤيد أن الخليفة هو العادل قوله عَلَيْهِ الصلَّاةُ وَالسَّلَامُ: «الْخِلَافَةُ بَعْدِي فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ» بعد ذلك رواه أحمد في "المسند" والترمذي وغيرهما. وقد كان في تمام الثلاثين السنة بخلافة الحسن بن عليّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا.

ثم اعلم أنه اختُلِف في الترتيب بين الخلفاء الأربعة، هل هو قطعي أم ظني؟، ذهب الإمام أبو الحسن الأشعري إلى الأول، وذهب القاضي وإمام الحرمين إلى الثاني وهو الأظهر والأوجه.

وأما ما ورد في فضائل الأربعة وكذا الحسنين فأمرٌ أشهر أن يذكر، وأظهر أن يشهر، وقد بسطتُ القول بعض البسط، وفي "شرحي على مولد المُصنّف" رضي اللّٰه تعالى عنه وأرضاه، وذكرتُ في ذلك نبذة صالحة تفيد الطالب وينتفع بها الراغب، وباللّٰه التوفيق.

والصفاء -بالمد- : ضد الكدر. والوفاء: نقيض الغدر -بالمد أيضًا- : وهو الخلوص، وصفاء المودة خلوصها.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: الفَاتِحَةَ لِسَيِّدَتِنَا فَاطِمَةَ الزَّهْـرَاءِ خِزَانَـةِ مَدَدِنَا دُنْيَا وَأُخْرَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا وَجَعَلَنَا فِي الدَّارَيْنِ فِي حِمَى أَبِيهَا وَحِمَاهَا وَتَقْرَؤُهَا سِـرًّا):

اعلم أنه قد وردَ في فضائلها ما لا يحصى كثرة، وهي أفضل بناته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولدت بعد النبوة بعد ميلاده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإحدى وأربعين سنة على الأصح.

والراجح أنها أفضل نساء العالمين مطلقًا لخبر: «مَـرْيَمُ خَيْـرُ نِسَاءِ عَالَمِهَا وَفَاطِمَةُ خَيْرُ نِسَاءِ عَالَمِهَا» وهذه الأمة خير الأمم بنص الكتاب العزيز، وهذا الحديث وإن كان مرسلاً فإنه صحيح، وقد رواه الترمذي موصولاً من حديث علِيّ بلفظ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ وَخَيْرُ نِسَائِهَا فَاطِمَةُ». قال الحافظ ابن حجر: والمرسل يفسّر المُتّصل.

وسُمّيت فاطمة لأنه اللّه تعالى قد فطمها وولدها ومن أحبّهم من النار، كما ورد بمعنى ذلك الخبر، ولُقّبت بالزهراء لفرط جمالها، إذ الأزهر: النَّيِّر المُشرق شديد الإشراق، وفي وصفه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه كان أزهر اللون. وروى الغسّاني: أنها سُمّيت بالزهراء لأنها تحض.

وورَدَ: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُقبّلها في فِيهَا ويمصها لسانه، وقبّل يومًا نحرها، وقال: «إِنَّ فَاطِمَةَ بِضْعَةٌ مِنِّي، مَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»

وقال: «ابنتي مضغة مني يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها»، ورُوِيَ: «إن الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها».

كانت أشبه الناس بأبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما تخطيء مشيتها مشيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخبرها أنها سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء أهل الجنة.

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ فَاطِمَةَ أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا فَحَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى ذُرِّيَّتَهَا عَلَى النَّارِ». وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ابْنَتِي فَاطِمَةُ حَوْرَاءُ آدَمِيَّةٌ لَمْ تَحِضْ وَلَمْ تَطْمُثْ». والطمث من أسماء الحيض، فيكون عطف تفسير، بمعنى أَيْ: لم تطمث. ورُوِي أنه ولي ودلاتها أربع نسوة: حواء ومريم وآسية وكلثم.

ويُروَى: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ، يَا أَهْلَ الْجَمْعِ نَكِّسُوا رُءُوسَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَمُرَّ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ عَلَى الصِّرَاطِ، فَتَمُرُّ وَمَعَهَا سَبْعِينَ أَلْفَ جَارِيَةٍ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ كَالْبَرْقِ اللَّامِعِ». وبطنان العرش: وسطه، وكذا بطنان الجنة. قاله الجوهري.

والخِزانة -بكسر الخاء المعجمة- : ما يخزن فيه الشيء أَيْ: يدخر، ولا يفتح خاؤها، ولذا لا يقول: لا تفتح الخِزانة. والمدد -بالتحريك- : زيادة الشيء ما يصلحه، وهو الزيادة مطلقًا. والدارين: دار الدنيا ودار الآخرة. والحمى -بكسر الحاء المهملة- : ما يحميه الشخص أَيْ: يمنعه من غيره. والله أعلم.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: الفَاتِحَةَ لِصَاحِبِ الرَّاتِبِ تَرْجُمَانِ أَهْلِ الإِحْسَانِ وَخَتْمِ أَهْلِ العِرْفَانِ قُطْبِ الزَّمَانِ وَغَوْثِ الأَمَانِ شَيْخِنَا وَأُسْتَاذِنَا وَمُرَبِّينَا وَمُرْشِدِنَا وَقُدْوَتِنَا إِلَى حَضْرَةِ رَبِّنَا أَبِي مُحَمَّدٍ وَحَسَنٍ وَعَبْدِ اللَّهِ وَجَعْفَرٍ وَزَيْنَبَ المِيرْغَنِيِّ المَكِّيِّ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا السَّيِّدِ مُحَمَّد عُثْمَانَ وَشَيْخِهِ صَاحِبِ السِّرِّ الأَوْحَدِ العَارِفِ بِاللَّهِ النَّفِيسِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ وَوَالِدِيهِمْ وَذُرِّيَاتِهِمْ وَمَشَايِخِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَخُلَفَائِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ وَالمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَتَقْرَؤُهَا سِرًّا):

هذه الترجمة كما ترى غالبها لبعض تلامذة المُصنِّف.

والرِّاتِبُ: اسمٌ لما يرتب به من الأوراد والوظائف التي جعلوا لها أوقاتًا معينة، من قراءة قُرآنٍ ووذكرٍ وصلاةٍ على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو نحو ذلك. وهذا الراتب المشتمل على مجموع ذلك جعل المُصنِّف وقت قراءته في الصباح والمساء.

والتَّرْجُمان: فيه لغات، رجَّح النووي في "شرح مسلم": أنه بفتح التاء وضم الجيم، وهو المعبّر عن لغة بلغة، وهو معرّبٌ، وقيل: عربي.

وَفِي "الْمِصْبَاح": تَرْجَمَ فُلَانٌ كَلَامَهُ إذَا بَيَّنَهُ وَأَوْضَحَهُ، وَتَرْجَمَ كَلَامَ غَيْرِهِ إذَا عَبَّرَ عَنْهُ بِلُغَةٍ غَيْرِ لُغَةِ الْمُتَكَلِّمِ، وَاسْمُ الْفَاعِلِ تُرْجُمَانٌ، وَفِيهِ لُغَاتٌ أَجْوَدُهَا فَتْحُ التَّاءِ وَضَمُّ الْجِيمِ، وَالثَّانِيَةُ ضَمُّهُمَا مَعًا، وَتُجْعَلُ التَّاءُ تَابِعَةً لِلْجِيمِ، وَالثَّالِثَةُ فَتْحُهُمَا بِجَعْلِ الْجِيمِ تَابِعَةً لِلتَّاءِ، وَالْجَمْعُ تَرَاجِمُ. وَالتَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلِيَّتَانِ فَوَزْنُ تَرْجَمَ فَعْلَلَ مِثْلُ: دَحْرَجَ اهـ.

والإحسان: مصدر أحسن، وهو الإنعام الذي لا سبب له ولا علة، وجاء تفسيره في الحديث الصحيح بقوله: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ».

وقوله (ختم أهل العرفان): أَيْ: أكمل أهل المعرفة بالله، إذ ختم الشيء البالغ منتهاه، والمُراد أنه ختم أهل عصره أَيْ: أوحدهم مقامًا، لأنه لا ولي بعده، وأن المُراد ختم الأولياء أَيْ: آخرهم. فقد قال سيدي علي وفا: لكل زمان ختمٌ اهـ.

والقطب: هو الذي عليه المدار كالمركز. والزمان: مقدار حركة الفلك الأطلس عند الحكماء، وعند المتكلمين: عبارةٌ عن متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم.

والغوث: هو القطب ما دام مغيثًا. وفي "التعريفات الجرجانية": الغوث: هو القطب حين ما تلتجئ إليه، ولا يُسمَّى في غير ذلك الوقت غوثًا اهـ

والأوان: بمعنى الدهر أَيْ: زمن جال وجود الشيء.

والشيخ في الأصل: مَن طعنَ في السن، ويطلق على العالم وإن كان شابًّا.

والأُستاذ -بضم الهمزة وآخره ذال معجمة- : هو في الأصل رئيس الصنعة، وهو أعجمي، لأن السين والذال لا يجتمعان في اسم عربي، واشتهر استعماله في الشيخ الكامل. وفي "المصباح": الْأُسْتَاذُ: الْمَاهِرُ بِالشَّيْءِ الْعَظِيمِ. ومُرَبِّي: اسم فاعل رَبَّيْتهُ إذا أصلحت أمره وقمت بما يصلح شأنه. والمُرشد: الدال. والقدوة: مَن يقتدى به أَيْ يُؤْتَمّ به.

ووَالِدِيهم -بكسر الدال المهملة- أَيْ: آبائهم إلى آدم. وذُرّياتهم: أَيْ: أولادهم إلى قيام الساعة. ومشائخهم أَيْ: في الدين. وإخوانهم أَيْ: في النسب والدين. وخلفائهم أَيْ: من يقوم مقامهم. وأتباعهم أَيْ: المتابعين لهم المقتفين أثرهم، أَيْ: كل محب لهم، ونسلهم ذكورًا وإناثًا. واللَّه ولي التوفيق.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: الفَاتِحَةَ لِلفَـرْدِ السَّـنِي وَالقُطْـبِ الغَـنِي صَاحَبِ السِّـرِّ المَوْهُوبِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ المِيْرغَنِي المَحْجُوبِ وَابْنِهِ الوَلِيِّ الأَفْخَرِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ أَبِي بَكْرٍ أَمَدَّنَا بِمَـدَدِهِمْ الـبَرُّ وَابْنِ الخَتْمَ المَحْجُوبِ البَابِ أَمَدَّنَا بِمَدَدِهِ الوَهَّابُ وَتَقْرَؤُهَا سِـرًّا):

السيد عبد اللَّه الميرغني: هو جدّ المُصنّف أبو أبيه، كان من كُمِّل العارفين وأكمل الأولياء الواصلين، برعَ في جميع العلوم، وتخرج في المنطوق والمفهوم، له من التصانيف في التوحيد والحديث والفقه والترغيب في الأذكار، وغير ذلك من الدواوين، ما يشهد بفضله وغاية معرفته ونيله.

كان الغالب على حاله الجلال، له التصرُّف الكامل في عصره، والتحكُّم البليغ، ظهر بالسطوة الإلهية والصولة الربَّانية، كانت تهابه الملوك فضلاً عن أهل السلوك، له في الحقائق لسان فصيح، له من الكرامات ما لا يحصى.

قال المُصنّف في "شرحه": وَلَهُ كَرَامَاتٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا حَتَّى بَعْدَ مَوْتِهِ، لَمْ يُحْصَ لَهَا عِدَّةٌ اهـ. وَعُرِف بالمَحْجُوبِ لِأَنَّهُ احْتَجَبَ فِي بَيْتِهِ فَوْقَ الثَّلَاثِينَ سَنَة، وَقَالَ فِي بَعْضِ مَنَاظِيمِهِ:

أَنَـــا المَحْجُـــوبُ عَـــنْ رَبِّـــي وَحَجْبِـــي ذَاكَ مِـــنْ ذَنْبِـــي

وهذا من كمال تواضعه، كان مفرد أهل الظاهر الباطن والباطن في زمنه، وهو القَرْن الثَّانِي عَشَر. وقال المُصنّف: وَلَهُ إِغَاثَاتٌ لِلمُسْتَغِيثِينَ بِهِ فِي كُلّ مُلِمَّةٍ، وَإِعَانَاتٌ فِي وَاقِعَةٍ وَمُدْلَهِمةٍ اهـ.

وأما ابنه السَّيِّد مُحمَّد أَبُو بَكْر: فهو والد المُصنّف، كان الغالب من حاله الكمال، وهو المتوسط بين رتبتَيْ الجلال والجمال، غلبت عليه الهيبة والوقار، وتحلَّى بحلية السكينة والعِلْمانية في غالب الأحوال، له في العلوم الظاهرة والباطنة ما لا يعرفه إلا ذو الأسرار الكامنة.

رأى بعضُ الصالحين الأخيار النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته، فسأله عنه فقال: يا رسول الله أين السيد محمد أبو بكر؟، فقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجواب: هُوَ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[القمر: ٥٥].

ولابنه المُصنّف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رؤية مثل هذه: أنه رأى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسأله: أين والدي يا رسول الله؟، فأجابه بقوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾.

والبَرّ -بفتح الموحدة- : من أسمائه تعالى التسعة والتسعين، معناه: العطوف على عباده، المُحسن إلى جميع خلقه بالبر والرزق اهـ.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: الفَاتِحَةَ لِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ أَجْمَعِيْنَ وَجُمْلَةِ الصَّالِحِينَ وَالمُؤْمِنِينَ وَتَقْرَؤُهَا سِرًّا):

اعلم أن أهل بيت النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُراد منهم آله، وهم في مقام الدعاء: كل من أجاب دعوته، وفي الحديث: «أَنَّهُ سُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ آل مُحَمَّد؟، فَقَالَ: كُلُّ تَقِيٍّ» ذكره في "الشفا". قال في "النسيم": وهذا حديث صحيح ورُوِي من طُرُق، رواه الطبراني والديلمي وشيبان وغيرهم اهـ.

وأما أهل بيته الذي هم قرابته الذين افترض اللَّه تعالى محبتهم وأوجب على الأنام مودتهم، إذ قال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[الشورى: ٢٣].

فقال العلَّامة أبو السعود في تفسيره هذه الآية: رُوِيَ «أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ قَرَابَتُكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟، قَالَ: عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا». وَعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُرِّمَتِ الْجَنَّةُ عَلَى مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ بَيْتِي، وَآذَانِي فِي عِتْرَتِي، وَمَنِ اصْطَنَعَ صَنِيعَةً إِلَى أَحَدٍ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلَمْ يُجَازِهِ عَلَيْهَا، فَأَنَا أُجَازِيهِ عَلَيْهَا غَدًا إِذَا لَقِيَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» اهـ.

وروَى أَحْمَد وَمُسْلِم: «أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ

بَيْتِي، -وَفِي رِوَايَةٍ: أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ- وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، ثَلَاثًا».

وفي أُخْرَى: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا».

وأخرج أبو سعيد في "شرف النبوة": عن عبد العزيز بسنده: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَنَا وأَهْلُ بَيْتِي شَجَرَةٌ في الجَنَّةِ، وأَغْصَانُهَا في الدُّنْيَا، فَمَنْ تَمَسَّكَ بِنَا اتَّخذَ إلى رَبِّه سَبِيلًا».

روَى الترمذي والحاكمُ: «أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي». قال الترمذي: حسن غريب.

وفي الحديث: «مَعْرِفَةُ آلِ مُحَمَّدٍ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَحُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ جَوَازٌ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالْوَلَايَةُ لِآلِ مُحَمَّدٍ أَمَانٌ مِنَ الْعَذَابِ».

ورُوِيَ: «مَثَلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ»، زادَ فِي رِوَايَةٍ: «فِي قَوْمِهِ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ»، وفِي رِوَايَةٍ: «هَلَكَ». وفِي أُخْرَى: «زُجَّ فِي النَّارِ».

ورَوَى البَخَارِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا فِي أَهْلِ بَيْتِهِ». قال جَدّ المُصنِّف الغوث السيد عبد اللَّه الميرغني: أَيْ: أشهدوه في فرد فرد منهم. قال: وهذا نظر الصِّدِّيقين وأكابر العارفين اهـ.

وفي "ذخائر العقبى": أن معنى ارقبوا: احفظوا، وأخرج أبو سعيد والملا مرفوعًا: «مَنْ حَفظَنِي فِي أَهْلِ بَيْتِي فَقَدْ اتَّخذَ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا».

وأخرجه أيضًا مرفوعًا: «اسْتَوْصُوا بِأَهْلِ بَيْتِي خَيْرًا، فإِنِّي أُخَاصِمُكُم عَنْهم غَدًا، وَمَنْ أَكُنْ خَصْمه أخصِمُهُ، ومَنْ أَخصِمُهُ دخَلَ النَّار».

وعَنْ عَلِيّ مَرْفُوعًا: «أَرْبَعَةٌ أَنَا لَهُمْ شَفِيعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمُكْرِمُ لِذُرِّيَّتِي، وَالْقَاضِي لِحَوَائِجِهِمْ، وَالسَّاعِي فِي أُمُورِهِمْ عِنْد اضْطِرَارِهِمْ إِلَيْهِ، وَالمُحِبّ لَهُم بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ»، أَخْرَجَهُ عَلِيّ بْن مُوسَى الرِّضَا.

وأخرج ابن السري عن ابن عبَّاسٍ مرفوعًا: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَفَّ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ فَصَلَّى وَقَامَ، ثُمَّ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ مُبْغِضٌ لِأَهْل بَيْتِ مُحَمَّدٍ، دَخَلَ النَّارَ».

وفي المرفُوعِ: «النُّجُومُ أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، وَأَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لِأُمَّتِي».

وقد وردَ في فضائلهم ومناقبهم ما أُفرِد بالتأليف والتصنيف، وفي "ذخائر العقبى" و"جواهر العقدين" و"إحياء الميت" وغيرها ما يشفي العليل ويروي الصادي العليل.

والصالحين: جمع صالح، وهو القائم بحقوق اللَّه تعالى وحقوق العباد.

والمؤمنين: جمع مؤمن، مَن أَمَّنهُ الناس على دمائهم وأموالهم كما في الخبر.

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: الفَاتِحَةَ وَلْنَخْتِمْ بِهَا لِأَكْمَلِ الآخِذِينَ عَنِ اللَّهِ وَالمَحْبُوبِينَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا وَحَبِيبِنَا وَقُرَّةِ أَعْيُنِنَا وَثَمَرَةِ فُؤَادِنَا وَنُورِ قُلُوبِنَا وَسِرِّ عُقُولِنَا وَشَارِحِ صُدُورِنَا سَيِّدِنَا وَسَيِّدِ كُلِّ مَنْ لَهُ سِيَادَةٌ فِي الوُجُودِ أَبِي القَاسِمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ أَبِي الزَّهْرَاءِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ المَحْمُودِ عَلَيْهِ أفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ مِنْ المَلِكِ المَعْبُودِ زِيَادَةً فِي شَرَفِهِ وَعُلُوِّ دَرَجَتِهِ وَعُمُومِ بَرَكَتِهِ خُصُوصًا بِبَرَكَتِهِ الخَاصَّةِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَهْلِ طَرِيقَتِنَا مِنْ مَشَارِقِ الأَرْضِ إِلَى مَغَارِبِهَا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا أَجْمَعِينَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ مِنْ مَوَاطِنِ البُطُونِ وَالظُّهُورِ وَالأَوَّلِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ فِي الدَّارَيْنِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ أَجْمَعِينَ وَتَقْرَؤُهَا سِرًّا):

(نختم بها) أَيْ: نجعلها خاتمة أَيْ: أُخرى ونهاية، كما أجرى اللَّه جمعه وأراده منا. و(أكمل الآخذين): الأخذ: التناول أو باليد، المُتَلقّين عن الله بلا واسطة أو معها. و(المحبوبين عند اللَّه): أَيْ: وأكمل المحبوبين أَيْ: المقرّبين عند اللَّه. (سيدنا) أَيْ: أشرفنا وأفضلنا. (ومولانا) أَيْ: ناصرنا. (وحبيبنا) أَيْ: محبوبنا. (وقرة أعيننا) أَيْ: الذي تقرّ أَيْ: تطمئن أعيننا بذكره.

(وثمرة فؤادنا) أَيْ: أنه أحبَّ الأحباب إلينا، فقد وردَ: أَنَّ الوَلَد ثَمَرَة الفُؤَادِ، وهو أحب ما يكون إلى الإنسان، ولا يكمل إيمان الشخص حتى يكون النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحبّ الخلق إليه، حتى من ولده ووالده والناس أجمعين، كما وردَ.

(ونور قلوبنا وشارح صدورنا) أَيْ: المُورث لها الشرح أَيْ: التوسعة. والصدور: جمع صدر: أعلى كل شيء وأوله.

(سيدنا وسيد كل من له سيادة في الوجود) أَيْ: أنه سيد الخلائق أجمعين، لأنه كان سيد السادات الذين هم الفاضلون، لأنه يكون سيد المُتفضّلين بطريق الأولى. وفي الصحيح: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ». وفي خبرٍ آخر: «أَنَا قَائِدُ الْمُرْسَلِينَ».

(أبي القاسم): هذه كنيته الذي اشتهر بها، قال الدَّامَغَانيُّ: لأنه يقسم الجنة بين أهلها. كما ذكره عنه في "القول البديع". (وأبي إبراهيم): كُنّي بذلك في بعض الروايات. (وأبي الزهراء): كُنّي بذلك نظرًا إلى أنها أحب أولاده.

إلى قوله (زيادة في شرفه وعلو درجته): اعلم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يزل يزداد شرفه وتعلو درجته على مدّ الأنفاس، لأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يزل في ترقٍ غير منقطع، وإمداد واستمداد مستمر.

والبركة: النمو والزيادة. قال في "مطالع المسرات": وأصل البركة النمو وزيادة الخير اللازم والمنفعة والعلو والرفعة. وقال الراغب: البركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء اهـ.

(والمواطن) الأماكن، (والظهور) معروف وهو بمعنى الشهرة هنا، (والبطون) بمعنى مواطن الخفاء.

(ثُمَّ تَضعُ يَدَيْكَ عَلَى فَخِذَيْكَ وَتُرْخِي رَأْسَكَ وَتَقُولُ]: وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ اللَّهُ ثَلَاثًا).

(وَأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ: اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانا مُحَمَّدٍ الأَمِينِ وَعَلَى آلِهِ وَعَلَى سَائِرِ إِخْوَانِهِ مِنَ الأَنْبِيَاء وَالمُرْسِلِينَ وَعَلَى جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمَلَكِ المَوْتِ وَحَمَلَةِ العَرْشِ وَعَلَى المَلَائِكَةِ أَجْمَعِينَ وَعَلَى الأَوْلِيَاءِ وَجَمِيعِ عِبَادِكَ المُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُكَ آمِينَ مَرَّةً):

هذا التهليل وهذه الصلاة بهذه الصيغة لشيخ المُصنِّف العارف بالله تعالى السيد الجليل السيد أحمد بن إدريس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ونفعنا ببركاتهما آمين.

(الأنبياء والمرسلين): قد مرَّ أنه صحَّ أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، والرُّسُل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر عدّة أهل بدر. والأولى الإيمان بجميعهم من غير حصرهم في عدد معين.

(وجبريل وميكائيل) إلى (حملة العرش): هؤلاء هم رؤساء الملائكة وأشرافهم، وأفضلهم عند العلماء جبريل، وعند السادة الصوفية إسرافيل، وعليه تدلّ أكثر الأحاديث كما قال المُحقّق السيد ابن عنفا والصفي ابن حجر الهيثمي.

وحملة العرش في الدنيا أربعة، وفي الآخرة ثمانية، ثم بعد أن خَصّص عمَّم بقية الملائكة بقوله: (وعلى الملائكة أجمعين)، وكلهم معصومون، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، يسبّحون الليل والنهار لا يفترون، كما أخبر بذلك تبارك وتعالى.

ثم خصّ بالصلاة على جميع الأولياء أَيْ: من جميع الأُمَم، ثم عمَّم جميع المؤمنين أَيْ: من جميع الأُمم كذلك، ثم أشار إلى أن ذلك لا يحصى ولا يحصر بقوله: (في كل لمحةٍ ونَفسٍ) إلخ.

ثم ختمَ بآمين لما وردَ أنها كالطابع على الدعاء، وأن معناها استجب كما مرَّ رجاء الإجابة.

(ثُمَّ تَضعُ يَدَيْكَ عَلَى صَدْرِكَ وَتُرْخِي رَأْسَكَ وَتَقُولُ مَعَ الحُضُورِ وَالأَدَبِ] سِرًّا: الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ثَلَاثًا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا نَبِيَّ اللَّهِ ثَلَاثًا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا حَبِيبَ اللَّهِ ثَلَاثًا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا خَلِيلَ اللَّهِ ثَلَاثًا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا صَفِيِّ اللَّهِ ثَلَاثًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَأَصْحَابِكَ أَجْمَعِينَ):

(ثُمَّ تَرْفَعُ يَدَيْكَ كَحَالَةِ الدُّعَاءِ قَائِلًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ اللَّهِ]):

(وَتَدْعُو بِمَا شِئْتَ).

(ثُمَّ تَقْرَأُ آيَةَ الكُرْسِيِّ بِنِيَّةِ أَمْوَاتِ المُسْلِمِينَ).

(وَتَقْرَأُ فِي عَشِيَّةِ الِاثْنَيْنِ فَقَطْ: سُورَةَ يس، وَفِي عَشِيَّةِ لَيْلَةِ الجُمُعَةِ: سُورَةَ الْكَهْفِ).

(ثُمَّ تَقُولُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بَعْدَ آيَةِ الكُرْسِيِّ، وَفِي عَشِيَّةِ لَيْلَةِ الِاثْنَيْنِ بَعْدَ سُورَتِهَا، وَمِثْلُهُ فِي عَشِيَّةِ لَيْلَةِ الجُمُعَةِ).

(ثُمَّ تَقُولُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ثَلَاثًا):

هذا آخر الراتب إلا أن لبعض تلامذة المُصنِّف فواتحًا يقرؤونها في حال رفع اليدين للدعاء، سأذكرها إن شاء الله تبارك وتعالى، بعد أن أسرد بعض الروايات في بعض فضائل سورة يس وسورة الكهف، ولولا خوف الإطالة وإيقاعها في السآمة والملالة لوردت من تفسيرهما نبذة صالحة، يستفيد منهما ذي العقول الراجحة. أما آية الكرسي فقد مرَّ تفسيرها وفضائلها أوَّل الكتاب ما فيه كفاية الراغب المستفيد.

وفي "شرح المُصنِّف" معزوًا لـ"لجواذب" خبرًا مرفوعًا ذكر بعض إسناده وغير عزو إلى مخرج، ولفظه: «إِذَا قَرَأَ الْمُؤْمِنُ آيَةَ الْكُرْسِيّ، وَجَعَلَ ثَوَابَهَا لِأَهْلِ الْقُبُورِ، أَدْخَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كُلِّ قَبْرٍ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ أَرْبَعِينَ نُورًا، وَوَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَضَاجِعَهُمْ، وَأَعْطَى اللَّهُ القَارِئَ ثَوَابَ سِتِّينَ نَبِيًّا، وَرَفَعَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مَيِّتٍ دَرَجَة، وَكُتِبَ لَهُ بِكُلِّ مَيِّت عَشَرَ حَسَنَاتٍ» اهـ.

وهاكَ نُخْبَة فِي بَعْض فَضَائِل يس: مِنْهَا مَا أَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ، وَأَبُو يَعْلَى، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ"، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «مَنْ قَرَأَ يس فِي لَيْلَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ غفَرَ لَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ» قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ حَسَّانَ بْنَ عَطِيَّةَ مَرْفُوعًا: «مَنْ قَرَأَ يس فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ عَشْرَ مَرَّاتٍ».

وَأَخْرَجَ الدَّارِمِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ يس حِينَ يُصْبحُ أُعْطِيَ يُسْرَ يَوْمِهِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي صَدْرِ لَيْلَتِهِ أُعْطِيَ يُسْرَ لَيْلَتِهِ حَتَّى يُصْبحَ».

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، وأَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ" مِنْ حَدِيثِ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يس قَلْبُ الْقُرْآنِ، لَا يَقْرَؤُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللَّهَ تَعَالَى وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، إِلَّا غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذنبِهِ، اقْرَؤُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ». وَصَحَّحَهُ أَيْضًا ابْنُ حِبَّانَ. وقَلْبُ كُلِّ شيءٍ: لُبُّه، وخالِصُه.

قيلَ: ولعل وجه قراءتها على الأموات ما ذُكِر فيها من الآيات التي فيها ذكر الموت ونفخ في الصور ونحو ذلك. وقيل: يحتمل أن يكون ذلك لخاصة موجودة فيها مقتضى التخفيف على الأموات بقراءتها.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يس، مَنْ قَرَأَ يس كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِقِرَاءَتِهَا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ»، قَالَ التِّرْمِذِيُّ بَعْدَ إِخْرَاجِهِ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ. وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا الدَّارِمِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي "الشُّعَبِ". وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ أَيْضًا: لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. قال في "فتح القدير": وفي إسناده هارون وأبو مُحَمَّدٍ، وَهُوَ شَيْخٌ مَجْهُولٌ اهـ كذا قال الحافظ في "تخريج الكشَّاف": هارون مجهول اهـ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي "صَحِيحِهِ" وَابْنُ السُّنِّيِّ وَالضِّيَاءُ مِنْ حَدِيثِ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ يس فِي لَيْلَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ غَفَرَ لَهُ». رَوَاهُ مَالِكٌ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِهِ. وَفِي إِسْنَاده أغلب بن تَمِيم وَهُوَ ضَعِيف.

وَأخرج الطَّبَرَانِيّ فِي "الصَّغِير" من حَدِيث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَاوَمَ عَلَى قِرَاءَةِ يس كُلَّ لَيْلَةٍ، ثُمَّ مَاتَ مَاتَ شَهِيدًا» اهـ. وقد وردَ غير ذلك.

وأما سورة الكهف: رَوَى النَّسَائِيُّ وَالْبَيْهَقِيّ مِنْ حديث أَبي سَعِيد مَرْفُوعًا: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْن»، رَوَاهُ الْحَاكِمُ من حديثِهِ مَرْفُوعًا وموقوفًا أَيْضًا وَقَالَ: صَحِيح الْإِسْنَاد، وهكذا في "الترغيب والترهيب": يوم الجمعة. وفي بعض نسخ "عدة الحصن الحصين": ليلة الجمعة، وهو الموافق لرأي المُصنِّف، لكن قال: ومعنى أضاء له من النور ما بين الجمعتين: أنه لا يزال ظاهرًا عليه أثرها وثوابها في جميع الأسبوع اهـ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْه، وَالضِّيَاءُ فِي "الْمُخْتَارَةِ"، عَنِ عَلِيٍّ مَرْفُوعًا: «مَنْ قَرَأَ الْكَهْفَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَهُوَ مَعْصُومٌ إِلَى ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ تَكُونُ، فَإِنْ خَرَجَ الدَّجَّالُ عُصِمَ مِنْهُ».

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ"، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالضِّيَاءُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ رَفَعهُ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَانَتْ لَهُ نُورًا مِنْ مَقَامِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَمَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا ثُمَّ خَرجَ الدَّجَّالُ لَمْ يَضُرُّهُ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِسُورَةٍ مَلَأَ عظَمَتُهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلِكَاتِبِهَا مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَرَأَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ

قَرَأَ الْخَمْسَ الْأَوَاخِرَ مِنْهَا عِنْدَ نَوْمِهِ بَعَثَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ اللَّيْلِ شَاءَ؟، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: سُورَةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ».

وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ مَرْفُوعًا: «الْبَيْتُ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْكَهْفِ لَا يَدْخُلُهُ شَيْطَانٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ» اهـ. من "فتح القدير".

وروى الدَّارمِيّ فِي "مُسْنده" مَرْفُوعًا عَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَفظه: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ»، وَرِجَاله ثِقَات مُحْتَج بهم إِلَّا أَبَا هَاشم يحيى بن دِينَار الرُّمَّانِيّ، وَقد وَثَّقَهُ أَحْمد بن حَنْبَل وَيحيى بن معِين وَأَبُو زرْعَة وَأَبُو حَاتِم. كما في "تحفة الذاكرين". وفي "الترغيب والترهيب": وَالْأَكْثَرُونَ على توثيقِه، وَبَقِيَّة الْإِسْنَاد ثِقَات اهـ.

قال في "تحفة الذاكرين": وَمعنى إضاءة النُّور لَهُ فِيمَا بَينه وَبَين الْبَيْت الْعَتِيق: الْمُبَالغَة فِي ثَوَاب تلاوتها بِمَا تتعقله الأذهان وتتصوَّره الْعُقُول اهـ.

وفي "الترغيب والترهيب" ما لفظه: وَعَن ابْن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، سَطَعَ لَهُ نُورٌ مِنْ تَحْتِ قَدَمِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، يُضِيءُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَغُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ»، رَوَاهُ أَبُو بكر بن مرْدَوَيْه فِي "تَفْسِيره" بِإِسْنَاد لَا بَأْس بِهِ اهـ.

وفيه أيضًا ما نصّهُ: عَن أبي الدَّرْدَاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَن نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ

الدَّجَّالِ». رَوَاهُ مُسلم وَاللَّفْظ لَهُ، وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ، وَعِنْدَهُمَا: «عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ». وَهُوَ كَذَا فِي بعض نسخ مُسلم.

وَفِي رِوَايَة لمُسلم وَأبي دَاوُد: «مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْكَهْفِ». وَفِي رِوَايَةٍ للنسائي: «مَنْ قَرَأَ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ». وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَلَفظه: «مَنْ قَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ».

وَعَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَمَا أُنْزِلَتْ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْم القِيَامَة مِنْ مَقَامِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَمَنْ قَرَأَ عَشر آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا ثُمَّ خَرَجَ الدَّجَّالُ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ. وَمَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، كُتِبَ فِي رَقٍّ، ثُمَّ طُبِعَ بِطَابَعٍ، فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، رَوَاهُ الْحَاكِم وَقَالَ: صَحِيحٌ على شَرط مُسلم اهـ.

وأما قوله (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ) إلخ: ففي "أذكار الإمام النووي": روينا في "كتاب الترمذي" وغيره، عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا -وَفِي رِوَايَةٍ: فِي مَجْلِسٍ- فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ أنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وأتُوبُ إِلَيْكَ، إلاّ غُفِرَ لَهُ ما كَانَ في مَجْلِسِهِ ذلكَ». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وروينا في "سنن أبي داود" وغيره، عن أبي بَرْزَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واسمه نضلة قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ،

أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى، فَقَالَ: ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ» رواه الحاكم في "المستدرك" من رواية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقال: صحيح الإِسناد.

قلتُ: قوله بأَخرة -وهو بهمزة مقصورة مفتوحة وبفتح الخاء- ومعناه: في آخر الأمر اهـ.

وفي "الترغيب والترهيب" للحافظ المنذري ما لفظه: التَّرْغِيب فِي كَلِمَات تُكفِّر لغط الْمجْلس: عَن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا كَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَاللَّفْظ لَهُ، وَالنَّسَائِيّ وَابْن حبَان فِي "صَحِيحه"، وَالْحَاكِم، وَقَالَ التِّرْمِذِيّ: حَدِيث حسن صَحِيح غَرِيب.

وَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا يَقُولُ فِي أَخَرَةٍ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى، فَقَالَ: كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُد.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها قَالَتْ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا، أَوْ صَلَّى تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ الْكَلِمَاتِ، فَقَالَ: إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَتْ طَابَعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تكَلَّمَ بِغَيْرِ ذَلِكَ، كَانَ كَفَّارَةً لَهُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». رَوَاهُ ابْن أَبِي الدُّنْيَا وَالنَّسَائِيّ وَاللَّفْظ لَهما وَالْحَاكِم وَالْبَيْهَقِيّ.

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَقَالَهَا فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ كَانَ كَالطَّابِعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ لَغْوٍ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ». رَوَاهُ النَّسَائِيّ وَالطَّبَرَانِيّ، ورجالهما رجال الصَّحِيح، وَالْحَاكِم وَقَالَ: صَحِيح على شَرط مُسلم.

وَرَوَاهُ ابْن أبي الدُّنْيَا وَلَفظهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا جَلَسَ أَحدُكُمْ فِي مجْلِسٍ فَلَا يَبْرحَنَّ مِنْهُ حَتَّى يقُول ثَلَاثَ مرَّاتٍ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، فَإِن كَانَ أَتى خَيْرًا كَانَ كَالطَّابِعِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ مَجْلِس لَغْوٍ كَانَ كَفَّارَةً لَمَّا كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ».

وَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَخرَةٍ إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَأَرَادَ أَنْ يَنْهَضَ قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ الكَلِمَاتُ أَحْدَثْتَهُنَّ؟، قَالَ: أَجَلْ، جَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هُنَّ كَفَّارَاتُ الْمَجْلِسِ». رَوَاهُ النَّسَائِيّ وَاللَّفْظ لَهُ،

وَالْحَاكِم وَصَحَّحهُ، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ فِي الثَّلَاثَة بِاخْتِصَار بِإِسْنَادٍ جيد. بِأَخَرَةٍ -بِفَتْح الْهمزَة وَالْخَاء الْمُعْجَمَة جَمِيعًا غير مَمْدُود- أَيْ: بآخرِ أمرِهِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ قَالَ: «كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِ حَقٍّ أَوْ مَجْلِسِ بَاطِلٍ عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلَاث مَرَّاتٍ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسِ خَيْرٍ وَمَجْلِسِ ذِكْرٍ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ كَمَا يُخْتَمُ بِالْخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَابْن حبَان فِي "صَحِيحه" اهـ.

وأمَّا ما وعدتُ بسرده: فهو فواتح جعلها بعض تلامذة المُصنِّف يقرؤونها في حال رفع أيديهم للدعاء، يذكرونها ما بين الدعاء وآية الكرسي، وهي على صيغٍ شتَّى وألفاظ مختلفة.

من بعض صيغها قولهم: الْفَاتِحَة لسيدتنا خديجة الكبرى، صاحبة الدرجة الفُخرى، وبنتها سيدتنا فاطمة الزهراء البتول، خزانة مددنا بنت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى آله أهل الوصول.

ثم الْفَاتِحَة لترجمان القرآن سيدنا عبد اللَّه بن عبَّاس، أمدنا بمدده المنَّان، وسيدنا الخضر، وسيدنا الياس، وسيدنا عبد الوهَّاب التازي، وسيدنا السيد عبد اللَّه الميرغني، أمدّنا بمددهم الغني.

ثم الْفَاتِحَة لسيدنا حمزة، وسيدنا العبَّاس، عصمنا اللَّه تعالى ببركاتهما من الأرجاس، وحفظنا بحبهما من الأدناس.

ثم الْفَاتِحَة لقطب الحضرة الختمية، وباب إمداداتها السنية، الغوث المحبوب والقطب اليعسوب، سيدنا عبد اللَّه المحجوب، أمدّنا بمدده علّام الغُيُوب، وكشف عنا بجاههِ جميع الكروب.

ثم الْفَاتِحَة لسائر أولياء الكون من مشارق الأرض إلى مغاربها، أحياءً وأمواتًا أجمعين.

ثم الْفَاتِحَة اللَّهُمَّ اختم لنا بالإيمان الكامل.

ثم الْفَاتِحَة اللَّهُمَّ احفظنا واحفظ المسافرين، واشفِ المرضى، وفرِّجْ عن المكروبين، من أُمَّةِ سيدنا مُحمَّد أجمعين.

ثم الْفَاتِحَة لسيدي ختم العارفين اللَّهُمَّ طوّل عمره وذريته، وبارِكْ فيهم، وعافِهم أجمعين، وأمدّنا بمددهم يا متين، واكفنا وإيّاهم شر من يريد أذانا في دنيانا والدين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

ثم الْفَاتِحَة من الذات العلية محفوفة بأنوار الحضرة القدسية، تخصّ الذات المحمدية، وآله وصحبه مصابيح البرية، وتعمّ بركتها على أهل الطريقة الختمية.

هذه بعض الكيفيات المستعملة، وقد استعملت بحضرة المُصنِّف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلم ينكر من ذلك شيء، واللَّه تعالى ولِيّ التوفيق، وبه الهداية إلى أقوم طريق، وصلَّى اللَّهُ على خير خلقه، وأكمل من قام بأداء حقِّه سيدنا مُحمَّد الرسول الأمين، الذاكر اللَّه تعالى في كل وقتٍ وحين، المُستغرق في دوام الشهود، والداعي جميع العباد إلى الصراط المحمود، وعلى آله سفينة النجاة، التي من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق وهلك وزُجَّ في النار وليس له ملتجا، وعلى أصحابه الأجلة الثقاة والأئمة الهُداة، وعلى التابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، في كل لمحة ونَفَس عدد ما وسعه علم اللَّه آمين.

وليكن هذا آخر الغرض المقصود، جاريًّا على المنهج المحمود، جعله اللَّه تعالى خالصًا لوجهه الكريم، وسببًا لرضوانه العميم، وَ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِ اللَّهِ، وَعَظَمَةِ ذَاتِ اللَّهِ، حَمْدًا مِنَ اللهِ إِلَى اللهِ، يَلِيقُ بِكَمَالِ اللَّهِ، فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَدَ مَا وَسِعهُ عِلْمِ اللَّهِ. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

خَاتِمَةٌ: نَسْأَلُ اللَّهَ حُسْنَهَا:

إنما ختمَ المُؤلِّف راتبه بالحديث الذي هو خاتمة المجلس لما اشتمل عليه الحديث من الفضائل الجمَّة والفوائد المهمة، التي لا يحيط بها كثيرٌ من الأُمَّة، من ذلك اشتمالها على التسبيح الذي هو تنزيه اللَّه تعالى من النقائص، وعن كل ما لا يليق به، وعلى الحمد الذي هو الثناء بالكلام على الجميل الاختياري، أَيْ: الثناء على اللَّه تعالى بالجميل ووصفه بكل ما يليق من المحامد والكمالات.

وعلى التهليل الذي هو كلمة التوحيد، الذي هو الإقرار للَّه تعالى بالعبودية والاعتراف بأنهم المستحق للأُلُوهية، وهي كلمة الإخلاص وكلمة التقوى والعروة الوثقى، وهي أفضل الأذكار كما وردَ معنى كل ذلك عن النبي المُختار، ولاحتوائه أيضًا على الاستغفار الذي هو صابون الذنوب والأوزار، الذي من استعمله خرج من ورطة الإصرار، «مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ، وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً».

وفيه الاعتراف بالتوبة التي هي فرضٌ على العبد، في كل نفس ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: ٣١]، وفيه أيضًا الاعتراف بالتقصير والظلم للنفس وطلب المغفرة من اللَّه تعالى، لاعترافه وإقراره واعتقاده أنه القادر على ذلك، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣]، ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران: ١٣٥] أَيْ: لا أحد.

وتكرير ذلك ثلاثًا كما في كثير أدعية وصلوات الراتب، لما أن ذلك من آداب الدعاء، ولأن في تكرير الدعاء إلحاحٌ، واللَّه تعالى يحب المُلحّين في الدعاء، كما ورد بذلك الخبر.

والصَّلاةُ والسلامُ على سَيِّدنا مُحمَّد وآله وصحبه وتابعي منهاجه ومنواله. سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.

والحمدُ للَّه ربّ العالمين، في كل وقتٍ وحينٍ، وأفضل صلاته وسلامه على الدوام، على أشرف رسله الكرام، وعلى آله وأصحابه وأشياعه واتباعه وأحزابه في كل لمحة ونَفَسٍ، عددَ ما وسعه علم اللَّه، وأحاط به قلم اللَّه، وأوجدته قدرة اللَّه، ومداد كلمات اللَّه، من اللَّه إلى اللَّه، كما ينبغي ويليق بكمال اللَّه، الذي لا يعلم أحدٌ منتهاه.

ولا يبلغ الواصفون صفته، ولا يدرك العالمون نعته، ثناءً يبلغ العبد به رضاه، ويحصل له بسببه قصده ومناه، وجميع ما آمله وارتجاه ونحاه، لم يزل مدده يتجدّد مدى الأنفاس، ولا يدخل تحت حصرٍ ولا قياس، واللَّه يقول الحق، وهو يهدي السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، وهو اللطيف الخبير، وهو على ما يشاء قدير.

الصِّدْق: هم تطابق الأقوال والأفعال والأحوال، واستواء السر والعلانية، بحيث يكون العبد في جميع نوازله الدينية والدنيوية موافق الظاهر للباطن، فما خطر بباله يصدق به في حاله، وما اتّصف به في حاله

صدق في مقاله، وما نطق به مقاله صدقت فيه أفعاله، فإن كان على هذا الوصف سلم من وصف النفاق الذي هو أبعد الأوصاف من رحمة الخلّاق اهـ "مطالع المسرات".

الفِعْل: حركة العبد الاختيارية بأنواعها، يطلق إطلاقًا شائعًا على كسب الجوارح الظاهرة في مقابلة القول والأحوال الباطنة، كالقصد والعزم والاعتقاد، وقد يطلق على مقابلة القول فقط ما يعمّ الظاهر والباطن، فيقال الأقوال والأفعال، وقد يطلق على ما يعمها، فيقال أفعال اللسان وأفعال الجنان وأفعال الأركان. وفي كتاب العين الحجة على الوجه الذي يكون به الظفر اهـ "مطالع المسرات".

الفَقْر: هو انزواء والدنيا والخلو منها. "مطالع".

اعلم أن الإكثار من المزاح واللهو مذمومٌ شرعًا. قال بعض العلماء: إذا كان القصد باللعب تسلية النفس وشغلها عن همومٍ لزمتها وتجديد القريحة وتشحيذ الذهن الكامل، لم يذم.

وقال النووي: والمزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراطٌ ويداوم عليه، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله تعالى، والفكر في مهمات الدنيا، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء ويورث الأحقاد ويسقط المهابة والوقار، وأما ما سَلِم من هذه الأمور فهو المُباح، الذي كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعله.

فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما كان يفعله في نادر الأحوال لمصلحة كتطييب نفس المُخاطَب ومؤانسته. قال: وهذا لا منع فيه قطعًا، بل هو سُنَّة مُستحبة إذا كان بهذه الصفة اهـ "مطالع المسرات".

قلتُ: ومصداق ذلك أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ كان يمزح ولا يقول إلَّا حقًّا.

وفي "المطالع" ما لفظه: تكميلٌ: قال الشيخ زرُّوق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الأوصول ثلاثة: خشية الله في السِّرّ والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر. والفروع ثلاثة: حفظ الحرمة، ولزوم الخدمة، وتصفية اللقمة، وتحقيقها بثلاث: إفراد القلب لله في جميع الأوقات، واتِّهام النفس في جميع الحالات، واتِّباع العلم في الحركات والسكنات، وتتميمها بثلاث: حسن الخلق في معاملة الخلق، والرفق في التناول، والتأني في التوجُّه.

وقال أيضًا: أصول الخير ثلاثة: التواضع، وحسن الخلق، والنصيحة. فالتواضع يتبعه ثلاث: الإنصاف من نفسك، وترك الانتصاف لها، وخدمة المؤمنين. وحسن الخلق يتبعه ثلاث: العدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وخشية الله تفي السِّرّ والعلانية. والنصيحة يتبعها ثلاث: العامل الصالح، والعلم الصحيح، واتِّباع الحق في كل حال. "مطالع".

التَّسْلِيم: هو الانقياد للحكم والإذعان له من غير معارضة بلا حرج في النفس ولا ضيق في الصدر.

الجِدّ -بكسر الجيم- : هو الأمر الذي من شأن العقلاء الأخذ فيه والاجتهاد في تحصيله لإنتاجه ما يحمد، من جدَّ في الأمر يجدّ اجتهد، ومعنى المادة دائرة على الصلابة والجزالة.

الهَزْل -بفتح الهاء وسكون الزاي- : وهو ضد الجِدّ كاللهو واللعب وترويح النفس، وقد ينتقل كل واحد من الضِدّين للجانب الآخر لموجب.

العَدْل: هو لزوم طريق الحق من غير ميلٍ ولا انحراف، ووضع الشيء في محله، ومعاملته بما هو أهله. وضدّه الجور: وهو الميل والخروج عن ذلك اهـ.

الاِقْتِصَاد: التوسُّط.

الوَقْت وَالحِين: يُراد بهما معًا مطلق الزمان الصادق بقليله وكثيره، ويُفسَّر أحدهما بالآخر، ويُراد بالوقت: المقدار الموقّت من الزمان، وهو المقدّر لأمرٍ مّا كوقت الصلاة ووقت الزراعة ونحو ذلك.

وبالحين: الزمان المُحدّد بكونه جزءًا من الزمان وقطعة منه، لا الزمان المُستمر، ومنه ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾[الإنسان: ١]، والأقرب في قولهم: فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ، أن يكون من عطف المُرادف أو شبهه، وأن المُراد بهما معًا مطلق الزمان، وأقلّ ما يصدق عليه منه، والله أعلم.

الأَبَد: الزمان المُستقبل الذي لا نهاية له كما في الآخرة اهـ.

الرَّجُل: هو الذكر البالغ أو هو رجل ساعة يولد، والله أعلم.

تمَّت هذه النسخة المُباركة، ونُقِلت من أصل الشَّارِح خطّ الأُسْتَاذ الأعظم والملاذ الأفخم قطب دائرة المُحقّقين السَّيِّد مُحمَّد سِرّ الخَتْم المِيرْغَنِي، على يد أفقر الخلق راجي عفو الخالق القادر، مُوسَى عَلِّي عَامِر، كان اللَّه له ناصر، وكان تمام نسخه في خمسة أيَّام خلت من شهر رجب الفرد، سَنَة ألف وثلاثمائة وإحدى عشر هجرية على صاحبها أزكى التحية [١٣١١هـ]. وصلَّى اللَّه على سَيِّدنا مُحمَّد وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسَلَّم تَسْليمًا كثيرًا.

فهرس كتاب الأسرار المتزاحمة

